وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر–2– أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

الفكر المركب بين التنظير الأخلاقي والتطبيق التربوي عند ادغار موران

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث LMD في الفلسفة

تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة

إعداد الطالب: فاهم بن عاشور

إشراف الأستاذ الدكتور : عبد المجيد دهوم

السنة الجامعيـة

2020/2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر–2– أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

الفكر المركب بين التنظير الأخلاقي والتطبيق التربوي عند ادغار موران

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث LMD في الفلسفة

تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة

إعداد الطالب: فاهم بن عاشور

إشراف الأستاذ الدكتور : عبد المجيد دهوم

السنة الجامعيـة

2020/2019

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى :

أبي وأمي

زوجتي الغالية

الإخوة والأخوات

الأصدقاء

كلمة شكر

أحمد الله واشكره، فلم أكن بالغا ما بلغت لولا فضله وكرمه

أتقدم بجزيل الشكر إلى:

– أستاذي ا–د عبد المجيد دهوم الذي اشرف على هذا العمل، بكل إخلاص وطيب خاطر، وعلى إرشاداته طيلة مغامرة البحث.

– كل أساتذة الفلسفة في جامعة الجزائر– 2–

– زوجتي على صبرها ودعمها المادي والمعنوي طيلة فترة انجاز البحث.

الفهرس

فهرس البحث.....**1**

مقدمة.....**8**

الفصل الأول: مدخل إلى الفكر المركب.....**17**

1- تطور مشكلة التعقيد في الفكر الغربي المعاصر.....**20**

1-1- نظرية الفوضى.....22

1-2- نظرية السبرنطيقا.....26

1-3- نظرية الإعلام والاتصال.....30

1-4- نظرية الأنساق.....33

2- من منظومة البساطة الى منظومة التعقيد.....**37**

2-1- منظومة البساطة.....40

ا-مبدأ النظام.....40

ب- مبدأ القابلية للانفصال.....42

ج- المنطق.....44

2-2- منظومة الفكر المركب عند ادغار موران.....50

ا-تعريف التعقيد.....53

ب- مفهوم التعقيد عند ادغار موران.....54

2-3- مبادئ الفكر المركب.....56

أ-مبدأ الحوار المنطقي.....56

ب- مبدأ التكرار التنظيمي.....58

ج- مبدأ الهولوغرام.....60

3- إصلاح المنظومة الفكرية عند ادغار موران.....62

3-1- تصور موران للمعرفة.....63

أ-الشروط البيولوجية و الانتروبولوجية للمعرفة.....66

ب- الشروط الاجتماعية والثقافية للمعرفة.....67

ج- الشروط النولوجية للمعرفة.....69

د- مبدأ تنظيم المعرفة.....70

هـ- ثنائية الذات والموضوع.....72

3-2- مفهوم الإنسان عند ادغار موران.....75

نتائج الفصل الأول.....81

الفصل الثاني: الأخلاق المركبة عند ادغار موران.....83

1- إصلاح المنظومة الأخلاقية.....86

1-1- أزمة الأخلاق وعلاقتها بالعلوم الأخرى.....87

أ-الأخلاق والسياسة.....88

ب- الأخلاق والعلم.....90

ج- الأخلاق والمعرفة.....92

1-2- اللايقين الأخلاقي.....94

1-3- أخلاق التعقيد ومصدرها عند ادغار موران.....100

2- أخلاق الفهم البشري.....103

2-1-أخلاقيات التفاهم عند ادغار موران.....104

2-2-عوائق الفهم الأخلاقي.....107

أ-العائق المنظوماتي.....107

ب- العائق الثقافي.....109

ج- العائق النولوجي.....110

د- العائق الذاتي.....111

هـ- عائق التجريد والعمى.....112

و- عائق الخوف من الفهم.....113

2-3-وصية الفهم الأخلاقي.....114

3- أخلاق الجنس البشري.....116

نتائج الفصل الثاني.....122

الفصل الثالث: الفكر المركب وفلسفة التربية عند ادغار موران.....124

1- التربية والتنمية المعرفية عند ادغار موران.....128

1-1-التربية ومشكلة العمى المعرفي.....129

أ-الأخطاء الذهنية.....130

ب- الأخطاء المعرفية.....132

ج- أخطاء العقل.....133

د- الأخطاء المنظوماتية.....135

هـ- عدم يقين المعرفة.....137

1-2-التربية والمبادئ المعرفية الملائمة.....139

أ-المركب.....139

ب- السياق والشمول.....140

ج- تعددية الأبعاد.....141

د- التربية والوعي بالمشاكل الجوهرية في المعرفة.....142

1-3-التربية و مواجهة اللايقينيات.....146

أ-اللايقين المرتبط بالمعرفة والواقع.....147

ب- اللايقينيات وايكولوجيا الفعل.....150

2- أسس ومبادئ التربية المستقبلية عند ادغار موران.....153

2-1-تعليم الشرط الإنساني.....154

أ-الاجتثاث الإنساني.....156

ب- إنسانية الإنسان.....159

ج- التنوع الثقافي وتعدد الأفراد.....164

2-2-تعليم الفهم.....166

أ-أنواع

الفهم.....167

ب- عوائق الفهم.....169

2-3-تعليم الهوية الأرضية.....175

أ-العصر الكوكبي.....176

ب- الهوية الأرضية والوعي الأرضي.....178

نتائج الفصل الثالث.....181

الفصل الرابع: الفكر المركب بين التجلي والمأمول.....183

1- الفكر المركب محل الفكر التبسيطي.....186

1-1- نحو وحدة العلم.....186

1-2- استشراف المستقبل.....190

2- الأفاق المستقبلية للفكر المركب.....**196**

2-1- مشروع السياسة الحضارية.....196

2-2- مسألة الديمقراطية.....202

أ-الديمقراطية والبعد المركب.....203

ب- الديمقراطية التحاورية.....204

ج- مستقبل الديمقراطية.....206

2-3- تجاوز الأزمة الكوكبية 207

3- التربية في أفق التعقيد والمأمول منها.....**210**

3-1- الانفتاح التعاطفي على الغير.....214

3-2- التسامح.....215

3-3- نحو الإنسانية كمصير كوكبي 217

نتائج الفصل الرابع.....**219**

خاتمة.....221

قائمة المصطلحات.....226

قائمة المصادر و المراجع. 229

مقدمة

تتناولنا في هذه الأطروحة بحثا في الفلسفة العملية (الأخلاق والتربية) عند المفكر والفيلسوف الفرنسي **ادغار موران** * الذي أعاد النظر في الكثير من القضايا الفكرية المتعلقة بوقتنا الراهن، مراعيا في ذلك أهم التحولات والمعطيات التي تميز هذا العصر.

نشير منذ البداية إلى أن **موران**– اثناء قراءته للحقل الفلسفي والابيستمولوجي والمنهجي المعاصر، أقر بهيمنة منظومة التبيسط انطولوجيا وابستمولوجيا وانتروبولوجيا و اجتماعيا، سياسيا على الخطاب الفكري. فقد تأسست هذه المنظومة على كيانات مغلقة مثل الماهية والهوية والسببية الخطية، وثنائية الذات والموضوع. ومنهجيا قامت هذه المنظومة على منهجية اختزالية، وهكذا قامت منظومة التبسيط بتنظيم الكون عن طريق اختزاله في كيانات وجواهر مغلقة وثابتة وعذرية وخالدة لا تعرف التناقض والاختلال والتحول.

لقد شكلت هذه المنظومة في نظر **موران**– تاريخ لاوعي الغرب، وهذا ما جعله يستشف جذرية وضخامة الإصلاح المنظوماتي، الذي يعني في احد وجوهه الأساسية الخروج النهائي من قبضة انطولوجيا وابيستمولوجيا التبسيط، نحو فضاء فلسفي ومنهجي وأخلاقي وتربوي أخر هو فضاء الفكر المركب.

انطلاقا من هذا الانتقاد الذي وجهه موران– للبراديغمات الفلسفية الكلاسيكية، توصل إلى تقديم نموذج فلسفي جديد، يطلق عليه الفكر المركب **la pensée complexe** ، هذا الفكر الذي يرفض كل نظرة تجزيئية تقسيمية سواء عن العالم أو الإنسان، حيث

---

*- ادغار موران: (ادغار نعوم) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، من أصل يهودي، ولد في 8 جويلية 1921 في باريس (فرنسا) ، أسس جمعية الفكر المركب بفرنسا، ولقب بمفكر التعقيد، كان مفكر غزير التالي فاهم كتبه: المنهج في ستة أجزاء، كتاب مدخل إلى الفكر المركب، كتاب علم ووعي، تربية المستقبل، و كتاب تعليم الحياة.

أكد **موران**– أن العالم و الإنسان (موضوعا الفكر) يتميزان بالطابع المركب. من هنا اقر أن الأبحاث الفلسفية والعلمية التي كانت على جهل بطابع التعقيد قد أدت إلى ثقوب معرفية سوداء، لذا لابد من إعادة النظر في ابرز المفاهيم التي تشكل موضوع البحث في أغلب المخابر والمؤسسات العلمية والفلسفية والاكسيولوجية، بدءا بالجانب الابيستمولوجي ثم الانتروبولوجي، وصولا إلى التطبيقات الفكرية في المجالات السياسية، الأخلاقية والتربوية.

من هنا نظر **موران**– إلى هذه المفاهيم نظرة الناقد ببراعة، متوغلا في لب أهم العلوم النظرية والعلمية يحلل محتواها بارزا عيوبها، من ثمة تقديم البدائل. وقد كانت أعماله وأبحاثه في المجال الأخلاقي والتربوي ، بمثابة أنموذج تطبيقي لما توصل إليه من نتائج بعد مدة زمنية طويلة من البحث والاشتغال في مراكز البحث في الكثير من بلدان العالم، وقد امتاز ليس فقط بإنتاج أفكار ومفاهيم جديدة، بل ذهبت إليه عبقريته إلى توظيف أفكاره المركبة ذات الأساس الابيستمولوجي، خاصة مفهومه الجديد عن المعرفة والإنسان. لأجل التنظير لتأسيس منظومة أخلاقية وتربوية، لأنه يرى في هاذين المجالين بعد إنسانيا يمهد لبناء عالم أفضل للبشرية مهما اختلفت في الأفكار الإيديولوجية والثقافية والمعتقدية.

من هنا كان اهتمامنا بالبحث في فلسفة الأخلاق والتربية، انطلاقا مما قدمته هذه الشخصية البارزة، بغرض الوصول إلى بلورة نظرة متكاملة حول الفكر المركب، وكذا الأخلاق والتربية ، فارتأينا أن يكون موضوع بحثنا: << **الفكر المركب بين التنظير الأخلاقي والتطبيق التربوي عند ادغار موران** >>

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار موضوع بحثنا هذا:

أولا: نقص الأبحاث والدراسات والأطروحات الأكاديمية، التي تتناول هذا الموضوع.

ثانيا: اهتمامنا بهذا الموضوع كان رغبة مني في تقديم أفكار **موران**- حول الطابع المركب للأخلاق والتربية، والبحث فيها، بحثا علميا من خلال مؤلفاته، للوقوف على كيفية توظيفه للفكر المركب في وضع الأسس النظرية للفكر الأخلاقي، ثم تطبيقه في المجال التربوي.

لأجل دراسة موضوعنا هذا، قمنا بصياغة الإشكالية التالية: **إذا كان موران- بصدد التأسيس لبراديغم جديد مركب كبديل لمنظومة التبسيط، فما هي أسسه النظرية والتطبيقية في المجال الأخلاقي والتربوي؟**

للإحاطة الكاملة بالإشكالية، قسمناها إلى مجموعة من المشكلات الفرعية وهي كالأتي: **ماذا يقصد موران- بالفكر المركب؟ وما هي أسسه النظرية التي بلور على أثرها فلسفته الأخلاقية؟ وأين تكمن تطبيقاتها في إصلاح المنظومة التربوية؟ وماذا يأمل موران- من وراء هذا البراديغم الجديد؟**

و لمقاربة هذه المشكلات أسسنا بحثنا على الافتراضات التالية:

- إمكانية قيام نموذج فكري جديد يمكنه فهم التنوع والتعدد واللايقين، وكذا جمع ما شتته الفكر الكلاسيكي.

- إمكانية تأسيس أخلاق قائمة على الاعتراف بالتناقض والتعارض الثقافي، بالتالي بنائها على أساس التفاهم الإنساني.

- إمكانية كوكبة النظام التربوي، عبر توحيد المعارف الضرورية، وتأسيسه على الشرط الإنساني، والفهم البشري.

من اجل معالجة هذه الإشكالية، وما تتضمنه من مشكلات فرعية ، اعتمدنا على المنهج التحليلي، لإبراز حقيقة الفكر المركب في المجال الأخلاقي والتربوي عند **ادغار**

موران– اعتمادا على قراءة نصوصه الأصلية وتحليل أفكاره، والربط فيما بينها، بغية استخلاص نظرته الفلسفية في الأخلاق والتربية.

يتكون المحتوى المعرفي لهذا البحث من أربعة فصول في محاولة لمعالجة الإشكالية و الافتراضات المطروحة سابقا:

يحمل هذا الفصل عنوان: << **مدخل إلى الفكر المركب**>> حاولنا فيه رسم صورة متكاملة، للفكر المركب عند **ادغار موران**– حيث تطرقنا إلى إبراز أهم السمات العامة لفلسفته، وكذا مفاهيمه الفكرية الجديدة، من اجل الوصول إلى استيعاب مضمون البراديغم الجديد الذي يدعو إليه. وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: تطرقنا في المبحث الأول: إلى تبيان كيفية تبلور مشكلة التعقيد في الفكر الغربي المعاصر، في النظريات العلمية الجديدة المتمثلة في (نظرية الفوضى/ نظرية السبرنطيقا/ نظرية الاتصال/ نظرية الأنساق) و هنا قمنا بتبيان كيف كانت هذه النظريات أساسا علميا للفكر المركب وابيستمولوجيا التعقيد.

أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى دراسة فكر التبسيط وفكر التعقيد، حيث قمنا بعرض مفهوم منظومة البساطة، ومبادئها، ثم عرض حدودها ، وكيف تجاوزها العلم المعاصر، ثم عالجنا مفهوم الفكر المركب عند **ادغار موران**– وهنا توقفنا على تحليل بعض مصطلحات موران، تحليلا دقيقا، ثم انتقلنا إلى تقديم مبادئ الفكر المركب،كما طرحها من خلال كتابه المنهج في أجزائه الستة.

ليأتي المبحث الثالث المعنون ب: الإصلاح المنظوماتي للفكر ، حيث تطرقنا لإبراز الإصلاحات الفكرية التي قدمها **موران**– من خلال أعماله الفكرية، وهنا قمنا بعرض تصوره المركب للمعرفة، حيث درسنا طبيعة المعرفة، شروطها، وحدودها، أو ما يطلق عليه مبحث معرفة المعرفة، أي العلم الذي يبحث في شروط إنتاج المعرفة، كما

عالجنا مفهوم الإنسان كما يتصوره موران– كائن مركب متعدد الأبعاد، مفهوم يتعدى التعريف البسيط المتداول في تاريخ الفلسفة.

ثم يأتي الفصل الثاني الموسوم بعنوان: << **الفلسفة الأخلاقية المركبة عند ادغار موران** >> عالجنا فيه نظرة موران– الأخلاقية، القائمة على مفهوم التعقيد، حيث يرى في الأخلاق بعدا كوكبيا، واعتمدنا في ذلك على قراءة وتحليل كتابه المنهج– الجزء السادس، الذي يعتبر من الإسهامات الكبيرة التي عالج فيها الفكر الأخلاقي. وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

تطرقنا في المبحث الأول إلى موقف موران– الذي يدعو إلى إصلاح المنظومة الأخلاقية اعتمادا على مبادئ الفكر المركب، لان الفعل الأخلاقي يتسم بالتعقيد، حيث يعلن صراحة وجود أزمة تضرب أسس الأخلاق، بسبب النزعة المتمركزة على الذات وكذا الهيمنة الثقافية لبعض الشعوب على البعض الأخر. ليبرز في الأخير ملامح هذه الأزمة التي تتمثل في اللايقين والتناقض، ولتجاوز ذلك يقترح موران أخلاق التعقيد التي تستمد مصدرها من الطبيعة الثلاثية للكائن البشري (الفرد– المجتمع– النوع) . أما في المبحث الثاني فقد ركزنا على تقديم المبادئ الأساسية لترسخ دعائم الأخلاق كما يقترحها موران– وهي مبادئ لا يمكن أن توجد الأخلاق بدونها، حيث يرى أن بناء نظرة أخلاقية كوكبية، تستوجب مجموعة من الشروط، تتمثل في وجود الوعي والفهم، أي الوعي بالطابع المركب للكائن البشري، وضرورة فهم هذا الإنسان الذي يتداخل فيه، ما هو بيولوجي ونفسي واجتماعي: وهذا التشابك الذي يتميز به الإنسان يستدعي معرفة الفهم وعوائقه، وعندما يتوفر الوعي والفهم، يمكن وضع مبادئ الأخلاق، ونختم هذا المبحث بتقديم وصية الفهم الأخلاقي في مجموعة من النقاط كما قدمها **موران**– في كتابه الأخلاق.

لننتقل في المبحث الثالث إلى دراسة مفهوم انتروبو- أخلاقية، أو أخلاق الجنس البشري، ونبين أن موران- يرى أن الغاية من الأخلاق هي تحقيق وحدة النوع البشري، وما يطلق عليها اسم الإنسانية الكوكبية، لان الفعل الأخلاقي هو فعل يرتبط بالآخر، وبالنوع البشري، لان كل واحد منا يشعر بالانتماء إلى النوع البشري.

والفصل الثالث عنوانه: << **الفكر المركب وفلسفة التربية عند ادغار موران**>> عالجنا في هذا الفصل أسس ومبادئ التربية عند موران- وقد حاولنا إبراز مدى توظيف موران-لأسس الفكر المركب في المشروع التربوي، وبوجه الخصوص، بناء منظومة تربوية قائمة على المفهوم الجديد للإنسان ومعرفة، مرتكزا على مسالة الفهم الإنساني، حيث يرى موران- أن الفهم هو وسيلة وغاية التواصل الإنساني، فلا يمكن أن يكون هناك تقدم في مجال العلاقات بين الأفراد والأمم والثقافات، بدون فهم متبادل، ولفهم الأهمية الحيوية للفهم، يجب إصلاح العقليات، الشيء الذي يستلزم بطريقة متناظرة إصلاح التربية، كما يتضح ذلك في كتابه:" تربية المستقبل" ، إذ يتمحور الدور التربوي في تحقيق بعدين: معرفي إنساني، وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين:

تناولنا في المبحث الأول الدور المعرفي للتربية المستقبلية كما يرسمها موران- في كتابه الذي سبق ذكره، وهنا يدعو موران- المنظومة التربوية والأنظمة التعليمية إلى تعليم معرفة المعرفة، أي يجب تعليم طبيعة المعرفة وشروطها وحدودها، لان تعليم المعارف، دون السؤال عن المعرفة وشروطها إنتاجها، يؤدي انتاج صورة مشوهة عن المعرفة. في الأخير يحصر موران- دور التربية المعرفي في ثلاثة مهام: إبراز مصادر العمى والوهم، مواجهة اللايقينيات، وتقديم المعارف الملائمة للتعليم مثل المركب والسياق والمتعدد الأبعاد.

ثم انتقلنا في المبحث الثاني إلى إبراز البعد الإنساني للتربية المستقبلية، وكما قمنا بتوضيح كيفية توظيف موران- لمفهومه المركب عن الإنسان من خلال مبادئ تربية

المستقبل، المتمثلة في تعليم الشرط الإنساني، وكذا تعليم الفهم، وتعليم الهوية الأرضية، وهذه المبادئ يرى موران– أنها ضرورية لكل تربية مستقبلية تريد أن تكسب صلاحيتها ومشروعيتها، والهدف منها هو توسيع نطاق الفهم والتواصل بين الشعوب، وكذا الفهم الجيد للطبيعة البشرية.

أما الفصل الرابع الموسوم ب:<< **الفكر المركب بين التجلي والمأمول**>> تطرقنا في هذا الفصل إلى عرض رسالة الفكر المركب، وكذا الرسالة الأخلاقية والتربوية ،كما يتطلع إليها موران– حيث كان دائما على أمل أن يكون الفكر المركب نمطا فكريا، يساعد الإنسان على التفكير في المشاكل الشخصية والكوكبية، التي تطبع عالمنا المعاصر، إذ يؤكد في أكثر من موضع أن براديغم التعقيد لا يمثل نظرية أو إجابة ، بل منهج وأسلوب تفكير لتجاوز الأزمة التي تهدد البشرية اليوم. وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

عالجنا في المبحث الأول الغرض الابيستمولوجي للفكر المركب، والمتمثل حسب موران في تحقيق وحدة العلم، ليعلن الفكر المركب كبديل للفكر التبسيطي القائم على العزل والاختزال والفصل بين المباحث المعرفية، لذلك يقترح هذا البديل كفكر يهدف إلى جمع وربط ما شتته الفكر التبسيطي، حيث يعترف بالوحدة داخل التنوع، و بالتنوع داخل الوحدة.

ثم انتقلنا في المبحث الثاني إلى تقديم الآفاق المستقبلية للفكر المركب، والمتمثلة وتجاوز الأزمة الكوكبية وما خلفته النزعة التقنية من حروب ودمار، وفي هذا السياق يقترح موران– ضرورة العمل على مشروع لسياسة حضارية تقوم على الاعتراف بالآخر كقريب يشترك معنا في المصير المشترك، أي أننا نملك وطنا واحدا هو الكوكب أو الوطن– الأرض.

أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه إلى تقديم غاية التربية كما يتصورها موران– و المتمثلة في تحقيق وحدة النوع البشري، ما يستلزم ضرورة الانفتاح التعاطفي على الأخر، وكذا إدخال التسامح الثقافي بين المجتمعات، وكذا نفتح المجال لإيقاظ الوعي المؤسس لإنسانية الإنسان.

وجاءت خاتمة البحث عبارة عن أهم النتائج المستخلصة في البحث.

نشير أننا لا ندعي الكمال في هذا البحث، بل نؤكد انه بحث بسيط ومتواضع، علما أن كل بحث لا يخلو من عيوب ونقائص، لأن الإلمام الكامل لجوانب الفكر المركب أمر يحتاج إلى زمن من البحث والدراسة، لذا يكفي القول، إن كل كتاب لادغار موران– يحتاج دراسة معمقة ومستقلة، لا يمكن حصرها في بعض الصفحات.

الفصل الأول

الفصل الأول : مدخل إلى الفكر المركب

1- تطور مشكلة التعقيد في الفكر الغربي المعاصر

2- من منظومة البساطة إلى منظومة التعقيد

3- إصلاح المنظومة الفكرية عند ادغار موران

ترتكز الأعمال الفكرية للمفكر الفرنسي ادغار موران- على تبيان خاصية تعقيد العالم والإنسان(موضوعات الفكر)، مما يستلزم منهجا جديدا يتطابق مع هذه الخاصية، وهذا ما جعله يعيد النظر في الكثير من المفاهيم الأساسية التي تشكل الخطاب الابيستمولوجي والفلسفي على حد سواء، خاصة مفهوم النسق، النظام، المعرفة، البراديغم، الأخلاق وغيرها، وقد كان هدفه الأساسي الانتقال إلى نموذج فكري جديد، يعترف بطابع التعقيد الموجود في العالم والإنسان.

نشير إلى أن **موران**- أثناء قراءته للحقل العلمي والفلسفي قد أقر بهيمنة منظومة التبسيط التي قامت بتنظيم الكون عن طريق اختزاله في مبادئ ثابتة ومغلقة، ترفض التناقض والتحول واللايقين، هذا ما جعله يستشف ضخامة الإصلاح المنظوماتي للفكر الذي يعني الخروج من ابيستمولوجيا وانطولوجيا التبسيط إلى فضاء فلسفي وعلمي ومنهجي وأخلاقي، هو فضاء الفكر المركب. إذ يؤمن أن التحدي الأكبر للعلم المعاصر يتمثل في تغيير أسس الكون عن طريق تغيير أسس التفكير في الكون، ومادام الكون مركب ومعقد، لابد إذن من انطولوجيا وابيستمولوجيا مركبة.

إن منظومة التبسيط فيما يرى **موران**- باتخاذها النظام والثبات قد قامت بكبت حجم هائل من الأسئلة المتعلقة بالتجدد والتحول والصدفة والاختلال واللايقين والتناقض، وهذا الكبت قد أدى إلى تعقد مهمة فهم العالم والإنسان. وأكبر خطر شكلته منظومة التبسيط، هي أنها تحاول فهم الجمع الهائل من المركبات الدينامكية والصدفوية واللايقينية للعالم، بواسطة أدوات ومناهج الاختزال والتبسيط والوضوح. لكن بعد تطور العلوم المعاصرة وظهور فيزياء الكوانطا والعلوم النسقية، أضحى ضرورة ابتكار أدوات من اجل فهم الوجه الجديد للعالم، وهي الغائبة كليا في المنظومة التقليدية.

من هنا يدعو **موران**- إلى التفكير في منهج وأدوات البحث التي من شأنها أن تضع اليد على تعقيد العالم، وترفع التحدي لمواجهة هذا التحول والتنوع والصدفوية التي تبدو في

الظواهر، وطبعا هذا الإصلاح المنظوماتي للفكر يكون عبر تشكيل مفاهيمي جديد لابيستمولوجيا و أنطولوجيا جديدة هي فضاء الفكر المركب. ومن هنا تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من المشكلات التالية:

كيف تطورت مشكلة التعقيد في الفكر الغربي المعاصر ؟ وما هي أسس البراديغم الجديد الذي يدعوا إليه موران؟ وأين يكمن الإصلاح المنظوماتي للفكر ؟

1- تطور مشكلة التعقيد في الفكر الغربي المعاصر

ما هو التحدي الأكبر الذي على الفكر المعاصر مجابهته؟ هو السؤال المحوري والجوهري في فكر **ادغار موران**-، بحيث يقر أن العالم الذي نعيش فيه هو عالم مركب : تتبلج فيه كل مظاهر التعدد والتنوع، التناقض ،التحول، الصدفة، اللايقين والصعوبة...الخ. و هذه المظاهر هي التحدي الذي يفرض نفسه في العالم المعاصر، والفكر المركب ليس سوى نموذج معرفي يسعى إلى مواجهة هذا التعقيد .

يشير **ادغار موران**- منذ البداية على وجود صعوبة أثناء الحديث عن التعقيد، بحيث توجد صعوبة دلالية خاصة بالمصطلح . فإذا حددنا معنى ومضمون المصطلح، نكون قد استبعدنا هذه الصعوبة، و في اللغة الفرنسية نجد كلمة **complexe et complexité** ترجمت عادة هذه الكلمة ضمن السياق الموراني إلى كلمة المركب أو التعقيد (**ترجمة جمال شحيد لكتب موران المنهج الجزء الثالث والرابع)** ، وهناك كلمة **complication** ترجمت إلى العربية الصعوبة. و نشير في هذا المقام إلى أن **موران**- يستخدم الكلمة الأولى بمعنى واسع، أي ما هو مجموع ومترابط ، فالمركب من المنظور الموراني ليس الصعب والغامض، بل ما هو كل منسوج ، يقول في تعريف المصطلح:

<< في أول وهلة فالتعقيد هو نسيج، قريب من الكلمة اللاتنية complexus (ما نسج ككل) من المكونات الغير المتجانسة،المجتمعة التي لا يمكن الفصل فيما بينها>> [1]

تكمن الصعوبة الثانية في أن مصطلح المركب غائب تماما في الأبحاث العلمية لفلاسفة العلم، يقول **موران**- في كتاب علم و وعي : **<<** إن مشكلة التعقيد بقيت فكرة هامشية في الفكر العلمي والابيستمولوجي، كانت تدور حول مسألة العقلانية والعلمية واللاعلمية، ولم تكن قط مسألة التعقيد، ..... رغم وجود مثال استثنائي هو غاستون باشلار الذي

[1] - Edgar Morin, **Introduction a la pensé complexe**, Editions seuil , Paris , France , 2005, p 21.

اعتبر التعقيد مشكل أساسي، و في نظره لا يوجد أي شيء بسيط في الطبيعة، لا يوجد سوى المبسط ، لكن هذه الفكرة المفتاحية لم تتطور بصفة خاصة من طرف باشلار، بل بقيت فكرة منعزلة. >>[1]

لقد تأسس العلم على تجريد الموضوعات من طابعها المركب لأجل وضعها في مجال التجريب لاكتشاف الطبائع البسيطة، ونسبها إلى قوانين عامة وبسيطة. لكن في المقابل يعترف العلم أن التعقيد يفرض نفسه بصورة واضحة، وقد كان **باشلار Bachelard-g** أول من أشار إلى وجود الطابع المعقد في الطبيعة ، وأن مهمة العلم هي إزالة هذا التعقيد عن طريق اجتثات العناصر من محيطها المركب .

من هنا يقترح نموذج فكري جديد مركب، يراعي هذا التركيب ، يدرس الموضوعات دون فصلها أو عزلها عن بعضها البعض. ليعلن أن الفكر المركب هو نسج الموضوعات والتخصصات. إذن الفكر المركب أو براديغم **paradigme** التعقيد له مرجعية علمية وفكرية مرتبطة بظهور نظريات علمية معاصرة جديدة، كانت لها إسهامات كبيرة في تبلور مشكلة التعقيد، هي نظريات التعقيد.

[1] - Edgar Morin, **Science avec conscience**. , Editions Seuil , Paris ,France , 1990, p 163.

1-1- نظرية الفوضى:

تمثل نظرية الفوضى**théorie de chaos** إحدى النظريات العلمية الجديدة التي عبرت عن مستوى التعقيد الموجود في الكون، كما جاءت لدحض المنظومات الفكرية الكلاسيكية التي كانت تختزل هذا التعقيد في العناصر والمكونات البسيطة. وهذا الاختزال كان في الحقيقة يتمثل في مفهوم النظام الذي كان أحد مرتكزات العلم التقليدي، أما اللانظام فقد كان في نظر العلم الكلاسيكي يعبر عن جهلنا بالظواهر، وليس تعبيرا عن تعقيد الظواهر.

<< مفهوم النظام قد نشأ من التصور الحتمي والميكانيكي للعالم، لذا اللانظام هو نتيجة لجهلنا المؤقت. بحيث يوجد وراء هذا اللانظام، نظام خفي يجب الكشف عنه>>[1] ، لهذا كان العلماء يشتغلون على إمكانية الكشف عن النظام داخل اللانظام، غير أن هذه النظرة قد تغيرت في القرن العشرين، حيث لاحظ العلماء وجود ظواهر طبيعية معقدة لا يمكن تفسيرها بقوانين الميكانيكا الكلاسيكية، بالتالي أصبحوا يبحثون عن اللانظام وراء النظام، فظهرت نظرية الفوضى. يقول **جيمس غليك** في كتابه علم اللاتموقع:

<< نظرية الفوضى تمنح طريقة جديدة للتفكير في المعلومات القديمة، وخصوصا تلك التي أهملت بسبب خروجها عن المألوف، كما انتشر إحساس بأن الإفراط في تفريغ التخصصات علميا يشكل عائق أمام بحوثهم، ولمست إعداد متزايدة من العلماء، أيضا عبثية التركيز على دراسة الأجزاء بمعزل عن الصورة الكلية، وبالنسبة لهؤلاء إنها الأسلوب الاختزالي في التفكير علميا >>[2]

---

[1] - Edgar Morin et Jean- Louis- lomoigne , **l'intelligence de la complexité**,Edition l'harmattan, Paris , France ,1999, p 319.

[2] - جيمس غليك، **نظرية الفوضى** ، ترجمة: محمد مغربي ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص 360-361.

من هنا لاحظ العلماء وجود ظواهر طبيعية كانفجار البراكين وتشكل السوائل والتقلبات المناخية وانطلاق الغازات وتشكل الغيوم وغيرها. بالإضافة إلى الظواهر البشرية (وفيات، حروب، أزمات)، كل هذه الظواهر تضرب مثالا عن الفوضوية في الطبيعة، ما يجعل تحديدها والتنبؤ بها أمر غير ممكن، من هنا رفض العلماء النظرة الاختزالية، لأن هذه الظواهر التي ذكرناها تدخل في مجالات معرفية عديدة، لذلك فكر العلماء في علم يدرس هذه الفوضى فظهرت نظرية الفوضى.

وقد كانت الجذور الأولى لنظرية الفوضى قد استمدت من دراسة النظم الديناميكية اللاخطية، وهي نظم ذات خواص محددة جرى دراستها من قبل علماء الرياضيات لأكثر من قرن. وخلال الثلاثون سنة الماضية، لوحظ اهتمام الباحثين بدراسة هذه النظم في الحقول العلمية المختلفة على سبيل المثال: الفيزياء والكيمياء، والاقتصاد، وكان الاهتمام مركزا على قدرة هذه النظم على تسيير الأشياء التي تبدو غريبة، وتوصف بأنها عشوائية وفوضوية، ولا يمكن توضيحها بالنماذج التقليدية.[1]

إذن نظرية الفوضى طريقة يمكن استخدامها لدراسة النظم المعقدة والديناميكية لكشف أساليب *الترتيب الغير الفوضوي من خلال التصرفات المشوشة للظاهرة، فهي دراسة نوعية للسلوكات الغير المنتظمة والغير المستقرة في أنظمة حتمية لا خطية.

يتحدد إذن موضوع نظرية الفوضى في دراسة النظم المعقدة والديناميكية التي تعرف بأنها نظم لاخطية، أي أن المعادلات التي تصف المنظومة، هي التي تحددها إذا كانت خطية **linéaire** ولاخطية **non linéaire**، بحيث تكون المنظومة خطية إذا كانت كل المعادلات التي تصفها لا تحوي أي من المتغيرات أي معادلات تفاضلية، وهي تقبل التحليل وإعادة التركيب من/ إلى منظوماتها الجزئية، وهي تلك التي لا تختلف نهايتها عن بدايتها، مما

[1]- مؤيد السادي و حسن علوان، **<< التقارب الجدلي لنظريتي الفوضى والتعقيد>>** ، مجلة التقني، العدد الخامس ، 2014، ص 23-24.
نشأت نظرية الفوضى كفرع علمي قائم بذاته، من الأبحاث التي قام بها الرياضي الأمريكي ادوارد لورانتس (1917-2008) كان يشتغل *راصدا للجو لصالح القوات الأمريكية.

يمكننا من التنبؤ بها. أما المنظومة اللاخطية فهي التي لا يمكن إعادة تركيبها من/ إلى منظوماتها الجزئية، باعتبار أن مكوناتها تشكل كلا مترابطا، فلا يمكن لأي جزء من المنظومة أن يتغير إلا وينتج تغيرها في المنظومة ككل، ومن ثمة لا يمكننا التعامل معها كمجموعة أجزاء منفصلة عن بعضها.[1] وهكذا تكون الأنظمة اللاخطية في غاية التعقيد، لا يمكن التنبؤ بها، لأن حركة هذه النظم تتجه صوب العشوائية في صورة فوضى، لتكون القوانين كلها عاجزة عن تفسيرها.

هناك نظم بسيطة تسمى نظم خطية، يكون فيها النظام مساويا لمجموع أجزائه، تخضع لقوانين بسيطة تحديدية ومضبوطة تماما، تكون قابلة للتنبؤ، وهناك نظم معقدة لاخطية غير مستقرة، تتغير باستمرار، وغير تحديدية ومضبوطة تماما تكون قابلة للتنبؤ، وهناك نظم معقدة لاخطية، غير مستقرة وتتغير باستمرار وغير قابلة للتنبؤ لأنها تتأثر بعوامل خارجية عشوائية.[2]

هذه النظم اللاخطية هي نظم مفتوحة، غير مستقرة تتسلم الطاقة من الخارج وتسربها إليها، بمعنى هي أنظمة في حالة حركة مستمرة، نتيجة اتسامها بالتفاعلات العشوائية الفوضوية. لهذا تعتني نظرية الفوضى بالتنظيمات والأعمال المعقدة، الديناميكية، الغير الخطية، المبدعة والبعيدة عن اتزان النظم ، إذ لا يمكن التنبؤ الدقيق بمستقبلها.

على هذا الأساس تكون نظرية الفوضى، من أحدث النظريات الرياضية الفيزيائية التي تتعامل مع الأنظمة التي تبدي نوعا من السلوك العشوائي. وتحاول النظرية أن تستشف النظام الخفي المضمر في هذه العشوائية الظاهرة، محاولة وضع قواعد لدراسة مثل هذه النظم والتنبؤات الجوية والنظام الشمسي، واقتصاد السوق.[3] إذن نظرية الفوضى جاءت كاتجاه جديد في العلوم، كانت بمثابة مفتاح جديد للمعرفة العلمية، هذه المعرفة تضفي

---

[1]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد ، اطروحة دكتوراه** ، جامعة وهران 2 ، 2016 ، -ص 113-114.

[2]- المرجع نفسه ص 115.

[3]- اسماء نيازي و بيمان فؤاد، **<<نظرية الفوضى و توليد الشكل المعماري>>** ، مجلة الهندسة، العدد 1، جامعة القاهرة، 2010، ص801.

إلى وجود عشوائية خفية وراء النظام داخل الظواهر، وهذه العشوائية تضرب مثالا عن مشكلة التعقيد الذي يكمن في هذه الظواهر.

1-2- نظرية السبرنطيقا:

تعتبر السبرنطيقا **la cybernétique** إحدى النظريات العلمية المعاصرة الجديدة التي تنظر إلى طبيعة المعرفة بنظرة معقدة، ومصطلح سبرنطيقا اخذ من الكلمة اليونانية **kubernetike** التي تعني فن التوجيه. السبرنطيقا أو نظرية آليات التوجيه، قدمت في سنة 1948من طرف عالم الرياضيات **نوربرت فينار***، كلمة سبرنطيقا هي كلمة جديدة تستند على الكلمة اليونانية **kybernetes** التي تعني مدير الدفة في السفينة، هذه النظرية تحاول أن تبين سلوك الآلات، وأيضا الظواهر البيولوجية والاجتماعية، والرد الفعلي يمثل ردود الأفعال في صورتها السلبية التي تساعد على استقرار النسق، وفي صورتها الايجابية تساعد على توسيع النسق، وهناك الكثير من الأمثلة عن ردود الأفعال هذه في الظواهر البيولوجية،الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية، بحيث تساعد هذه الصورة التنظيمية على استقلالية النسق.[1]

يعود ظهور "**السبرنطيقا**" خلال الحرب العالمية الثانية إلى أسباب عسكرية حيث واجهت القوات العسكرية الأمريكية صعوبة في مواجهة و إسقاط الطائرات الألمانية، بسبب قدرتها الهائلة على المراوغة، فتصدى فريق من العلماء لمواجهة هذه المشكلة ، وكان **نوربرت واينر norbert wiener** * واحدا من أعضاء هذا الفريق، فتمكن من إنشاء جهاز مكون من أرضية وآلة حاسبة ، والفكرة تكمن في تزويد الآلة الحاسبة بمعلومات مستمرة حول موقع الطائرة، ومن ثمة تحديد موقعها اللاحق، وقد كان واينر مهتما بميكانيزم التوجيه، معتمدا في ذلك على التطورات المعاصرة في مجال هندسة الاتصال والجهاز العصبي والكومبيوتر، ليؤسس علم جديد عن السيطرة والتوجيه.[2]

---

[1] - Chrétienne cleret de langvant , **méthode et complexité en bioéthique**, Montréal, Canada, 1999, p 58.

* نوربرت واينر (1894-1964) عالم رياضيات أمريكي متخصص في الآليات المضادة للطيران.

[2]- اسماء نيازي و بيمان فؤاد، << **نظرية الفوضى و توليد الشكل المعماري>>**، مجلة الهندسة، العدد 1، جامعة القاهرة- 2010 ص802.

إذن فان السبرنطيقا هي إحدى النظريات الرياضية التي تهتم بدراسة عمليات الاتصال، والمرسل المعلوماتي من أجل ضبطها والحفاظ عليها . فقد نشأت في الأربعينيات من القرن 20م ، لحل مشكلة التحكم في المسار العشوائي للقذائف العسكرية حلا رياضيا، غير أن الأمر في غاية التعقيد، لان القذائف تتميز بالعشوائية في مساراتها.[1] من أجل معالجة هذه المشكلة، كان لزاما على العلماء تجاوز بعض القوانين العلمية الكلاسيكية. و يتعلق الأمر هنا، بقانون السببية الخطية، إذ عمل **واينر** على استبدالها بالسببية الدائرية .

<< هذه النظرية تمثل في حد ذاتها نظرية في الآلات المستقلة، فقد قطعت فكرة رد الفعلي الراجع، التي ادخلها نوربرت فينار مع مبدأ العلية الخطي، عندما استبدلها بفكرة العلية الدائرية (ب) تؤثر على (ج) و(ج) تؤثر بالدور على(ب)، أي أن العلة تؤثر في المعلول، وهذا يؤثر بدوره في العلة، كما هو الحال في جهاز التدفئة، حيث يقنن مثبت الحرارة اشتعال مولد البخار، إن هذه الآلة المسماة بالتقنين هي التي تسمح باستقلالية الجهاز، في حالتنا هذه الاستقلال الحراري للشقة بالنظر إلى الحرارة الخارجية.>> [2]

وهكذا استطاع واينر أن يتجاوز النظرة القديمة للسببية التي تنظر إلى العلاقة على أساس خطي أي السبب (ب) هو نتيجة ل(ج) ، لكن السببية الدائرية ، أي يكون (ب) سببا ونتيجة ل(ج) في الآن نفسه، أي هناك ارتداد أو تأثير متبادل، كونهما سبب ونتيجة في نفس الآن.

لقد وضع هذا العلم الأسس المنهجية لنظرية التعقيد، وأصبح من أهم مبادئها قابليتها للتطبيق في أطار مجالات معرفية متعددة، والتعامل مع الصلات والتداخلات فيما بينها، والنظرية الكلية (تبادل البسيط في أطار المركب) وان لها قيمة تطبيقية عالية خاصة فيما يتصل بحل المشكلات واتخاذ القرار.....الخ[3]

---

[1]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 132.

[2] - Edgar Morin et luis le moine, l'**intelligence de la complexité**, p 324.

[3]-انظر داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 135.

يرى **ادغار موران**–أن نظرية السبرنطيقا تعترف بالتعقيد، وتنظر إلى النسق على أنه مجموعة من التداخلات والتفاعلات بين العناصر بعضها البعض، وبين المجال البيئي، لتكون صيغة مركبة. و تعتبر العلبة السوداء أول شكل من أشكال النسق، بحيث تسمح للباحث بتحديد المدخل والمخرج انطلاقا من معرفة العلاقة التي تربط بين النسق والمحيط البيئي.

اعترفت السبرنطيقا بالتعقيد من أجل تحييده ووضعه بين قوسين، لكن من دون نفيه، انه مبدأ العلبة السوداء، حيث يتم النظر إلى مداخل ومخارج النسق، الشيء الذي يسمح بدراسة نتائج اشتغال نسق معين، والتغذية الذي هو بحاجة إليها، وربط الصلة بين المداخل والمخارج من دون فك لغز العلبة السوداء. مع ذلك فالحال أن المشكلة النظرية للتعقيد هي إمكانية ولوج العلبة السوداء، أي النظر إلى التعقيد التنظيمي والتعقيد المنطقي. هنا لا تكمن الصعوبة فقط، في تجديد تصور الموضوع، بل في قلب الأفاق الابيستمولوجيا للذات أي الملاحظ العلمي، لقد كان الهدف الأول للعلم حتى الآن، إزالة عدم الدقة والغموض والتناقض[1]

إن الفكرة الأساسية التي قامت عليها السبرنطيقا هي فكرة النسق أو المنظومة*، من هنا يرى موران– أن مفهوم النسق مفهوم أساسي وجوهري في علم التحكم الآلي، لأن معرفة الأجزاء المكونة للنسق معرفة عميقة، وكذا تحديد العلاقة التي تربط بين هذه الأجزاء بعضها البعض، يسمح بالضبط المعلوماتي لعمل النسق، وبالتالي إمكانية التوجيه والتحكم، من هنا يتخذ موران– مفهوم النسق كعنصر ضروري لمعالجة مشكلة تعقيد موضوعات الفكر.

---

[1] - ادغار موان، **مدخل الى الفكر المركب** ، ترجمة: احمد القصوار و محمد المحجوبي، دار طوبقال للنشر ، المغرب ، ط1، 2004، ص 38.

-- ويعرف النسق في القاموس الفلسفي على انه مجموعة من العناصر المتداخلة والمترابطة بعضها البعض تعمل وفق نظام معين ، لأجل تحقيق هدف محدد ، وعليه فالنسق يتكون من عاملين هما: الأشياء والعلاقة التي تربط بين الأشياء .

كان من ابرز نتائج التحكم الآلي (السيبرنيطيقا)، ظهور الذكاء الاصطناعي **intelligence artificielle** المتمثل في الآلات الذكية التي يمكن لها أن تعوض الإنسان في القيام ببعض الأعمال، بمعنى تقوم الآلة بما ينجزه الإنسان من عمليات ومهام عقلية، من خلال وضع برامج قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء. ويعتبر الرياضي الانجليزي **الان تورينغ alan turing** ابرز المساهمين في ظهور هذا العلم، حيت يعد أول من صمم آلة ذكية تتألف من ثلاثة عناصر : شريط إدخال ، وشريط إخراج ومعالج مركزي، تسمح لهذه الآلة بالقيام بعدة أعمال محددة. لذلك يقوم الذكاء الاصطناعي بعمل يوازي عمل الإنسان، يهدف إلى إحلال الآلة محل الإنسان.

فقد استطاع هذا الاكتشاف أن يتماثل بعض السلوكات التقريبية إلى مواقف حقيقية من جهة، وكذا السماح بتوسيع أجهزة الكومبيوتر للمشاكل الأكثر تعقيدا، ونشير أن هذا الاكتشاف قد تطور بالاعتماد على تطور علوم الرياضيات وعلم الأعصاب والتحكم الآلي، ليبين هذا المجال أن طبيعة المعرفة مركبة.[1]

عموما فالذكاء الاصطناعي هو أسلوب تم إطلاقه على مجموعة من العمليات والطرق الجديدة في برمجة الأنظمة الحاسوبية، تهدف في الأساس إلى تطوير أنظمة من شأنها أن تحاكي بعض ملامح الذكاء الإنساني، بحيث تساعد على القيام ببعض العمليات الحسابية والاستنتاجية عن حقائق يتم تسجيلها والحفاظ عليها في ذاكرة الحاسوب. إذن الذكاء الاصطناعي إلى جانب نظرية التحكم الآلي هما من العلوم الجديدة المنفتحة على غيرها من العلوم، كما تبين مدى تعقيد النسق المعرفي المعاصر.

1- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 137 - 139.

1-3- نظرية الإعلام والاتصال:

كان لنظرية السيبرنيطيقا نتائج باهرة في تقدم العلم المعاصر، والاهم من ذلك كانت السبب الرئيسي في ظهور نظرية الإعلام والاتصال **théorie de l'information** التي تعرف بشكل خاص (نظرية الاتصال الرياضية) . ظهرت عام 1948 من طرف **كلود شانون** ***shannon cloud**. وفي تعريف مصطلح الاتصال يقول شانون 1949:" الاتصال يمثل كافة الأساليب والطرق التي يؤثر بموجبها عقل في عقل أخر باستعمال رموز".[1] في هذا السياق يقول موران-:

<< نظرية الإعلام أداة لمعالجة المفاجأة وغير المتوقع، ذلك أن المعلومة التي تعلن الفائز في المعركة تحل مشكل اللايقين، والتي تخبر بالموت المفاجئ لطاغية تأتي بغير المتوقع والجديد في نفس الوقت، يسمح مفهوم المعلومة بالدخول في عالم يوجد فيه النظام (التكرار) واللانظام (الضجيج) وأن يستخرج منها الجديد. إضافة إلى أن المعلومة يمكن أن تتخذ صيغة تنظيمية (تبرمج) في ثنايا ألة ربانية، فتصبح حينئذ المعلومة هي التي تتحكم في الطاقة وما يمنح الآلة استقلالية >>.[2] و قد كان لهذه النظرية تأثير معتبر على الأبحاث البيولوجية واللسانيات وعلم النفس، في الفنون، في الإعلام، وفي علم الاجتماع.

---

[1]- عماد مكاوي وعاطف عادل العبد، << **نظريات الإعلام>>** ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، مصر، 2007، ص 3.

[2] - Edgar Morin et luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**, p p 323-324.

- * كلود شانون(2001/1916) عالم ورياضي أمريكي، مؤسس نظرية المعلومات، اهتم بالهندسة الالكترونية.

- * كلمة اتصال مشتقة من الأصل اليوناني communis بمعنى عام شائع أو يذيع عن طريق المشاركة، فنحن عندما نتصل نعمل على إقامة مشاركة مع طرف أخر في المعلومات والأفكار والاتجاهات، وتحمل في اللغة العربية المعنى نفسه حيث تشير إلى إقامة الصلة بين أطراف عملية الاتصال، أما كلمة إعلام تقتصر على التعبير عن ظاهرة. الاتصال الواسع، لأنها إدلاء من جانب واحد لا يعبر عن التفاعل والمشاركة في حين أن كلمة اتصال تعني التفاعل والمشاركة. (انظر حسن عماد مكاوي – نظريات الإعلام).

لقد أطلق على هذه النظرية اسم (الاتصال الرياضية)، لأنها قامت على فكرة إمكانية ضبط المعلومة رياضيا، اعتمادا في ذلك على مفهوم الفوضى، وهذا يعني تقييم عملية الاتصال المعلوماتي مع الأخذ في الاعتبار أشكال الاضطراب التي تؤثر على قنوات الاتصال، تماما كما يحدث في الأنظمة المعقدة الأخرى. لأنه في نظر شانون– أن مشكلة الاتصال تكمن في إعادة إنتاج رسالة ما بطريقة دقيقة من نقطة تمثل(المصدر) إلى نقطة أخرى تمثل(النهاية)، أي حاول ابتكار طريقة خطية لنقل المعلومات، ويرتكز على الوحدات التالية: مصدر المعلومة يقوم ببث الرسالة ، **المرسل** يحول الرسالة إلى إشارات قابلة للإرسال، **القناة** تمثل وسيلة نقل الإشارة ، **المتلقي** يقوم بإعادة بناء الرسالة، **الوجهة** هو متلقي الرسالة، والهدف كان رسم إطار رياضي يمكن من حساب تكلفة اتصال ما بين وحدات هذا النظام في سياق اضطرابات عشوائية تسمى الفوضى.[1]

لهذا يكون الاتصال ضمن النموذج الشانوني تنظيم يرتكز على أربعة عناصر أساسية هي المرسل **émetteur** (علامة تجارية، تنظيم، شخص) ينقل رسالة **message** لمستقبل أو مجموعة من المستقبلين **récepteur**(الجمهور المستهدف **la cible**) ، بواسطة قناة الاتصال **canal de communication** للكلام بالنسبة للتلفزيون والصحف. وهذه العملية في نظر **شانون**– ينبغي أن توضع ضمن نموذج رياضي، حيث يتم صياغة العملية الاتصالية بلغة رياضية دقيقة.

تتعرض عملية الاتصال لمجموعة اضطرابات عشوائية (الفوضوية) أو التشويش، ويعتبر التشويش كل اضطراب عشوائي يدخل ضمن عمليات إيصال المعلومات، فيؤثر سلبا على الرسالة، فالضوضاء إذن فوضى تصبح مصدرا للأخطاء، بفعل تأثيرها على

[1]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 144-145.

الرسالة، ويمكن لتراكم الضوضاء الكبير أن يثير اضطراب النظام بواسطة توصيل المعلومات.[1]

وهكذا يري **موران**– أن بين المرسل والمتلقي هناك فضاء مضطرب هو الضجيج، هكذا تكون منظومة الاتصال منظومة في غاية التعقيد، لا يمكن اختزالها في متغيرين أو الضجيج وهذا الأخير يعرقل عملية إيصال المضمون المعلوماتي للرسالة ، وهكذا تكون نظرية شانون– إحدى العلوم التي تكسف احد الأسباب الرئيسية للأخطاء والأوهام. مجموعة قليلة من المتغيرات يمكن فهمها خطيا، هذا ما أدى إلى تبني فكرة النموذج الدائري(اللاخطي) الذي ينظر إلى مستوى التعقيد والأنظمة اللاخطية (اللاخطية= السبب يؤثر في نتيجته في نفس الوقت الذي تؤثر فيه النتيجة في السبب).[2]

لذا فكل عملية اتصال، يتسرب إليها الضجيج (الفوضى)، فكان الهدف الأساسي من نظرية الاتصال المعاصرة هو إيجاد علاقة تعايش بين النظام واللانظام بإدخال المفهوم اللاخطي أي الدائري، أين يكون الضجيج (**le bruit**) يؤثر في عملية نقل المعلومة، كما يولد هذا الضجيج عمليات اتصال جديدة.

عموما فقد فتحت نظرية الاتصال الرياضية أفاقا جديدة لتطور العلوم، حيث بينت طبيعة التعقيد الموجود في نسق الاتصال، كما أدت إلى انفتاح التخصصات العلمية على بعضها البعض من فيزياء ورياضيات، علوم اللغة ، البيولوجيا، والعلوم الإنسانية.

[1] - Edgar Morin, **le défit de la complexité** , conférence a l'usi , 2014.

[2] -داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 145.

1-4- نظرية الأنساق العامة:

ظهرت نظرية الأنساق **théorie des système générales** نتيجة وامتدادا لنظريات(الفوضى، الإعلام والسيبرنطيقا) من طرف العالم النمساوي **لودفيغ فون برتالانفي*** عام 1968، ساهمت هذه النظرية في تقديم مفهوم عام عن النسق* باعتباره الكل الذي لا يمكن الفصل بين أجزائه.[1] وهكذا تكون نظرية النظم العامة تنظر إلى العالم على أنه كل مترابط لا يمكن الفصل بين العناصر المكونة له ، أو هو كيان قائم بذاته ينظر إليه من ناحية علاقاته بالكيانات الأخرى والتي تؤثر وتتأثر به، كذلك ترى أن هذا الارتباط القائم بين الأجزاء المكونة لأي نسق يؤدي إلى وجود خصائص جديدة في النسق، هي بالضرورة نتيجة لهذا الارتباط المتبادل بين العناصر المكونة للنسق.

لاحظ هذا العالم أن الأنظمة الحية تختلف تمام الاختلاف عن الأنظمة المادية التي يدرسها العلم النيوتوني، فهي أنظمة مفتوحة جوهريا، أي تتفاعل مع محيطها عن طريق تبادل المادة والطاقة لآجل المحافظة على توازنها والاستمرار في الحياة [2]. بمعنى تنظر هذه النظرية إلى النسق االأنساق الحية على أنها أنساق مفتوحة دائماً لا تصل إلى درجة الانغلاق، بحيث تسمح بمرور الطاقة. من محيطها الخارجي، أي من البيئة المحيطة.

إن الأنظار في الأنساق المفتوحة، تتجه نحو البيئة، بحيث لا يتعلق الأمر هنا بمعرفة أن البيئة موجودة، بل بادراك أن النسق المفتوح بحد ذاته يقوم على علاقات ما بين النسق والبيئة، وأن هذه العلاقات ليست ساكنة، بل ديناميكية في الوقت عينه، وكأنها قنوات توجيه الارتباطات السببية، لهذا لا يمكن للنسق أن يكون بمعزل عن بيئته، والعكس يؤدي

---

[1] - Chrétiene cleret de lanvant , **méthode et complexité en bioéthique** , p 59.

- * لودفيغ فون برتالانفي von bertalanffy (1909-1972) ، عالم إحياء نمساوي ، وضع نظرية الأنساق العامة، (نظريات حديثة للتطور).

[2] - داود خليفة ، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 148.

بالنسق نحو الاعتلاج.[1] إذن تقوم فكرة النسق المفتوح على تفاعل النظم مع البيئة الخارجية، أي أن كل نسق يحتوي على بيئته الخاصة التي يستمد منها الطاقة والمادة، تسمح له أن يتميز عن باقي الأنظمة الأخرى، عكس النسق المغلق الذي لا يتوفر على مصدر طاقي مادي خارجه.

إن النسق المفتوح هو في الأصل مقولة ديناميكية حرارية تمثلت ميزتها الأولى في التمكين من الإحاطة بكيفية سلبية بحقل تطبيق المبدأ الثاني الذي يتطلب النسق المغلق، أي النسق الذي يثير الاهتمام مطلقا، انه منذ ذلك الوقت كان بالإمكان تمثل عدد معين من الأنساق الفيزيائية، وخاصة الأنساق الحية، كأنساق يتوقف وجودها وبنيتها على تغذية خارجية، أما الأنساق الحية فهي ليست فقط مادية طاقية، ولكن تنظيمية/ إعلامية أيضا.[2]

من هنا تتسم الأنساق العامة بالعشوائية بحيث تستورد الطاقة وتصدرها إلى الخارج عن طريق عملية تسمى الطاقة الخارجية، وعن طريق الطاقة الداخلة والخارجة يتم التفاعل بين الأنساق الحية وبين البيئة الخارجية. ويتمثل تفاعل النسق مع البيئة الخارجية عن طريق عمليتي استيراد وتصدير الطاقة التي عن طريقها تُقوم الأنساق أدائها في المحيط التي تعيش فيها.

يمكن القول أن نظرية الأنساق العامة تمكن من إقامة التماثل بين أنواع مختلفة من المنظومات عن طريقة شبكة من المعلومات، فالمجتمع مثلا يمكن مماثلته بالكائن الحي، ويمكن مماثلة الدماغ بالحاسوب، ولهذا كانت نظرية الأنساق العامة باعتبارها نظرية لتحقيق النظام بشكل مستقل عن نطاق موضوع معين، ومن ثمة الدعوة إلى توحيد العلوم من الفيزياء إلى علم الأحياء إلى علم النفس وعلم الاجتماع، لا بالنظر إلى المكونات

[1]- نيكولاس لومان، **مدخل إلى نظرية الأنساق** ترجمة: يوسف حجازي ، منشورات الجمل ، بغداد، الطبعة الأولى، 2010، ص 84.

[2] - إدغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 24.

المادية المشتركة، بل بالنظر إلى أنواع المنظومات التي هي ذاتها مشتركة بين الظواهر المختلفة.[1]

من هنا تنظر نظرية النظم العامة إلى المنظومات باعتبارها بنية هرمية أي تسلسل هرمي بين أجزاء المنظومة، يظهر أبسط نوع للنظم في قاعدة الهرم، وأكثرها تعقيدا في قمته، ولفهم الطبيعة الحقيقة لآي منظومة لا يهم إذا كان المسلك تنازليا من الكل إلى الأجزاء ، أو تصاعديا من الأجزاء إلى الكل، بل من المهم النظر إلى التكامل الذي يراعي السياق الأوسع للنظام في علاقاته مع الأنظمة الأخرى، يفترض ذلك تطبيق السببية الدائرية، لأن النظام الأعلى يفترض التماسك والتنسيق بين المكونات، وهذا معناه أنه ليس الكل هو فقط من يحدد خصائص أجزائه، ولكن سلوك الأجزاء أيضا هو من يحدد الكل.[2] إذن أي تغير يطرأ على أي عنصر من العناصر المشكلة للنظام، يؤدي بالضرورة إلى حدوث تغيير في النظام بصفة عامة، كما يؤدي إلى حدوث تغيير في العناصر الأخرى المشكلة لنفس النظام.

هذه النظريات العلمية الجديدة (نظرية الفوضى، الإعلام، والسبرنطيقا، ونظرية الأنساق العامة)، ظهرت من أجل التفكير في الظواهر ذات مستوى عالي من التعقيد، أي تلك الأنظمة التي تتركب من أجزاء أو ظواهر متفاعلة بعضها البعض، بحيث يستحيل اختزالها في أجزائها البسيطة، عموما حتى لو كانت الأجزاء المكونة لمنظومة معينة تدخل في حيز البساطة إلا أن العلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء تتسم بطابع التعقيد.

لهذا كانت لنظريات التعقيد التي وضعها العلماء في العصر الحديث، دورا هاما في تطور المعرفة العلمية في كل مجالاتها، بحيث وضعت التعقيد في الاعتبار، كما حطمت القيود المنهجية والانطولوجية التي وضعتها أدوات منظومة التبسيط والاختزال، بالتالي الخروج

[1]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 149.
[2]- المرجع نفسه ، ص ، 149-150.

إلى فضاء ابستمولوجي ومنهجي وانطولوجي جديد هو فضاء الفكر المركب. إن مفهوم الفوضى الذي جاءت به نظرية الفوضى هي فكرة محورية تعبر عن وجود اللانظام إلى جانب النظام، مما يفضي إلى القول بالعشوائية في الظواهر، كذالك أقرت السبرنطيقا بفكرة الارتداد والمراوغة واستحالة التحديد والتنبؤ، وعبرت نظرية الاتصال عن الضجيج الذي يعبر عن مبدأ اللايقين، وفكرة النسق المعقد الذي جاءت به نظرية الأنساق العامة، ونشير أن مفاهيم : اللامتوقع/ اللايقين/ الفوضى/ الضجيج/ العشوائية / النسق هي المفاهيم الأساسية التي قام عليها الفكر المركب عند **ادغار موران**– وهذا ما نفصل فيه في المبحث الثاني.

2- من منظومة البساطة إلى منظومة التعقيد:

إن ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى هو العقل **la raison** ، وهذا ما يتحدد في إنتاج الأفكار، إذن كما قال ديكارت: << الإنسان كائن مفكر>>، ويتمثل الفكر الإنساني في ذلك المجموع الهائل من الأفكار التي أنتجها العقل البشري خلال حقبات تاريخية متعاقبة، أين بدأ الإنسان يسجل ملاحظاته عن ذاته ومحيطه وعالمه، وقد استطاع الإنسان بفضل هذا الإنتاج الفكري أن يسيطر على الطبيعة، ويخضعها لمصالحه وخدمته، عبر عملية تنظيم منهجية مؤسسة على مبادئ وقوانين كلها تهدف في الأساس إلى فهم الكون وتفسيره. لذلك قام الإنسان بممارسة عملية التبسيط والفصل والاختزال على موضوعات الفكر، وقد كان هدفه الأساسي جراء هذه العملية هو الفهم الجيد للعالم والإنسان. غير أن هذا التبسيط تعرض لإنتقادات من طرف المفكرين بحجة أنه منهج يبسط بقدر ما يعقد مهمة فهم الكون. ويعد المفكر الفرنسي **ادغار موران**- أحد المفكرين الذين انتقدوا منظومة التبسيط، حيث حاول تقديم براديغم فكري جديد كبديل لمنظومة البساطة.

تجدر بنا الإشارة إلى أن **موران**- أثناء قراءته للحقل الابيستمولوجي قد أقر أن المنظومات الفكرية الكلاسيكية قد تجاهلت طابع التعقيد، إذ اعتقد الكثير من فلاسفة العلم أن التفكير العلمي يدرس الكون البسيط، لأن المعقد لا يمكن أن يكون موضوعا للمنهج التجريبي، بل كانوا يؤمنون أن العلم أعطى الغلبة لمناهج التجريب، لأنه يتخذ من البسيط موضوع دراسته، وخطأ العلوم الإنسانية والاجتماعية يكمن في عدم قدرتها على التخلص من التعقيد الذي يطبع الظواهر الإنسانية، هذا ما جعلها تفتقر إلى دقة العلوم الطبيعية.[1]

وفعلا فان المسلمة المعروفة في تاريخ العلوم تنص: أن ما هو معقد لا يصلح أن يكون موضوعا للاستقراء، انطلاقا من فكرتهم الأساسية، أنه من صفات المعقد نجد اللاحتمية

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 19.

والصدفوية والتلقائية، ومادامت العلوم الإنسانية والاجتماعية تدرس ظواهر تتميز بهذه الصفات، فإنه من المستحيل أن نصل إلى دقة العلوم الطبيعة . لكن في القرن العشرين أكدت النظريات العلمية أن موضوعات العلوم الطبيعية هي موضوعات مركبة ومعقدة، وفي نظر موران– يعد مبدأ اللايقين لهايزنبرغ دليل قاطع على ذلك، ومن ثم أصبح التعقيد المشكلة العامة للمعرفة العلمية وفي هذا السياق يقول في كتاب علم و وعي :

<< نلاحظ اليوم وجود أزمة الفهم والشرح البسيط في العلوم البيولوجية والفيزيائية، هذا ما يظهر أنها بقايا لاعلمية العلوم الإنسانية : اللايقين، اللانظام، التناقض، التعدد، الصعوبة....الخ ، و تعد اليوم جزء من المشكلة العامة للمعرفة العلمية >> [1]

إن الصعوبة واللايقين الذي يبدو اليوم في العلوم الإنسانية في نظر **موران**– قد كان بسبب اختزال الإنسان في البيولوجي واختزال البيولوجي في الفيزيائي، لذا الفكر المركب يرفع التحدي من أجل الربط بين هذه التخصصات، أي الربط بين الموضوعات التي هي في الحقيقة لا تقبل الفصل، فالإنسان على سبيل المثال كائن بيولوجي واجتماعي وثقافي، وكل عملية فصل بين هذه التخصصات يؤدي إلى الخطأ واللايقين .

بناء على هذا التصور يقترح **موران**– في كتاباته خاصة كتاب: **مدخل إلى الفكر المركب** انتقادات للفكر المبسط، انطلاقا من مجموعة من الأمثلة التي من شأنها أن تقودنا إلى الفهم الجيد للفكر المركب، أن مصطلح الفكر المركب صعب التحديد وبالتالي فهمه أكثر صعوبة، كونه هو بالذات مصطلح معقد، حتى **موران**– نفسه يؤكد أن التعريف الأول للتعقيد ليس سهلا ، ولكنه ليس معقدا، لكن انطلاقا من فكر التبسيط نحو الفكر المركب يمكن لنا الاقتراب أكثر لفهم هذا الفكر، وفي نظره فان تعريف الفكر المبسط ومعرفة حدوده، يؤدي بالضرورة إلى فهم الفكر المركب.

[1] - Edgar Morin, **science avec conscience**, op. cit , p 163.

ماهي منظومة التبسيط؟ وما مبادئها؟ وأين تكمن حدودها؟ وما المقصود ببراديغم التعقيد؟ وما هي مبادئه؟

إن دخول الحضارة الغربية المعاصرة في أزمة متعددة الأبعاد (علمية وفلسفية) راجع في الأساس إلى تأسيس العقل البشري لنموذج فكري يقوم على مبدأ التبسيط، هذا **البراديغم** الذي سيطر على الفكر الغربي على مدى قرون طويلة، حيث كان يقوم على اختزال الكون في وحدات أولية بسيطة، وذلك بإرجاعه إلى قوانين أولية محددة، وهكذا كان العقل الغربي يمارس أنواع شتى من الفصل والاختزال داخل الحقول المعرفية من جهة، وبين الحقول المعرفية بعضها البعض من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس توجهت جل العلوم المعرفية إلى العمل وفق مبدأ الاختزال (اختزال الكل في الجزء، أو محاولة معرفة الكل من معرفة الجزء).

2-1- منظومة البساطة:

تأسس العلم الكلاسيكي على مبادئ الفصل والاختزال والتجريد، تدخل كلها فيما يسميه **موران**- بمنظومة التبسيط **paradigme de simplification**، التي صاغها ديكارت عن طريق الفصل بين الذات والشيء الممدود، فكانت لهذه المنظومة السيطرة على التفكير الغربي، وكذا وضع الأفكار البسيطة، الواضحة والمميزة كمبدأ واحد للحقيقة.[1] فديكارت كان يفصل بين الذات والموضوع، إذ قال بوجود جوهرين متمايزين هما : الفكر والامتداد، المقابل للروح والجسم، من خلال قضية الكوجيتو، بحيث يقول: " أنا اشك إذن أفكر، يعني هذا أنني كائن مفكر مميز عن المادة."[2] وبالطبع كانت نتيجة هذا الفصل بين الذات والموضوع، فصل العلم عن الفلسفة، اعتقادا منه أن بناء موضوع العلم يجب أن يقوم على إبعاد العنصر الذاتي عن موضوع الدراسة.

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب**، ص 15.
[2]- روني ديكارت، **مقال الطريقة**، ترجمة : عمر الشاروني ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان، 2008، ص 169.

هكذا قامت هذه المنظومة التي صاغها ديكارت على عقل يمارس عملية الاختزال عن طريق رد المركب إلى صيغة المبسط، أي يختزل الكون في قوانين بسيطة، يقول موران:

<< إن منظومة البساطة هي منظومة تقوم بتنظيم الكون بإقصاء الاختلال من داخله،هنا يتم اختزال النظام في قانون ومبدأ معين، و ان البساطة ترى إما الواحد وإما المتعدد، ولكنها لا ترى أن الواحد قد يكون في الوقت ذاته متعددا، يكمن عمل البساطة إما في فصل ما هو مركب، إما في فصل ما هو مرتبط(الفصل) أو توحيد ما هو متعدد(الاختزال)>>.[1]

من هنا قامت منظومة التبسيط على مبادئ بسيطة وقوانين عامة، ليكون التعقيد ليس سوى ظاهر هذا الواقع، والبساطة هي مظهر الحقيقة، أن براديغم التبسيط الذي يتمتع بمبدأ التعميم، مبدأ الاختزال، ومبدأ الفصل، هو البراديغم الذي يوجه المعقولية الخاصة بالمعرفة العلمية الكلاسيكية. [2] من هنا تأسس العقل العلمي على منهج التبسيط، حيث كانت مهمته الأساسية من التبسيط، هي الكشف عن البساطة المختفية وراء التعددية والاختلال الظاهر للظواهر، لذلك قامت هذه المنظومة على ثلاثة مقولات هي:النظام، القابلية للفصل ، المنطق.

أ-مبدأ النظام

يعد النظام **ordre** أول مرتكز قام عليه الفكر العلمي الكلاسيكي، ويعتبر أحد المفاهيم الأساسية للعقل، يضمن بمعنى عام التحديدات الزمانية والمكانية والقوانين والأسباب والغايات.[3] فقد كان لهذا المفهوم مكانة هامة في تاريخ العلم، حيث نظر إليه كطريقة للفهم الجيد للظواهر، أي بمثابة محاولة لإيجاد تفسير معقول للعالم، لهذا فالنظام مبدأ

[1]- ادغار موران، **مدخل الى الفكر المركب** ، ص 61.
[2]- ادغار موران ، << **العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية>>** ، تر: ابو بكر الفيلاني ، مؤمنون بلاحدود، العدد 16، 2015 ، ص 1-2.
[3]- اندري لالاند، **إلموسوعة الفلسفية**، تر- احمد خليل، عويدات للنشر، بيروت، 2008 ، ص 917.

يتحدد في الانتظام، الاستقرار، والتكرار والثبات، وكلها تدخل ضمن قانون الحتمية الكلاسيكي (قانون الطبيعة).[1]

يتضح هذا المبدأ في معنى القانون والضرورة والحتمية في جميع الظواهر الفيزيائية أو البيولوجية أو الاجتماعية، حيث نجد مبدأ الحتمية الذي يسمح للعالم بوضع قوانين تفسر الظواهر بفضل عامل تكرار الأسباب والنتائج(نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج)، يستدعي النظام كذلك معنى القانون الذي تخضع له كل الظواهر الطبيعية، كما يأخذ النظام معنى الانسجام بين العقل والطبيعة، كذلك يعتبر النظام أحد خصائص التعقل، حيث يتعلق الأمر بنوع من الاتساق بين معطيات الحس ومقولات الفهم.[2] إذن النظام مفهوم نشأ من التصور الحتمي والميكانيكي للعالم، وبالتالي كان يعتبر اللانظام (**désordre**) نتيجة لجهلنا المؤقت، ويوجد وراء هذا اللانظام الظاهر نظام خفي يتطلب الاكتشاف .[3]

من هذا المنطلق كان النظام أو الانتظام من الأسس المحورية التي قام عليها التصور الكلاسيكي الاختزالي، كان أهمها: مبدأ السببية، ومبدأ الحتمية، و ترييض الظواهر وصورنتها، من هنا كان النظام يفترض أن كل ظاهرة تخضع لقانون ثابت يحكمها، ويمثل حقيقتها، مما يسمح بتفسير الظواهر والتنبؤ بها.

ب-مبدأ القابلية للانفصال

يمثل هذا المبدأ المرتكز الثاني للعلم الكلاسيكي، يقول موران: **<< إذن مبدأ القابلية للانفصال la notion de séparabilité يماثل التصور الديكارتي الذي يرى أن**

[1]- Edgar Morin, **la méthode- l'humanité de l'humanité** , Edition seuil, Paris , France , 2001 p 351.

[2] -سعيدي عبد الفتاح، << **نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران >>** ص 340.

[3] - Edgar Morin et Luis le moigne , **l'intelligence de la complexité**, op.cit, p 318.

دراسة ظاهرة أو حل مشكلة يتطلب تفكيكها إلى عناصر بسيطة، وترجم هذا المبدأ في المجال العلمي بالتخصص من جهة ، ثم إلى التخصص الدقيق في الميادين المعرفية ، ومن جهة أخرى فكرة اعتبار دراسة الواقع الموضوعي ممكنا بغض النظر عن ملاحظها.>> [1]

وهنا يتضمن الفصل (منهج التحليل والاختزال والتعميم)، و**التحليل analyse** تعود جذوره إلى الفكرة التي صاغها ديكارت في القاعدة الثانية (قاعدة التحليل) من قواعد المنهج، تنص هذه القاعدة الديكارتية على تقسيم المعضلة إلى عناصرها البسيطة من أجل اكتشاف طبائعها البسيطة التي يمكن معرفتها بوضوح وبداهة ، وتتوقف هذه الطريقة على تفكيك الكل إلى أجزائه، بمعنى تقسيم الكل إلى مكوناته، من أجل فهمها وفهم طريقة عملها.[2]

أما **الاختزال réduction** سمة تنطوي على معنى التسلسل الهرمي، بمعنى هناك حقائق أقل أساسية من حقائق أخرى، يمكن إرجاع الأولى إليها، على غرار قولنا الكيمياء يمكن إرجاعها إلى الفيزياء، هذا يعني الاختزالية ترتبط بمنهج التحليل، حيث أن الغموض الذي يلف ظواهر العالم المحسوس وكذلك أفكار يصعب فهمها، وكثيرا ما تثير الشك، وكلما أخضعنا هذا الواقع للتحليل كلما اقتربنا من الحقيقة.[3]

و هكذا طالت هذه النظرة الاختزالية إلى الحقول المعرفية، إذ كان هذا الاختزال يفصل بين الحقول الثلاثة الكبرى للمعرفة (الفيزياء، الكيمياء، وعلم الإنسان) بشكل جذري عن بعضها البعض منها اختزال المركب في البسيط، أي اختزال البيولوجي في الفيزيائي، والإنساني في البيولوجي، اعتقادا أن علم النفس مثلا يمكن مبدئيا اختزاله تحت مظلة

[1] - Edgar Morin et Luis le moigne , **l'intelligence de la complexité**, p 319.
[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, Editions l'harmattan, Paris, France, 2000, p 25.
[3] - سعيدي عبد الفتاح ، << **نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران>>** ، ص 341.

البيولوجيا، التي أساسا يمكن اختزالها في أطار الفيزياء. [1] يتضح أن العقل العلمي الكلاسيكي قام على منهج الاختزال ورد الطابع المركب إلى الطبائع البسيطة، ليعبر إن صح القول عن عجزه عن دراسة الظواهر التعقيدية دون تفكيكها وتقسيمها.

بعد التحليل والاختزال يأتي مبدأ **التعميم** أو الكلية، يعمل على بناء وحدة العلم، ويؤسس لنظام بدون فوضى، وخطاب علمي أحادي المنطق، يختزل المتعدد في الواحد، أو النظرة الكلية الأحادية، ويفهم من هذا المبدأ أن هناك قوانين قليلة جدا يمكن أن تختزل في قانون واحد فقط، قانون يمكن أن نرد إليه كل ظواهر الطبيعة، فإذا كان العالم تسوده الكثرة في ظواهره ومظاهره، فإنه تسوده الوحدة في حقيقته ومبادئه، إذن مقولة الكلية أو التعميم تقصي الكثرة والتنوع والتعدد من ساحة البحث العلمي.[2] وهكذا كان العلم الكلاسيكي يقوم بالتجارب على ظاهرة معينة، ثم يعمم النتيجة على الظواهر المماثلة، حتى وصل الأمر إلى اختزال مجموعة من القوانين في قانون واحد، هكذا أصبح الفصل والتقسيم هو منهج العلم، والوصول إلى كشف العناصر البسيطة للظواهر يستلزم تفكيك الظاهرة وتحليلها واجتثاثها من طابعها المركب.

ج- المنطق

نشأ منطقنا الكلاسيكي في اليونان قبل الميلاد بأربعة قرون، وكان يتعلق بالمفاهيم والقضايا والاستنباطات، وأرسيت قواعده في كتاب **الارغانون** لأرسطو-. وتتعلق نواة المنطق الكلاسيكي بالهوية والاستنتاج والاستقراء التي تضمن البداهة والاتساق والصحة الصورية لنظريات الخطاب.[3] إذن كان المنطق يقوم على ثلاثة مبادئ هي: (مبدأ الهوية، مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع). وتمثل هذه المقولات مبادئ مطلقة، منهج

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 15.
[2]- سعيدي عبد الفتاح، << **نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران >>** ، ص 341.
[3]- ادغار موران، **المنهج – الأفكار** تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1 ، 2012، ص 275.

الحقيقة، وبالتالي تنفي كل نقيض لها كالتناقض والاحتمال والتغير والصدفوية، فالهوية صار مبدأ مطلقا ينظر إلى العالم نظرة اتساق يمكن للعقل إدراكه بكامله، وأصبح كل ما يتجاوز هذا الاتساق خارج عن المنطق والواقع. [1] أما عن التناقض فهو في نظر العلم التقليدي مؤشرا على خطأ في التفكير، ووجب بالتالي ليس فقط استبعاده، بل استبعاد التفكير الذي قاد إليه. [2]

أما مبدأ الثالث المرفوع يرفض وجود حقيقة بين الشيء وضده، فالنظام يرفض الفوضى، وما يبدو من الصور الفوضوية في الواقع، لا تعد سوى مظاهر زائفة يجب تبسيطها وتنظيمها، ومن جهة أخرى فإن إقصاء النقيض يعطي مقولات العلم قوانينه ومبادئه طابعا كليا بعيدا عن الاستثناء، ولعل هذا التحليل البسيط يكشف عن مدى هيمنة العقل في ساحة العلم على حساب الواقع، حيث يشيد هذا العقل في موضوع علمي منطلق من الواقع على معيارية المنطلق، بدلا من معيارية الواقع نفسه.[3] هذه المرتكزات قد تجاوزها العلم المعاصر، حيث بين حدودها وعدم مطلقيتها.

- **تجاوز مبدأ النظام**

كان التشكيك في فكرة النظام الكلي أولا من قبل المكانيكا الحرارية **(thermodynamique)** ، ثانيا قبل الفيزياء الجزئية **(la micro-physique)**، ثالثا من طرف الفيزياء الكوسمية **(la cosmo-physique)**، أما الآن من طرف فيزياء الفوضى **(la physique du chaos)**، توقفت فكرتا النظام واللانظام عن التنافي بإطلاق: يمكن من جهة أن يتولد نظام تنظيمي من شروط مجاورة للتدوم، ويمكن من جهة أخرى ، أن يتولد اللانظام من الحالات الأولية المحددة، وفكر التعقيد لا يسعى إلى استبدال اللانظام

[1]- ادغار موران، **المنهج – الأفكار** ، ص 258.
[2]- المصدر نفسه ص 266.
[3]- سعيدي عبد الفتاح، **<< نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران>>** ، ص 341.

بالنظام ، بل إلى إبداع حوار منطقي بين النظام واللانظام والتنظيم ".[1] إن مشكلة النظام و اللانظام متجذرة في طبيعة الأشياء الموجودة في العالم، بل موجودة أيضا في حلقة الكائنات الحية، لهذا للفكر المركب لا يستبدل فكرة اللانظام بفكرة النظام، بل يسعى إلى خلق حوار منطقي بين النظام واللانظام والتنظيم. لأن الكون يميل إلى أقصى اضطراب ، ومن جهة أخرى يبدو أن الأشياء تنتظم، فأصبحت أكثر تعقيدا وتطورا.

- **تجاوز مبدأ الفصل**

يرى **موران**– أنه منذ ربع قرن تطورت علوم نسقية **(éco–système)** تربط ما كان يدرس بشكل منفصل من قبل العلوم التقليدية، يتكون موضوعها عبر التفاعلات بين العناصر وليس عبر فصلها، فعلم البيئة على سبيل المثال يتكون موضوعه من الأنساق البيئية والمجال الحيوي، التي تشكل مجموعات متعالقة ترجع بشكل منفصل إلى علم الحيوان، وعلم النبات والبيولوجيا المجهرية، والجغرافيا والعلوم الفيزيائية..الخ. وتتصور علوم الأرض كوكبنا كنسق معقد ينتج ذاته بذاته وينتظم بذاته، وبالتالي جمعت بين علوم كانت منفصلة عن بعضها البعض مثل الجيولوجيا وعلم الطقس، علم البراكين، علم الزلازل.[2] وهكذا كان لتطور العلوم النسقية فضل كبير في التقدم العلمي والفهم الجيد لموضوعات المعرفة، وبعد التطور الذي شهده العلم في القرن العشرين أضحى ضرورة استحالة فهم بعض موضوعات الدراسة في عزلها عن موضوعات أخرى تكن لها بصلة مباشرة، فالإنسان على سبيل المثال كائن بيولوجي واجتماعي وثقافي في نفس الوقت.

هناك وجه أخر لقابلية الانفصال تتمثل في التمييز بين الملاحظ والملاحظة غير أن الفيزياء المعاصرة قد أعادت النظر فيها، فنحن نعلم أن في الفيزياء المجهرية، منذ **فينر**

[1] - Edgar Morin et Luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**, p 318.
[2] - ibid, p 320.

-

هايزنبرغ * ، أن الملاحظ يتفاعل مع الملاحظة، وهكذا يقول موران :" أصبح واضحا أنه لا يمكن لعالم الاجتماع أو الاقتصاد، في العلوم الاجتماعية والإنسانية أن يتعالى على المجتمع، انه جزء من هذا المجتمع، والمجتمع ككل يوجد بداخله، ففكر التعقيد لا يستبدل فكرة الفصل وبفكرة اللافصل، بل يدعو إلى حوار منطقي بين المبدأين أي يستعمل القابل للانفصال، لكنه في غير القابل للانفصال . [1]

- **تجاوز مبدأ المنطق**

يرى **موران**– أن ثالث مرتكز يقوم عليه نمط تفكيرنا هو المنطق الاستقرائي – الاستنباطي – التماثلي، الذي يكافئ العقل المطلق، فقد قام العقل التقليدي على ثلاثة مبادئ : الاستقراء والاستنباط والهوية (أي رفض التناقض)، لكن أول ضربة وجهت للاستقراء الذي ينطلق من الخاص إلى العام، كانت من طرف **كارل بوبر*** الذي أكد استحالة استنتاج قانون عام انطلاقا من الخاص، يقول موران:

<< فقد أصاب بوبر عندما أقر باستحالة استنتاج قانون عام من قبيل " كل بجع ابيض" لمجرد أننا لم نجد بجعا اسود، ليس هناك شك بأن الاستقراء له قيمة تفسيرية، لكن ليس له قيمة البرهان المطلق>>.[2]

لقد بين برهان عدم التمام **لكوث جودل k- godel** * أن النسق الاستنباطي المصورن **formalisé**لا يستطيع البرهنة على صحته ذاتيا، والشيء نفسه برهن عليه ألفرد تارسكلي في المنطق الدلالي : لا نسق يتوفر على الوسائل الكافية لتفسير ذاته، على سبيل المثال: لا يوجد أبدا نسق نظري يمكننا من تجاوز وضعنا الاجتماعي أو وضعنا الإنساني، أي

---

[1] - إدغارموران، << **نحو براديغم جديد>>** ، تر: يوسف تبيس ، مجلة رؤى تربوية، العدد 29، ب-س ، ص 120.

***فينر هايزنبرغ: (1901–1976)** فيزيائي ألماني، مكتشف مبدأ عدم التأكد، أهم مؤلفته **الطبيعة في الفيزياء.**

* كورث غودل(1978/1906) فيلسوف ومنطقي ورياضي انجليزي، اهم كتبه: منطق العلوم.

[2] -Edgar Morin et Luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**, p 321.

- ***بوبر كارل:** (1994/1902) فيلسوف نمساوي انجليزي، اهتم بفلسفة العلوم، اهم كتبه: منطق العلوم.

-

يجعل أعرف مجتمعي، بإمكاني أن أقارن بين المجتمعات المعاصرة، أو أن أدرس المجتمعات المعاصرة، أو أدرس المجتمعات القديمة المناهضة، بل أستطيع أن أتخيل مجتمعات ممكنة. بمعنى أستطيع أن ألاحظ انطلاقا منها مجتمعات أخرى خارجية مع البقاء داخل مجتمعنا، إذ لا نستطيع أن نكون كائنات فوق اجتماعية أو فوق إنسانية، وأخيرا أدت تطورات بعض العلوم من قبيل الفيزياء الذرية والفيزياء الكونية، بشكل تجريبي وعقلاني، إلى تناقضات يستحيل تجاوزها، كما هو حال الطبيعة المتناقضة الظاهرة في أصل الكون والمادة والزمان والمكان.[1]

من هنا يرى **موران**– أن المنطق ضروري للتحقق من القضايا، والتحقق سبيل الوصول إلى الحقيقة، لكنه لا يعد سبيلا لليقين المطلق والبرهان القاطع أثناء التحقق في صدق القضايا، وهكذا فالفكر المركب لا يدعو أبدا إلى حذف المنطق، بل إلى دمجه وتطويره بواسطة خلق حوار منطقي.

وفقا لموران– فإن هذه المبادئ التي شيد على أثرها نمط تفكيرنا، قد تم زحزحتها وتجاوزها من طرف تطور العلوم المعاصرة، فقد أدى هذا التطور إلى وضع هذه المبادئ في موضع التجديد، لأننا لا نستطيع أن نسير في عالم لم يعد النظام فيه مطلقا، والقابلية للانفصال محدودة، ومنطق يؤدي إلى ثقوب وثغرات، هنا يستشف موران– ضرورة الإصلاح ألمنظوماتي للفكر، وقد توصل إلى القول أن هذه الثغرات هي المشكل الأساسي لفكر التعقيد.[2]

يزيد **موران**– عن ذلك أن أكبر خطر شكلته منظومة التبسيط ولازالت تشكله حتى الآن، هي أنها تحاول فهم العالم، ذلك المجموع الهائل من المركبات الديناميكية والمعقدة واللايقينية والصدفوية والمتحولة، كما تقدمه لنا العلوم المعاصرة بأدوات الابيستمولوجيا

[1]- إدغارموران ، **<< نحو براديغم جديد>>** ، ص 120.

[2] - Edgar Morin et Luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**, p p 322-323 .

التقليدية (ابيستمولوجيا التبسيط والوضوح) وحجب تعقد العالم، ذلك أنه في الأساس هو عالم ومركب ديناميكي، صدفوي ومتنوع.[1] وفي نظر **موران**– فإن فهم الوجه الجديد للعالم خاصة بعد الاكتشافات الأساسية لفيزياء الكوانطا وفيزياء الأنظمة المختلة، أصبح يتطلب أدوات وأطرا جديدة وفلسفات وعلوم جديدة لفهمه، وهي الغائبة كليا عن الابيستمولوجيا التقليدية، إذن الابيستمولوجيا المركبة هي الوحيدة القادرة على تمثل الوجه الجديد للعالم يستلزم مناهج وأدوات جديدة، بحيث يرى أن فكر التعقيد يمثل براديغما فكريا جديدا تولد تطور العلوم المعاصرة، وكذا من حدود العلم الكلاسيكي الذي ينبغي اليوم تجديد أسسه ومناهجه ودمجها في خطى أوسع وأغنى.

[1]- ادغار موران ، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 7.

2-2- منظومة الفكر المركب عند موران

إن تحول التعقيد إلى فكرة مركزية في بساط البحث الفلسفي والعلمي والابيستمولوجي، بعدما كانت فكرة هامشية، يعد تحول نوعي في تطور الفكر البشري، لقد كان الفكر التقليدي خاضعا لقبضة المتافيزيقا، الفكر الذي تأسس على نوع من الخطاب الانتقائي، الذي يعمل على إظهار اليقين في مقابل نفي اللايقين، يشيد أبحاثه المعرفية على مبدأ عدم التناقض، بالتالي يلغي كل مظاهر الاختلال والتباين والتناقض التي تطبع عالمنا الطبيعي والإنساني. لكن بعد تطور الأبحاث العلمية الحديثة وظهور نظريات (الفوضى، الإعلام، السبرنطيقا، الأنساق) تحولت فكرة التعقيد إلى مركز البحث العلمي والفلسفي في جميع المجالات المعرفية، ويعود الفضل في ذلك إلى علوم الديناميكية الحرارية التي استطاعت أن تكشف التعدد والتنوع والفوضى، والاختلال والصدفوية. حيث تعبر كل هذه المظاهر على وجود طابع التعقيد في الكون.[1]

لقد تأسس العلم الكلاسيكي على نموذج فكري يقوم على مجموعة من التصورات والمبادئ والمسلمات التي من شأنها أن تعمل على الترييض والصورنة، ورد الوقائع واختزالها في علاقات صورية وضرورية ونهائية، طبعا كانت نتيجة هذا الأسلوب المنهجي دخول المنظومة المعرفية في أزمة وبالتالي الفشل، بسبب ممارسة العقل الغربي لعملية الفصل والتبسيط والاختزال لمركب العالم، لهذا وجد العلماء أنفسهم أمام تحدي كبير هو البحث عن نموذج وبراديغم فكري جديد، قادر على الاعتراف بالتعقيد، بالتالي مواجهته.

يعد **ادغار موران**- أحد هؤلاء المفكرين الذين حاولوا البحث عن هذا النموذج الفكري الجديد، أين يكون التعقيد، الفكرة المركزية والأساسية، في الأبحاث العلمية والفلسفية، وهنا نتساءل: **كيف صاغ موران براديغم التعقيد؟**

[1] - Edgar Morin, **science avec conscience** , p 164 .

ينبغي علينا الإشارة منذ البداية على أن فكرة التعقيد تعبر عن حقيقة تطبع موضوعات الفك، وهي ميزة يعيشها العالم والإنسان على حد سواء، حيث أن العالم المعاصر يخضع لوقائع تعبر عن كم هائل من التداخلات والتشابكات والتناقضات، كلها تدل على عنصر التعدد والتنوع، مما يبين أن العالم المعاصر، يشوبه اللايقين والفوضى واللانظام. ورغم أن المصطلح كان هامشيا في الحقل الابيستمولوجي، إلا أنه حاضر في القاموس الدارج حيث يشير فيلسوفنا– إلى أن فكرة التعقيد كانت شائعة في المعجم الدارج أكثر من المعجم العلمي، ضمنيا تحمل تنبيها للفهم وتحذيرا ضد التوضيح والتبسيط والاختزال السريع بشكل مفرط.[1]

و يعني ذلك أن مصطلح التعقيد غائبا تماما في القاموس الفلسفي والعلمي، رغم أنه حاضر في الأفكار الفلسفية الكبرى، غير أن ظهور نظريات التعقيد التي سبق ذكرها، فتحت المجال لفكرة التعقيد أن تتخذ من نفسها مكانة مركزية في الحقول العلمية، حيث استطاعت هذه النظريات التعبير عن وجود الاختلال والتناقض والصدفوية، هكذا تشكل مفهوم التعقيد وكبر وتشعب أكثر، كما انتقل من هامشي إلى مركز حداثي، وأصبح مكرو–مفهوم ومأوى أساسيا للتساؤلات. [2] من هنا حقق الفكر المعاصر قفزة نوعية، انتقلت من عقلانية غربية تأسست على نمط فكرى يقوم على تقديم اليقين والبسيط والموضوعي، على حساب المتعدد والمتنوع والمركب والذاتي، ولم تكتفي هذه العقلانية في هذا الحد، بل تستمر في ذلك إلى الفصل بين ضروب المعرفة الإنسانية، بواسطة تطبيق منهج الاختزال، وكانت النتيجة وخيمة حيث أصبحت المعرفة مشوهة ومشتتة، بالطبع هذا أدى إلى تعذر فهم العالم والإنسان.

وفقا لموران– فالنموذج الاختزالي أضحى اليوم عاجزا عن مجابهة أشكال التعقيد التي بينتها الاكتشافات العلمية المعاصرة(الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية)، هذا ما يستلزم

[1] - Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, p 46.

[2] - ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 11.

نموذج أخر، يعترف بكل مظاهر الاختلال والتناقضات واللايقينيات، أي نموذج الفكر المركب.

يقوم البراديغم الفكري الجديد الذي يقترحه موران– على فكرة أساسية ومحورية تتمثل في القول أن جوهر العالم هو جوهر معقد، بمعنى أنه جوهر غير قابل للتمثل، في حين أن التعقيد هو الحوراية بين الاستقرار/ الاختلال/ التنظيم، وتكمن فضيلة التعقيد في إدانة ميتافزيقا النظام.[1] ليكون التعقيد عبارة عن مبدأ، يقوم على ضبط العالم من خلال الاعتراف بتداخلاته وتشابكاته واختلالاته التي يستحيل تمثلها في قوانين أولية بسيطة، كما كانت تحاول العقلانية الغربية الاختزالية. وفقا لهذا التصور يقبل موران– بالتعقيد كمبدأ للفكر ينظر إلى العالم في حد ذاته.[2]

إن القول باستحالة تمثل العالم يعني بكل بساطة أن التمثل الميكانيكي والحتمي لا يصلح لدراسة كل الظواهر، لذا ينبغي التخلي عن فكرة القائلة: أن ما يجرى الآن هو باقي على الدوام، وهذا ما يرمي **موران**– إلى تبيانه، ويجب اليوم الابتعاد عن نزعة الانغلاق التي سيطرت على الفكر الغربي لمدة زمنية طويلة، بالمقابل لا يمثل الفكر المركب قطيعة مطلقة مع الفكر الكلاسيكي، كما لا ينكر إسهامات النموذج التبسيطي في توضيح الكثير من الظواهر الطبيعية. بل يحاول إبراز عيوب هذه النظرة الاختزالية التي تؤمن بالمطلقية والوثوقية، عبر تبسيط المركب إلى البسيط، ورد المتعدد إلى الواحد، وكان وراء هذا النموذج ثقوب معرفية سوداء.

بناء على هذا التصور يكون براديغم التعقيد بديل منهجي يرفض الأفكار الخاصة بالمطلقية والكمال والكلية والوحدة واليقين المطلق، بل يعترف بالتعقيد الذي يشمل كل الظواهر سواء طبيعية آو إنسانية، بالتالي فالقول باليقين والكمال هو ضرب من النرجسية،

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 103.

[2]- المصدر نفسه ، ص 104.

يجب تجاوزها، لذلك أضحى من الضرورة على الفكر المعاصر الاعتراف بعدم التوحيد والاكتمال. وهنا تكمن ضرورة الفكر المركب الذي يساعدنا على التفكير في مظاهر الصدفوية والتناقضية واللايقينية. وكذلك كيفية التفكير في مشاكلنا الحياتية، لأن الفكر البسيط يحل المشاكل البسيطة التي لا تطرح مشاكل تفكيرية، أما الفكر المركب فهو لا يحل المشاكل من تلقاء نفسه، لكنه يساعد على حلها، إذ يقول:" ساعد نفسك، يساعدك الفكر المركب". [1]

يشير **موران**– إلى أن فهم براديغم التعقيد والفكر المركب، يستلزم النظر إلى طبيعة المفاهيم من الناحية اللغوية والاصطلاحية، حيث يمثل ذلك المفتاح الأساسي لاستعاب الإطار المنهجي والابيستمولوجي لفضاء الفكر المركب، **فما هو المقصود بالتعقيد؟ وما هو مفهوم الفكر المركب عند ادغار موران؟**

أ–**تعريف التعقيد:** إن تحديد كلمة التعقيد أمر في غاية الصعوبة، لاحتوائها على معاني عديدة، فمن الناحية اللغوية نجد كلمة التعقيد مستمدة من الفعل تعقد، معقد، بمعنى كلمة تتضمن نوعا من الغموض والتعدد والالتباس، لتشير الكلمة في اللسان العربي إلى التشابك والتعقد والغموض.

أما من الناحية الاصطلاحية تشير الكلمة إلى التعدد والتشابك، كما ورد تعريفها في المعجم الفلسفي ب: **<< النسق المركب من عناصر متمايزة، منظمة بعلاقات محددة.>>**[2] إذن كلمة التعقيد التي تقابل الكلمة الفرنسية **complexité** تعبر عن الكل الذي يتكون من عناصر متنافرة ومتناقضة، لكن متكاملة، بحيث يصعب الفصل فيما بينها.

---

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 83.

[2]- اندري لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة: احمد خليل، عويدات للنشر، بيروت، لبنان ، ط2، 2001، ص 189.

ب-مفهوم التعقيد عند ادغار موران

يعد مصطلح التعقيد/ المركب من بين أهم المصطلحات التي وردت بكثرة في الأعمال الفكرية للفيلسوف الفرنسي **ادغار موران**-، حيث يستخدم هذا المصطلح في سياق مختلف تماما عن سابقيه من الفلاسفة، رغم أنه يشير إلى صعوبة تعريف هذا المصطلح لتداخله مع مصطلحات أخرى.

من أول وهلة نقول أن التعقيد هو نسيج (**complexus**) : ما نسج ككل من المكونات المتنافرة المجتمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها. أنه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد، ثانيا بالفعل أن التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهراتي.[1] من هنا يدعو **موران**- إلى فكر مركب، يرفض الاختزال والتقسيم والفصل والعزل. لأن العالم يتكون من عناصر غير متجانسة ولكنها مترابطة، يستحيل عزل عنصر عن باقي العناصر الأخرى.

إذن كلمة التعقيد **complexité** تعني الربط أو الجمع" نسيج ككل" والفكر المركب هو فكر الوصل، من جهة ربط العناصر، ومن جهة أخرى فهمها ضمن نسقها. [2] وهكذا يسعى الفكر المركب إلى الربط، وهو المعنى الأقرب إلى الكلمة اللاتينية **complexus** (ما هو نسيج ككل)، ويعني هنا: ما هو ضد نمط التفكير التقليدي الذي يقوم على تقسيم ميادين المعرفة إلى تخصصات، الفكر المركب هو فكر الوصل بين ميادين المعرفة" [3]

نستخلص انطلاقا من هذا التصور أن فلسفة التعقيد عند **موران**- ترمي إلى نقد منظومة التبسيط والاختزال التي هيمنت مقولاتها على الفكر الغربي، حيث يقر موران- في سياق قراءته للحقل العملي والفلسفي المعاصر بهيمنت منظومة البسيط انطولوجيا ومنطقيا

---

[1] - Nelson Vallejo- Gomez,<< **Edgar Morin, la pensée complexe>>** , Synergies monde, n^0 4, 2008, p 249.

[2] - Edgar Morin, **Penser global**, Editions Flammarion, Paris, France , 2016, p 116.

[3] - Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, p 21.

وانثروبولوجيا، ويسلط الضوء على المنظومة العلمية، كيف تأسست على كيانات مغلقة مثل الماهية والهوية والسببية، و الفصل الجذري بين الذات والموضوع. و من الناحية المنطقية تأسست على منطق توازني قام بطرد التناقض، بالرغم من أن هذه الظواهر تشكل جزءا لا يتجزأ من الواقع، أما انثروبولوجيا وسياسيا تأسست هذه المنظومة على فكرة التمركز على الثقافة والعرق والذات. [1] من هنا كان العقل العلمي يرفض كل مظاهر التناقض والتيه والاختلال من صلب الهوية، وهذا الرفض في نهاية الأمر هو إقصاء للتعقيد. إن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها موران– في عملية التأسيس للعقل العلمي هي التسليم بمبدأ التعقيد، حيث يدعونا فكر التعقيد للنظر إلى الواقع على أنه مركب ومتكون من أجزاء، وفي نفس الوقت بلغت هذه الأجزاء درجة من الترابط يستحيل معها تفكيك هذا المركب لأجزاء، ومعنى هذا أن التعقيد يجمع في مبدأ واحد بين البساطة والتركيب، فهو في ألان نفسه يدعونا إلى قابلية التحليل نتيجة لتركيبه، وعدم القابلية للتحليل نتيجة لبساطته.[2] يقول في مقال عنوانه (نحو براديغم جديد) **ما يلي:**

<< يمثل فكر التعقيد براديغما جديدا تولد عن حدود العلوم المعاصرة ومن تطورها معا، ولا يتخلى عن مبادئ العلم التقليدي ، بل يدمجها في خطى أوسع وأغنى ، إن التعقيد هو التحدي الأعظم للفكر المعاصر ، لأنه يستلزم إصلاحا لنمط تفكيرنا >>.[3]

نفهم من هذا القول أن مبادئ العلم التقليدي ضرورية للعلم، لأن المنطق ضروري للفهم والتحقق من صدق القضايا، كما أن الفهم هو مفتاح الوصول إلى الحقيقة، ومادام عالمنا معقد ومركب فإن الأدوات المنهجية والبحثية التي كانت تستخدمها الابيستمولوجيا التقليدية لم تعد تصلح لدراسة كون يتسم بالتناقضات والمفارقات واللايقينيات، وعلى سبيل المثال نذكر أن المنطق التقليدي يرفض تماما التناقض فكان أهم مبدأ فيه هو عدم التناقض، من

[1]- ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 5–6.

[2]- سعيدي عبد الفتاح، **<< نقد العقل العلمي الحداثي عند موران>>** ،ص 347.

[3]- ادغار موران، << **نحو براديغم جديد>>** ، ص 119.

هنا كان من الأمر الضروري أصلاح المنظومة الفكرية، بتجديد أدوات البحث، وكذا منهج جديد من شأنه أن يعالج ويدرس تحديات التعقيد.

2-3- مبادئ الفكر المركب:

إن الفكر المركب باعتباره منهجا وطريقة للتفكير و التقصي كما يرى موران- منهج بحث يلائم الميزة المركبة لموضوعات الفكر، أي منهج يعترف بالتناقض والاختلال لهذا أسس موران- هذا الفكر على ثلاثة مبادئ.

ا- مبدأ الحوار المنطقي:

يقصد موران بمبدأ الحوار المنطقي**dialogique** ، مبدأ يجمع بين مفهومين أو تصورين متعارضين، يبدو أنهما متناقضين، ولكنهما متلاحمين وضروريان لفهم نفس الواقعة.[1] نشير هنا أن **موران**- أستمد هذا المصطلح من كلمة الديالكتيك التي جاء بها الفيلسوف الألماني هيغل، لأن مبدأ الحوار المنطقي مبني أساسا على فكرة الجمع بين المتعارضان أي الاعتراف بالمتناقضان على أنهما متكاملان، يقول موران:" اكتشفت عند هيغل فكرا يقبل ويتحمل التناقض، الذي يتطور في تعارض الأفكار بصفة دائمة، بحيث يجد باستمرار تعارض جديد، يحاول هذا التعارض أن يدمج موضوعات الفكر دون العزل أو الفصل بينهما" . [2]

إذن الحوارية هي وحدة معقدة بين منطقين، وكيانين متعارضين يغذي ويكمل أحدهما الأخر، لكنهما يتعارضان يتحاربان أيضا، لكن يجب التمييز بين هذا المبدأ و **الديالكتيك الهيغلي dialectique hégélienne**، فعند **هيغل**، تجد المتناقضات حلولا لها، ويتجاوز

[1] - Edgar Morin et Luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**, op.cit , p 328.

[2] - Edgar Morin, **mes philosophes**, Editions germina, France, 2011, p 71.

بعضها البعض، كما يلغي بعضها بعضا داخل وحدة عليا، لكن في الحوارية، تكون المتناقضات دائمة وتشكل ظواهر معقدة.[1] يكمن الفرق بين الديالكتيك والحوارية في أن الأول يتجاوز التناقض عن طريق المركب، بينما الحوارية يتكامل فيها ويتعايش المتناقضان، إذن يمكن أن يحدد هذا المبدأ على أنه الاجتماع المركب بين(التكامل/ التنافس/ التعارض) الضروري لفهم الوجود والظواهر.[2] من هنا يكون الحوار المنطقي اجتماع تكاملي بين المتعارضين، حيث يمكننا من الربط بين أفكار تتناقض فيما بينها.

يقدم **موران**– مثالا على ذلك: فكرة الحياة والموت، تبدي تعارض شديد، حتى أنه لا يوجد ما هو متعارض أكثر منهما، كان بيشا **bichat** يعرف الحياة على أنها مجموعة وظائف تقاوم الموت، لكن نفهم اليوم أن نظام الحياة يستخدم موت بعض الخلايا، لكي تحيا وتتجدد خلايا أخرى، إذن يمكن القول أن الحياة تستخدم الموت في ذاتها.[3] يكمن الدور الأساسي لهذا المبدأ حسب موران– في أنه يمكن الحفاظ على التعارض داخل الوحدة، أنه يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت نفسه، حيث نجد الاستقرار والاختلال عدوان لبعضهما البعض، فكل طرف يلغي الأخر، ولكنهما في الوقت ذاته يتعاونان معا وينتجان التنظيم والتعقيد.[4] لهذا فكل منطق يقصي التناقض هو منطق عقيم، نحتاج إلى تجديده بمنطق أخر يستوعب براديغم التعقيد.

---

[1] – Edgar Morin, **la méthode– l'humanité de l'humanité**, Edition seuil, France, 2001,p p 347–348.

[2] – Edgar Morin , **la méthode– la connaissance de la connaissance**, Edition seuil ,Paris, France, 1986, p98.

[3] – Edgar Morin, **enseigner a vivre**, Edition play bac, Paris, France, 2014, p80.

[4] – Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, op.cit, p 99.

ب-مبدأ التكرار التنظيمي

يعتبر الارتداد التنظيمي**p- récurions** أحد أهم المبادئ التي يقوم عليها براديغم التعقيد، لتحديد هذا المصطلح، نأخذ مثال الزوبعة فهي في كل لحظة منتجة ومنتجة في نفس الوقت، إن سيرورة الارتدادية تتمثل في أن المنتوجات والنتائج هي في الوقت ذاته عللا منتجة لما ينتجها.[1] لهذا تكون الأسباب والنتائج متساوية، فليس هناك فاعلا مطلقا، ولا منفعلا مطلقا، وإنما كل منهما فاعلا ومنفعلا في نفس الوقت، يقول **موران**-:

<< لا يجب النظر اليوم إلى كل عمليات الدماغ على أنها قائمة على فكرة التفاعل فقط، بل هي أيضا عملية ردود أفعال، يعني ذلك أن السيرورة ارتدادية، أين تكون النتائج لها ردود أفعال على عللها>> .[2]

يرى **موران**- أن أحسن مثال يصادفنا هنا لتوضيح هذه الفكرة هو مثال: (الفرد والنوع والتوالد) إذ إننا نشكل ، نحن الأفراد نتاجا لمسار توالدي سابق علينا، ولكن ما إن أصبحنا منتوجا حتى نصبح منتجين لمسار سيستمر، إن هذه الفكرة صالحة أيضا سوسيولوجيا **sociologie**، إذ أن المجتمع ينتج بواسطة التفاعلات بين الأفراد، ولكن المجتمع ما إن ينتج حتى يرتد على الأفراد وينتجهم، وإذا لم يوجد المجتمع والثقافة واللغة والمعرفة المكتسبة، فلن يكون هناك أفراد إنسانيون، بعبارة أخرى، ينتج الأفراد المجتمع الذي ينتج بدوره الأفراد.[3] وهكذا يكون مبدأ التكرار التنظيمي مبدأ يتجاوز رد الفعل الراجع ، ويتجاوز مفهوم التقنين إلى مفهومي الإنتاج الذاتي والتنظيم الذاتي، أنه عبارة عن حلقة مولدة تكون فيها المنتوجات والنتائج نفسه مبدعة لما ينتجها، من هنا الأفراد منتوجات لإنتاج متجذر في أعماق التاريخ، غير أن هذا النسق يستمر عن طريق التزاوج، ينتج أفراد الإنسانية

[1] - Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, op.cit, p 99.

[2] - Edgar Morin , **la méthode- la connaissance de la connaissance**,_ p100.

[3] - Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, op.cit , p100.

المجتمع ضمن التفاعل بواسطته، بيد أن المجتمع ينتج الإنسانية، باعتبارها كلا منبثقا من هؤلاء الأفراد ويمدهم باللغة والثقافة..[1] وعليه يكون كل منتوج منتجا لذاته ولذات أخرى، فالابن على سبيل المثال هو نتاج من جينات أبيه، وسيكون في المستقبل منتجا لابنه، عن طريق بعث جيناته هو الأخر، وكذا ثقافة الفرد يأخذها من مجتمعه، ويساهم هو الأخر في تشكيل ثقافة مجتمعه عبر إبداعه.

[1] – Edgar Morin et Luis le moigne, **l'intelligence de la complexité**,_ p p 328-329.

ج-مبدأ الهولوغرام

يمثل مبدأ الهولوغرام **p- hologrammatique** من أهم المبادئ التي قام عليه براديغم التعقيد، يدل على أن كل نسق موجود في عالم معقد، ليس فقط الجزء هو الذي يوجد داخل الكل، بل الكل أيضا يوجد داخل الجزء، وليس الفرد فقط من يوجد داخل المجتمع، بل المجتمع أيضا يوجد داخل الفرد، مادام المجتمع يغرس فيه اللغة والثقافة والقيم، منذ الولادة.[1] وفي هذا السياق يقول موران:

<< الهولوغرام تمثل صورة تنظم كل نقطة فيها مجمل المعلومات المتصلة بالشيء الممثل، و لا يعني المبدأ الهولوغرامي أن الجزء داخل الكل فحسب، بل إن الكل داخل الجزء على نحو ما، إذ تضم الخلية مجمل المعلومات الوراثية، مما ينتج مبدئيا الاستنساخ البشري، والمجتمع بصفته كلا بثقافته حاضر في ذهن كل فرد >>.[2]

تكمن أهمية هذا المبدأ في توضيح المفارقة الظاهرة لبعض الأنساق، حيث لا يوجد الجزء فقط ضمن الكل، بل يوجد الكل أيضا ضمن الجزء، ذلك إن كل خلية هي جزء من الكل- الجهاز العضوي الشامل، بل إن الكل ذاته يوجد داخل الجزء، يوجد الخبر الوراثي الكلي في كل خلية فردية على حدة، وبالمثل يشكل الفرد جزءا من المجتمع، لكن المجتمع يوجد أيضا في كل فرد باعتباره كلا، من خلال اللغة والثقافة ومعاييره.[3] ليكون الهولوغرام هو مبدأ نقدي لمبدأ الكلية الحداثي الذي يعتبر أنه لا علم إلا بالكليات، يقول موران-:

<< تتجاوز فكرة الهولوغرام النزعة الاختزالية التي لا ترى سوى الأجزاء، والنزعة الكلية التي لا ترى سوى الكل، إنها إلى حد ما، الفكرة التي صاغها باسكال blaise pascal

[1] - Edgar Morin, **enseigner a vivre**, op.cit , p81.

[2] - Edgar Morin, **la méthode- l'humanité de l'humanité**, p 349.

[3] -Edgar Morin et Luis le moigne**, l'intelligence de la complexité**, p p 328-329.

: لا يمكنني تمثل الكل دون تمثل الأجزاء ولا تمثل الجزء دون تمثل الكل.>>[1] من هنا نلاحظ أن فلسفة التعقيد تقيم المساواة بين الجزء والكل، ولا وجود لمركزية أحدهما على الأخر.

تقوم هذه الفكرة المناقضة في الظاهر على شكل الفكر الخطي، ومع ذلك نعلم أنه في المنطق الارتدادي ما نعرفه حول الأجزاء يعود على الكل، وما نتعلمه بصدد الخاصيات المنبثقة الخاصة بالكل، الكل الذي لا يوجد بدون تنظيم، يعود على الأجزاء، لذلك بالإمكان اغناء المعرفة بالأجزاء بواسطة الكل، والمعرفة بالكل بواسطة الأجزاء، وذلك داخل نفس الحركة المنتجة للمعارف.[2] وعليه تكون فكرة الهولوغرام هي ذاتها مرتبطة بالفكرة الارتدادية، التي بدورها مرتبطة بمبدأ الحوار المنطقي.

يرى **موران**- أن موضوعات الفكر(العالم/الإنسان) تتسم بطابع التعقيد، أي خليط لامتناهي لتفاعل الارتدادات، وتضامن الظواهر مع بعضها البعض، وعدم اتضاح الرؤية واللايقين، والتناقض.[3] أي التعقيد يعبر عن عدم القدرة على الفهم والشرح والتفسير الواضح، وكل هذا يعد تحدي يجب على الفكر المعاصر مجابهته، هنا تكمن في نظر موران- ضرورة الفكر المركب الذي يستبدل منظومة الفصل/ الاختزال/ إضفاء البعد الأحادي، بمنظومة التمييز/ الوصل التي تسمح بالتمييز من دون الفصل، وبالتجميع من دون المطابقة آو الاختزال ، فالعقلانية الكلاسيكية التي هي عقلانية خاطئة، في نظر موران- لأنها قائمة على الذكاء الغير المكتمل الذي يقسم ويجزئ ويعزل ما هو مترابط ومتصل ويختزل ما هو متعدد الأبعاد في أحادي البعد، مما أدى إلى استحالة التفكير في التعقيد، وكذا الفهم الجيد لموضوعات الفكر.

---

[1] – Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, p100.

[2] – Ibid. p 101.

[3] – Ibid., p22.

3- إصلاح المنظومة الفكرية عند ادغار موران

ينظر **موران**- إلى مصطلح التعقيد على أنه الفكرة المفتاحية التي ينبغي توجيه الفكر البشري إليها، رغم أنها بقيت فكرة هامشية في الأبحاث العلمية والفلسفية الحديثة، ولكن مع ظهور النظريات العلمية الجديدة، فتحت المجال أمام هذا المصطلح لكي يتحول إلى مشكلة أساسية، تطرح على بساط البحث

ها هو **ادغار موران**- يبعث هذا المصطلح ويقدم له دفعا جديدا، حيث إنصب رهانه الأساسي على إصلاح المنظومة الفكرية المعاصرة، وانتشالها من العمى والجهل الذي ألت إليه بسبب المنهجية الاختزالية التي مارسته المنظومة الكلاسيكية، إذ يسعى **موران**- بدوره إلى تأسيس ابيستمولوجيا وأنطولوجيا ومنهجية جديدة، عبر تشكيل مفاهيمي جديد، حيث كان هدفه الرئيسي، الخروج من قبضة ابسيتمولوجيا التبسيط، إلى فضاء فكري مركب، يعترف أن البسيط غير موجود، وهناك المبسط فقط. بالمقابل كلمة المبسط تشير مبدئيا إلى أن الموضوع الذي يبسط، هو في حقيقة الأمر مركب.

من هنا يدعو **موران**- إلى ضرورة إصلاح الفكر، عن طريق إصلاح أدوات التفكير المنطقية والمنهجية التي تتلاءم مع موضوعات مركبة متعددة الأبعاد، تتضمن في طبيعتها كل عناصر الصدفوية والفوضى، والتنوع، وغيرها من مظاهر الإختلال والإضطراب.

فعلا هذا الإصلاح ضروري، لكن أين يكمن هذا الإصلاح؟ يجيب موران- أنه يكمن في موضوعات الفكر التي لا تخرج عن نطاق المعرفة والإنسان، ويكفي تغيير تصورنا للمعرفة لكي نصلح المنظومة المعرفية، وإعادة النظر في مفهوم الإنسان يساعدنا على الإلمام بجوانبه وفهمه فهما صحيحا.

كيف يتصور موران المعرفة والإنسان ضمن براديغم التعقيد؟

3-1- تصور موران للمعرفة:

يقوم تفكيرنا على النمط المعرفي الاختزالي التخصصي الذي يقودنا في النهاية إلى ما يطلق عليه **موران**- بالعقل الأعمى **intelligence aveugle** [1]،**<< اكتسبنا معارف هائلة حول العالم الفيزيائي والبيولوجي والبسيكولوجي، وقد أعطى العلم الغلبة على نطاق واسع لمناهج التحقق الامبريقي والمنطقي، ويبدو أن أنوار العقل تكبت في الأعماق الدنيا للروح، في أساطير وظلمات، ومع ذلك يتقدم الخطأ والجهل والعمى في كل مكان، في نفس الوقت الذي تتقدم فيه معارفنا.>>**[2] وهذا الجهل والعمى في نظر **موران**- كان نتيجة صيغة التنظيم المشوهة للمعرفة، وكذا عدم القدرة على وضع اليد على تعقيد الواقع والاعتراف به، مما يستلزم إصلاحا جذريا للمنظومة المعرفية.

يطرح موران مشكلة المعرفة من زاوية التعقيد، ويتساءل: كيف يمكن أن نتصور المعرفة معرفة؟ وما هي طبيعتها؟ وماذا يقدمه الفكر المركب كجديد في نظرية المعرفة؟

يرى موران- أن مشكلة المعرفة من زاوية التعقيد، يمكن أن تنشأ على مستويين: المستوى الأول يمكن فيما نسميه المعرفة التجريبية والعلمية، والتي تنتج بفضل الملاحظة والتحقق التجريبي. تقوم على البيانات الرياضية والموضوعية، وهذا المستوى يدفع إلى نظريات تعكس حقيقة الواقع.

أما المستوى الثاني هو المعرفة التي تستند إلى المنطق والاتساق والحقيقة القائمة على الأفكار.[3] لهذا ينبغي التفريق بين ثلاثة مفاهيم في ميدان المعرفة.

---

[1] - Edgar Morin, **enseigner a vivre**, op. cit , p77.

[2] -Edgar Morin, **introduction a la pense complexe** , p 15.

-*- جان بياجيه: (1980/1896) مفكر فرنسي ، ومؤسس المدرسة البنائية في علم النفس ، أهم كتبه اللغة والفكر عند الطفل.

[3] - داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 250.

-**العلوم المعرفية:** التي تحافظ على سيادتها، يمكن أن تكون الابيستمولوجيا التكوينية عند **جان بياجيه*** **JEAN PIAGET** خير مثال لها، حيث تجتمع تخصصات متنوعة كعلم النفس المعرفي، وعلم النفس اللغوي، اللسانيات والمنطق، هذا الأنموذج المعرفي الجديد الذي يخلق الفلسفة المعرفية، كتخصص جديد، مؤهل لتنسيق النتائج الأساسية للعلوم المعرفية.

-**علم المعرفة** : وهو الذي يقوم على فكرة علم العلوم، يتحكم في العلوم المترابطة، وهذه الفكرة كانت من اقتراح الابيستمولوجي الفرنسي **جان لويس لوموانييه jean luis le moigne** * وهذا العلم في نظر موران- لم يتأسس بعد.

- **معرفة المعرفة:** وهذا ما يعمل موران- من أجله، إذ ينبغي أن تكون هي المشكلة المحورية التي تدرس منذ الصغر، ولا ينبغي أن تكون مجرد فصلا صغيرا بالنسبة للمتخصص في الفلسفة.[1] من هنا يشير إلى أن تأسيس معرفة المعرفة أمر في غاية الصعوبة، لأنه يستلزم معرفة حدود المعرفة، يقول في هذا السياق:

« **معرفة حدود المعرفة تؤلف جزءا من إمكانات المعرفة، وتحقق هذه الإمكانية، انه تتجاوز حدود المعرفة الضيقة التي ظنت أنها لا محدودة، وتجعلنا نبين واقعا يتجاوز إمكانات المعرفة وتدفعنا إلى بناء وجهة نظر متطورة، أي معرفة المعرفة.**»[2]

هذه المعرفة في نظر **موران**- تبحث عن مبدأ الموضوعية، بالتالي ينبغي عليها أن تتخذ من المعرفة ذاتها موضوعا للدراسة، أي تفكر في ذاتها، وتقتضي تحديد طبيعتها وشروطها.

[1]- داود خليفة ، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 250-251.

[2]- ادغار موران، **المنهج – معرفة المعرفة** ، ص 330.

إن مبدأ الموضوعية يسلم أن المعرفة تعكس الواقع، أي تقوم بتحليله وتفسيره، وفق شرطين أساسين هما: التحقيق التجريبي من أجل إثبات أو دحض الفرضية أو النظرية التي وضعت لتفسير الواقع، أما الشرط الثاني هو الانتماء المختلف للملاحظين في العرق والعقلية، واللون في النظر إلى معرفة معينة، هذان الشرطان هما أساس المعرفة العلمية ومن ثمة أساس كل حقيقة.[1]

هكذا يصرح **موران**- أن الشرط الموضوعي يساعد على إقصاء أخطاء الذات من المعرفة، أي إبعاد الذاتية والتعسفية، والتي طالما كانت حاضرة في الذات العارفة، لكن لا يمكن تحقيق المشروعية في المعرفة عن طريق إقصاء الذاتية، لأن المعرفة يجب عليها أن تقوم بإعادة تأسيس الذات أثناء بناء الموضوع، لا نقصد الذات التعسفية، بل الذات التأملية، الابيستمولوجية التي تكون على وعي بحدود المعرفة، بالتالي يكون فصل الذات عن الموضوع أمر يؤدي إلى عدم وضوح المعرفة، وكذا اللايقينيات التي تكون دائما عائقا أمام التطور المعرفي.[2]

إذن على المعرفة أن تعيد النظر في مكانة الذات العارفة بالنسبة للموضوع، أي تجعل منه المنطلق الذي تنحو به نحو الموضوعية، بالمقابل يجب إقصاء الجوانب الذاتية التي تشوه المعرفة خاصة الأحكام المسبقة والتحيز الفكري نحو مذهب أو تيار معين، لذا معرفة المعرفة هي العلم الذي يدعو **موران**- إلى تأسيسه، معرفة تتقيد بالشروط المنتجة لها يقول: **<< معرفة منوطة بالشروط الفيزيائية والبيولوجية والاجتماعية لإنتاج المعرفة، وبالشروط النسقية والمنطقية والبراديغمية لإنتاج المعرفة وتنظيمها، وعلى كل حال**

[1] – robin fortin, **comprendre la complexité**, p 113 .

– *– جان لويس لوموانييه (1931– حي) مفكر فرنسي، اهتم بنظرية المعرفة البنائية، اشتغل مع موران حول التعقيد خاصة في كتاب العقل المركب.

[2] – Ibid. p 114 .

وأمام تحدي الواقع، تحتاج المعرفة اليوم إلى أن تفكر ذاتها بذاتها والى أن تحدد مكانها واشكالياتها>>[1]

أ-الشروط البيولوجية-انثروبولوجية للمعرفة:

يرى **موران**- أن كل تأمل في المعرفة يفترض إختبار شروط التأسيس، هذه الشروط في البداية هي الإطار البيولوجي-الانثروبولوجي(العقل / الدماغ) المعزول عن العالم، حيث لا سبيل للنفاذ إليه إلا عن طريق الواسطة التي هي الحواس **sens** التي تقدم لنا معرفة في صورة تمثلية، في المقابل هذه التمثلات لا تعكس الواقع، بل مجرد ترجمات للوقائع، كما أننا عندما ندرك موضوع معين لا نتكلم عن معرفة هذا الموضوع، بل عن أحداث فيزيائية أي صور تقدمها حاسة البصر، التي تثير عملية هذا الموضوع، بل عن أحداث فيزيائية أي صور تقدمها حاسة البصر، التي تثير عملية عقلية دماغية، فتحول الصور المترجمة إلى صور عقلية أو تمثلية.[2]

كان **كانط E-Kant** في نظر **موران**- على حق عندما قال أننا لا نعرف الواقع في ذاته، بالأحرى لا سبيل إلى معرفته، بل نحن ندرك الظواهر فقط، أي الظواهر التي تظهر لنا أمام الإدراك الحسي، إذن التمثلات المعرفية ليست سوى ترجمات للواقع الذي يتعرض للتغير باستمرار، وهكذا تكون نظرة **موران**- لا تختلف عن النظرة الكانطية حيث يقول:

<< منذ أمد طويل علمتنا الفلسفة النقدية أن المعرفة ليس إسقاطا للواقع على شاشة ذهنية، بل حاصل تنظيم ذهني يعمل على معطيات حسية، واليوم راحت العلوم العصبية تفهمنا كيف تتم ترجمة الوقائع الخارجية، المعرفة الدماغية هي أولا ترجمة أحداث

[1]- ادغار موران، **المنهج – معرفة المعرفة**، ص 43-44.

[2] – Robin fortin, **comprendre la complexité** , p 114 .

مادية إلى رسائل عصبوية بينية..... تحمل رسائل تترجم إلى أفكار تنتظم تهدف إلى إعادة بناء أشكال الواقع الخارجي بشكل تماثلي.>>[1]

إذن المعرفة البشرية كما يتصورها **موران**– هي عبارة عن نبضات فيزيائية تثير أجهزتنا الحسية اللاقطة، أو أنها تحولات بيولوجية كيميائية ترجمت إلى تمثلات، وهي بدورها تترجم إلى مفاهيم وأفكار.

من هنا يكون موران– مثل كانط يؤمن بإمكانية قيام المعرفة الموضوعية، هذه المعرفة كما يقول ليست متعلقة بالعالم في ذاته(**النومين**)، بل تلك التي تتعلق بتفاعلنا مع الواقع، يعني الادراكات الخاصة بالظواهر(**الفينومين**)، هذه الموضوعية تتأسس على العقل / الدماغ القادر على إعادة تصحيح تصوراتنا عن العالم الخارجي، كما تؤسس الموضوعية على التحقيق التجريبي الذي يعمل على إثبات صحة أو عدم صحة هذه التصورات، وفي الأخير موضوعية المعرفة تقوم على المقارنة المختلفة عبر الحوارية والتواصلية الإنسانية.[2]

ب– الشروط الاجتماعية و الثقافية للمعرفة:

أننا في نظر **موران**– لا نعيش في عزلة والعقل ليس مستقل عن الشروط الاجتماعية والثقافية أين تنشأ المعرفة في كنفها، وهذه الشروط هي التي تتحدد كموضوع مبحث **سوسيولوجيا المعرفةsociologie de la connaissances** ، يتساءل موران : **ماذا يقدم لنا هذا التخصص؟** إن كل معرفة تسجل داخل التاريخ، داخل المجتمع داخل الثقافة التي يصعب تجاوزها، لأنها تأسس مفاهيم وأفكار، قيم، تقاليد وأعراف، لذا فالمعرفة توجد داخل الثقافة، والثقافة داخل المعرفة، وكل عمل فردي يمثل ظاهرة ثقافية، وكل عنصر ثقافي

[1] – ادغار موران، **المنهج – معرفة المعرفة** ، ص 313.

[2] – Robin fortin, **comprendre la complexité** , op.cit, p 115 .

معقد، يتحدد في فعل فردي خاص.[1] بداية فالمعرفة لا يمكن لها أن تتأسس خارج الشروط الاجتماعية والثقافية والتاريخية، تجتمع هذه الشروط بعضها البعض لتكون الشرط الأساسي لقيام المعرفة الإنسانية، كما أن الضغط الاجتماعي خاصة الأحكام المسبقة، والعرف والتقاليد تتسم بعنصر القوة حيث تسيطر على الفرد، يصل الأمر في بعض الأحيان إلى إنتاج ايدولوجيا اجتماعية أو تكوين النزعة المركزية.[2] يبدو أن عملية إنتاج المعرفة في تشابك كبير، بحيث يتفاعل المنتج مع المنتج بصورة دائمة، في سياق هذا التشابك يطرح **موران**– مصطلح سوسيولوجيا المعرفة الذي من شأنه أن يساعد على فهم طبيعة المعرفة، من حيث دراسة النظم المعرفية واتصالها بالأطر الاجتماعية التي تنتجها يقول موران– :

<< لكي نتصور سوسيولوجيا المعرفة، لابد أن لا نتصور فقط تجذر المعرفة في المجتمع وتفاعل المعرفة، بل ينبغي أن نتصور الحلقة التكرارية التي تكون فيها المعرفة البشرية منتجة ومنتجة لواقع اجتماعي– ثقافي يتضمن في داخله بعدا معرفيا.>>[3]

بناءا على هذا التصور يدعو **موران**– إلى ضرورة التفكير في الشروط الاجتماعية والثقافية للمعرفة البشرية، حيث لا يمكن اختزال مصطلح ضمن مصطلح أخر، أو إرجاع أحدهم إلى الأخر، لأن هذه المصطلحات تنتج بعضها البعض ضمن حلقة إنتاجية، فالمجتمع ينتج المعرفة عن طريق الثقافة، والثقافة بدورها تحدد سياق المعرفة، وهكذا يطبق رؤيته الخاصة للظاهرة الاجتماعية على المعرفة أو الأفكار، معلوم أن **موران**– يعطي تصور جديد عن المجتمع، حيث ينظر إليه على أنه ظاهرة متعددة الأبعاد ومعقدة في طبيعتها، حيث تتفاعل الفردية مع ثقافة المجتمع، وينظر إلى المجتمع باعتباره نظام

[1]- Edgar Morin, **la méthode 4 les idées**, Edition seuil, Paris, France, 1991, p 21.

[2]- Robin fortin, **comprendre la complexité** , p 116.

[3] – ادغار موران، **المنهج – الأفكار** ، ص 33.

مفتوح أساسه الحوارية (النظام / الفوضى/ التفاعل/ الديناميكية) بعكس علم الاجتماع الكلاسيكي الذي يقوم على الخطية، ويفهمه كمجتمع مستقر مغلق.[1]

ج-الشروط النولوجية للمعرفة :

كما رأينا أن الشروط البيولوجية- الانثروبولوجية تأسس موضوع علم النفس وغيرها، أما الشروط الاجتماعية الثقافية تأسس موضوع سوسيولوجيا المعرفة، والمعرفة أيضا تقوم على التطور النولوجي للإنتاج المعرفي في حد ذاته.

تحمل النولوجيا قواعد تنظيم الأفكار، أي تبحث في شروط فتح أو إغلاق أنظمة الأفكار(نظرية، مذهب) في المنطق أو المنظومات التي تقود تنظيم الأفكار، لهذا تكون النولوجيا **noologie** علم جديد جاء لإثراء إشكالية المعرفة عن طريق تركيبها وتعقيدها، حيث يرى موران- أن الفكرة التي تنظر إلى المعرفة على أنها أداة بسيطة **instrument** هي فكرة غير دائمة في نظر النولوجيا، لأن الأفكار يمكن أن تجعل من صاحبها شخصا أداتيا.[2]

من هنا يكون علم النولوجيا أحد العلوم الجديدة التي تسعى إلى إيجاد حل لمشكلة تشوه المعرفة عن طريق إعادة تنظيمها، تنظيما يجعل إمكانية المعرفة، بالتالي الوصول إلى تأسيس معرفة المعرفة.

[1]- داود خليفة، **إبستمولوجيا التعقيد** ، ص 254.

[2] – Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 117 .

د-مبدأ تنظيم المعرفة :

يشير فيلسوفنا- إلى أن المعرفة إذا وجدت فهي معقدة التنظيم، وهذا التنظيم معقد، المغلق والمفتوح، والتابع والمستقل، يحمل في طياته الإمكانات المعرفية الكبرى، والاعتراف بهذا التعقيد لا يقتضي فقط الانتباه إلى التعقيدات والتشابكات التي تنسج ظاهرة المعرفة، بل يتطلب الأمر الاستقلاليات البينية وتعدد الأبعاد في الظاهرة المعرفية، مما يستلزم اللجوء إلى فكر معقد قادر على معالجة الاستقلاليات البينية والأبعاد المتعددة، بعبارة أخرى ليس التعقيد مشكلة موضوع بقدر ما هو منهج للمعرفة.[1]

ينبغي على المعرفة اليوم أن تمتلك الأدوات والمفاهيم الأساسية التي تتيح الربط والتجميع، لأن تحدي التعقيد يستلزم تفكيرا يأخذ في الاعتبار عدم اليقين والاضطراب والفوضى، فكر يمكن له أن يجمع كل فرع من فروع المعرفة مع غيره، دون أن يختزل أحدهما في الأخر، وإن كان من المعتذر الوصول إلى مبدأ واحدي يجمع كل المعارف ويحقق وحدة المعرفة، فإنه يمكن في المقابل الوصول إلى توصيل كل المعارف بعضها البعض، انطلاقا من الفكر المركب الذي يسمح بارتباط المفاهيم المتضادة وبعكس حالة عدم اليقين.[2] و يؤدي هذا التنظيم للمعرفة في نظر **موران**- إلى التفكير في معرفة المعرفة أي شروط إنتاج المعرفة المادية والبيولوجية والاجتماعية، حيث لا معرفة بدون معرفة المعرفة، بمعنى لا يمكن استخدام الأفكار استخداما جيدا ما لم تعرف أولا كيف تخدم الأفكار، ينبغي الوعي بما يحكمنا حتى نتمكن من محاورة أفكارنا ومراقبتها مثلما تراقبنا، وإخضاعها لامتحان الحقيقة والخطأ.[3]

هكذا يكون الفكر المركب فكرا يسعى إلى الربط والجمع بين العلوم المعرفية عبر ابتكار مفاهيم وأدوات جديدة. وهذا الأسلوب يفتح المجال للعودة إلى المعرفة، إلى أصلها،

---

[1]- ادغار موران، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ص ص 344-345.

[2] - داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 258.

[3]- المرجع نفسه ، ص ص 258-259.

والعودة إلى الذات العارفة، هذا هو المبدأ الأساسي في كل معرفة، بحيث ينبغي الرجوع إلى المبادئ التي نعتمد عليها لتنظيم معارفنا، وهذا ما يطلق عليه **موران**- مصطلح البراديغم.[1] الذي يمثل تحليل جديد للمعرفة العلمية المعاصرة، يهدف إلى الحفاظ على علاقة الذات بالموضوع، وكذا دمج كل التخصصات المعرفية داخل سياق واحد ومتعدد في الآن ، بالمقابل الخروج من قوقعة الأوهام والعمى المعرفي الذي يطال معارفنا.

[1] – Edgar Morin, **penser global**_,op.cit, p 127.

هـ-ثنائية الذات والموضوع:

حقق العلم الكلاسيكي نجاحات باهرة في ميدان العلوم الطبيعية (الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك) نتيجة استخدام المنهج التجريبي الذي يقوم على الملاحظة والفرضية والتجربة ثم صياغة القانون، وهكذا سار العلم على درب الموضوعية **l'objectivité** التي تأسست على قوانين الحتمية والسببية، لقد كان مبدأ الموضوعية يسلم أن المعرفة تعكس الواقع، بمعرفته وتحليله، تتكئ على شرطين لتأسيس هذه المسلمة، يتمثل الشرط الأول في التحقق التجريبي الذي يعمل على إثبات أو دحض الفرضيات والنظريات التي وضعت حول الواقعة أو الظاهرة، ويتمثل الشرط الثاني في الإجماع بين الملاحظين مهما اختلفوا في العرق والجنس واللون، حول الظاهرة المراد معرفتها، من هنا أصبح هذان الشرطان أساس الموضوعية العلمية و وأساس كل حقيقة.[1]

و لقد كان لهذا المنهج خلفية تنطلق من فكرة الفصل بين الذات والموضوع، بمعنى إستبعاد كل الجوانب الذاتية التي يمكن لها أن تكون عائقا أمام تحقيق الموضوعية، بالفعل كان الباحثين على إعتقاد أن الذاتية **subjectivité** لا تقدم شيئا جديدا إلى الموضوع المراد معرفته، لأن الظواهر تخضع للحركة الآلية الميكانيكية للطبيعة دون تدخل الذات. و بالفعل لقد عمل العلم التقليدي على استبعاد تدخل الذاتية أثناء البحث العلمي، بحجة أن الذاتية تبعدنا عن الموضوعية بالتالي عدم تحقيق الدقة اللازمة واليقين المطلق، أي إبعاد الإنسان الملاحظ عن الشيء الملاحظ، بغرض وصف الظاهرة وصفا دقيقا ويقينيا.

[1] – Robin fortin, **comprendre la complexité**_, op.cit, p 136.

بهذا الفصل بين الذات والموضوع، تأسس العلم الغربي في نظر **موران**- على الإقصاء الوضعاني للذات انطلاقا من الفكرة القائلة أن الموضوعات الموجودة بشكل مستقل عن الذات، قد يكون بالمستطاع وصفها وتفسيرها باعتبارها كذلك.[1]

وهذه النظرة الإقصائية للذات العارفة من طرف العلم الكلاسيكي، عملت على إزاحة تمركز الذات على ذاتها بغرض تحقيق الموضوعية، وهذا ما أدى في الأخير إلى تصور ضيق لنظرية المعرفة، حيث وقعت في العزل والاختزالية، بالرغم من أن هذه المنهجية المتبعة في البحث حققت تطورات هائلة، غير أن المعرفة بقيت ناقصة ومشوهة، لأن فصل الذات العارفة عن موضوع المعرفة يمثل فصل العارف عن معرفته الخاصة.[2] ويرجع السبب الرئيسي حسب فيلسوفنا- لطرد الذات من ساحة المعرفة إلى الاعتقاد أنها تمثل تشويش، باعتبارها غير قابلة للوصف وصفا موضوعيا دقيقا.[3] هذه النظرة التي تفصل بين الذات العارفة والموضوع أدت إلى اعتلال المعرفة ذاتها، مما يستلزم في نظر **موران**- ليس فقط ابيستمولوجيا الملحوظة، بل إلى الابيستمولوجيا الملاحظة، والحال أن الأنساق الملاحظة هي انساق إنسانية يجب أن تتصور وتفهم كذوات أيضا، وفي حالة دراستنا نحتاج إلى الاستعانة بالفحص والتفكير الذاتيين للنظر بشكل نقدي إلى موقعنا ووضعنا وشخصيتنا.[4] هذا ما يوضح أن المعرفة اعقد مما تبدو في الظاهر، فهي تحتاج إلى التفكير الذاتي في التفكير الموضوعي، يقول موران:

<< نظرا إلى تعدد أبعاد خصائص المعرفة ... لابد من إجراء الحوار بين التفكير الذاتي والمعرفة الموضوعية >>.[5]

---

[1]- ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب**، ص 42.

[2] - Edgar Morin, **la méthode- la connaissance de la connaissance**_, op.cit , p 22.

[3] - Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe** , p 52.

[4] ادغار موران،**<< مدخل إلى المنظور التعقيدي للمعرفة>>** ، تر: يوسف تبيس، رؤى تربوية، العدد 38 ص 98.

[5] - انظر موران، **المنهج- معرفة المعرفة**، ص 37.

وهذا الحوار يستلزم إعادة إدماج الذات في مشكلة المعرفة، وموران– يشير في هذا المقام إلى أن هذا الإدماج لا يعني بتاتا، السقوط في النزعة الذاتية، بل على العكس من ذلك، يتعلق بمواجهة المشكل المعقد حيث تصير الذات العارفة موضوعا لمعرفتها مع بقائها ذاتا في الوقت نفسه.[1]

[1]- ادغار موران، << **انتروبولوجيا المعرفة>>** ،ص 99.

3-2- مفهوم الإنسان عند ادغار موران

إن تصور **موران**- للانسان **l'humain** يقترب كثيرا من تصوره للمعرفة، حيث يعترف بالطابع المركب للإنسان، مما يستدعي دراسته داخل براديغم مركب، ينظر إلى الذات التي تنتج المعرفة، ثم دراسة علاقة الذات بالموضوع من جهة أخرى، **فكيف ينظر موران إلى الإنسان في بعده المعقد والمتعدد ؟**

لقد كان الفكر الكلاسيكي في نظر موران- قد ضيع المعنى الجوهري للإنسان أثناء عزله عن طبيعته واختزاله في البعد الواحد، وهذا الفصل والعزل الذي مارسته المنظومة الفكرية الكلاسيكية أدى إلى منع التفكير فيما هو إنساني، مما جعل هذا الأسلوب المعرفي يمنعنا من إدراك التعقيد البشري.[1]، حيث أدى ذلك إلى إهمال العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فكان إما يتم دمج الإنسان داخل الطبيعة، أي داخل رؤية تجعل من الإنسان كائنا طبيعيا وتقول بفكرة الطبيعة الإنسانية، وإما يتم فصل الإنسان عن الطبيعة، هاتان الرؤيتان تندمجان تحت منظومة واحدة هي منظومة الاختزال والفصل: اختزال الإنسان في الطبيعي، أو الفصل بين الإنساني والطبيعي، وهنا بذلك تمنعان من رؤية الوحدة والتداخل، وحدة الفكر المركب الذي يسمح بالأخذ في الاعتبار الجدل والتداخل والفصل والوصل بين مختلف الأبعاد.[2] من هنا يدعو **موران**- إلى الإصلاح الفكري فيما يخص مفهوم الإنسان، إذ يقول:

<< نحن بحاجة إلى فكر يحاول جمع عناصر التعقيد البشري (البيولوجية والثقافية و الاجتماعية والشخصية) وتنظيمها.... كما جاء في الفكر الألماني في القرن التاسع عشر(تأمل فلسفي يركز على الكائن البشري) وفي الوقت نفسه إعادة النظر في مفهوم الإنسان المنتج عند ماركس، أساس مصنفه كله على نحو أكثر تعقيدا وعنقا، انه

---

[1]- ادغار موران، **المنهج: إنسانية الإنسانية**، تر: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة ، ط1،2009، ص 22.

[2]- داود خليفة، **ابسيتمولوجيا التعقيد** ، ص 240.

مفهوم يفتقر إلى الوجود الجسدي والنفسي.>>[1] هذا المفهوم يفتح المجال أمام الكثير من العلوم من أجل المساهمة في فهم التعقيد البشري، وتقديم تصور عام وشامل عن الكائن البشري، أو معرفة مركبة عنه تراعي النقاط التالية:

- **معرفة تقر أن الكائن البشري الذي يدرسها هو جزء من موضوعها.**
- **لا تفصل بين وحدة البشرية وتنوعها.**
- **تدرك جميع أبعاد الواقع الإنساني المقسمة إلى فيزيائية وبيولوجية ونفسية.**
- **تدرك أن الإنسان ليس بعاقل وعامل ومدير فحسب ، بل مجنون أيضا. تضم معا حقائق منفصلة، تقصي احدهما الأخرى.**[2]

من هنا يكون النظر إلى الإنسان من ناحية التعقيد من شأنه أن يثير الوعي بالطبيعة الإنسانية المتعددة الأبعاد، لأن طبيعة الإنسان هي على السواء فيزيائية واجتماعية ونفسية، لذا من الضروري إعادة دمج الإنسان ضمن الكائنات الطبيعية، بهدف تمييزه عنها لا اختزاله فيها، الأمر الذي يتطلب تطوير نظرية ومنطق وابسيتمولوجيا للتعقيد، تلائم معرفة الإنسان، لأن النظر إلى الإنسان من أبعاد منفصلة، لا يسمح لنا أن نفهم تعقيد الإنسان، ولا يسمح أيضا بفهم الغنى المتعدد الأبعاد، بالتالي فهو يقترح أن ندرس الإنسان عبر أبعاده المتعددة من خلال منهج تعدد التخصصات، وربط العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانيات ببعضها البعض، يتعلق الأمر هنا بإعادة ربط ما شتته المعارف الكلاسيكية وعلوم الإنسان.[3]

هذا الربط حسب **موران**– يستلزم ضرورة التكامل المعرفي بين العلوم التي تتناول الإنسان موضوعا لها، أي فكر مركب منفتح على مختلف الأبعاد، قادر على إغناء الإنسان بكل

[1]- ادغار موران، **المنهج: إنسانية الإنسانية** ، ص 23.

[2]- المصدر نفسه، ص 24.

[3]- داود خليفة، **ابسيتمولوجيا التعقيد** ، ص 241–242.

تناقضاته، فكر قائم على الحوارية، التي تستوعب التناقضات في تصارعها وتكاملها، أي يريد تطبيق الفكر المركب كوسيلة ومنهج للتعامل مع الظواهر البشرية، مما يسمح بفهم علاقة الإنسان بنفسه وبالمجتمع، كذلك الهوية البشرية المركبة التي يقول أنها ثالوث مركب بين فرد /نوع/مجتمع.[1] **ماذا يقصد موران بالحلقة الثلاثية أو الثالوث الإنساني؟ وما هي أبعاد الهوية البشرية؟**

يجيب عن السؤال في الفقرة التالية:

<< الإنسان في تعريفه المبدئي هو عبارة عن حلقة تتكون من فرد ومجتمع أنساني ونوع بيولوجي، أو بالأحرى النوع البشري، أدعوها حلقة لكي أوضح أن هناك علاقة وطيدة بين هذه الموضوعات الثلاثة، لأننا لا نستطيع القول أن الإنسان هو فرد بنسبة 33 بالمئة، واجتماعي 33 بالمئة و بيولوجي 33بالمئة، لكن ما نستطيع قوله أن الإنسان هو فردي مئة بالمئة، واجتماعي مئة بالمئة ، وبيولوجي مئة بالمئة، لماذا؟ لان الإنسان هو عنصر في المجتمع، والمجتمع عنصر في الفرد، لان ثقافة المجتمع موجودة داخل الفرد.>>[2]

عندما ننظر إلى الفرد على الصعيد النفسي تظهر لنا استقلاليته وصفاته المميزة بل يكاد يختفي المجتمع، لكن عندما ننظر إليه على الصعيد الاجتماعي يتلاشى الفرد. إذن الإنسان عبارة عن حلقة ثلاثية تتكون من فرد ونوع ومجتمع ، والفرد طرف في هذا الثالوث، كل مصطلح يتضمن الأخر، ليس الأفراد داخل النوع فقط، بل النوع أيضا داخل الأفراد، وليس الأفراد داخل المجتمع فحسب، بل المجتمع أيضا داخل الأفراد بفعل جبله إياهم منذ ولادتهم، والأفراد نتاج عملية تناسل النوع البشري، لكن هذه الصيرورة نفسها

[1]- داود خليفة، **ابسيتمولوجيا التعقيد** ، ص 244.

[2] – Edgar Morin, **penser global** , p 12.

يجب أن تقوم بها الأفراد.[1] هذه المصطلحات الثلاثة متكاملة مغذية بعضها البعض، فالنوع ينتج الأفراد، والأفراد بدورهم ينتجون المجتمع الذي بدوره ينتج الأفراد، ينتج كل من النوع والمجتمع، وكل واحد من هذه الأطراف ينتج الآخر ويحييه. هكذا لا يمكننا إضفاء الطابع المطلق على الفرد وجعله الغاية العليا في هذه الحلقة: الفرد– المجتمع– النوع، كما لا يمكننا أن نضفي الطابع المطلق على المجتمع أو النوع على المستوى الانتروبولوجي، يحيا المجتمع لأجل الفرد الذي يحيا بدوره لأجل المجتمع، وكل طرف داخل هذه العلاقة هو في الآن ذاته غاية ووسيلة، فالثقافة والمجتمع يسمحان بالتحقق المركب للأفراد، والتفاعلات بين الأفراد هي ما يمكن من استمرار الثقافة والتنظيم الذاتي للمجتمع.[2]

لا يكتفي **موران**– بالتعريف الثلاثي للإنسان بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فيرفض التعريف الفلسفي الشائع عن الإنسان أنه **كائن عاقل homo sapiens**، وفي نظره هذا التعريف ضيق لدرجة أنه يقصي العديد من الجوانب الإنسانية، بل الإنسان أكثر من عاقل، أنه أيضا **مخبول homo demens** ، من حيث هو الكائن القادر على ارتكاب الحماقات، من جهة ثانية، فليس الإنسان فقط الذي يصنع الأدوات، **الإنسان الصانع homo faber**، بل الصانع للأساطير، صانعا معها أديانا ومعتقدات خارقة عن الطبيعة، من جهة ثالثة، فليس فقط **الإنسان الاقتصادي**، بل **الإنسان** اللاعب [3] إنه الإنسان المركب الذي يتعذر اختزاله في الجانب العقلاني فقط، يقول:

<< ينبغي للقرن الواحد والعشرين أن يتخلى عن الرؤية الأحادية التي تنظر إلى الإنسان من وجهة نظر عقلانية، أو اقتصادية أو تقنية، إن الإنسان مركب يتشكل من أزواج وجهة نظر عقلانية، أو اقتصادية أو تقنية، إن الإنسان مركب يتشكل من أزواج

[1]- ادغار موران، **المنهج إنسانية الإنسانية** ، ص 66.

[2]- ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 51.

[3]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد**، ص 242.

من الخاصيات المتعارضة (العقل / الجنون)، (العمل/ اللعب)، (الواقع/ الخيال)، (الاقتصاد/ التبذير)، (النثر/ الشعر).>>[1]

إذن فالإنسان لا يحيا بالعقلانية والتقنية فحسب، بل ينزع إلى الأساطير والسحر والطقوس الأخرى، كما أنه يؤمن بفضائل التضحية، والتطلع إلى الحياة الأخرى، حياة ما بعد الموت. الإنسان يعتبر نسيج، أي كائن عاقل وأخرق، قادر في الوقت ذاته على الرزانة والتهور، يتوفر على طاقة وجدانية كثيفة وغير قارة، كائن يضحك ويبكي بقدر ما هو قادر على المعرفة موضوعيا، انه كائن منذور للعنف والحنان، للحب والكراهية، انه كائن يمنح أفكار يمكن التحقق منها، ولكن أيضا من أوهام وخرافات.[2] إذن الإنسان ذو أبعاد مختلفة مركبة ومتداخلة، فهو لا يعمل فقط من أجل كسب قوت عيشه، لأن الطبيعة الإنسانية لا تتكون من نشاطات بسيطة مبتذلة، وإنما تملك جانبا شعريا وتعبيرا صريحا عن الإحساس، والتوحد إلى الانتماء إلى الدين، وكذا جانبا متعلقا بالحب، يزدهر الفرد بهذه الجوانب داخل الجماعة. وبذلك فانه من الضروري تغيير مفهوم الإنسان العاقل الصانع المفرط في البساطة والاختزال إلى الإنسان المعقد.[3]

هذا التصور الجديد عن الإنسان الذي يطرحه **موران**– يستلزم الإلمام بجميع أبعاده المختلفة: البيولوجية، والنفسية والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية والفيزيائية، قصد فهم طبيعته، وهذا يستدعي ربط الصلة بين مختلف العلوم من علم النفس والبيولوجيا و علوم الإنسان، وعندما تتكامل هذه العلوم فيما بينها، تتجمع الجوانب الإنسانية ضمن مفهوم الإنسان المركب الذي يستحيل اختزاله في البيولوجي أو الاجتماعي أو النفسي.

---

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 54.

[2]- المصدر نفسه ص 55.

[3]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 243.

في الأخير نشير إلى أن الهدف الأساسي الذي يرمي إليه **ادغار موران** من خلال إصلاح المنظومة المعرفية، وكذا مفهوم الإنسان، هو إصلاح باقي المباحث الفكرية الأخرى، السياسية والاقتصادية، خاصة الأخلاق والتربية، أين يحاول **موران**– تطبيق مفهومه الجديد في الأخلاق والتربية، وهذا ما نتطرق إليه في الفصلين الثاني والثالث، ونبين عبقرية موران– في توظيف مفاهيمه الجديدة في التنظير الأخلاقي، والتطبيق في مجال التربية.

نتائج الفصل الأول:

بعدما تطرقنا في هذا الفصل إلى تبيان حقيقة التعقيد التي تميز العالم والإنسان على حد سواء، وبينا كيف أن التعقيد يمثل مشكلة وتحدي ينبغي على الفكر المعاصر مواجهته والاعتراف به، كما رأينا أن الفكر المركب هو نمط فكري جديد يساعد حسب موران– على التفكير الجيد، وطريقة لمواجهة العمى واللايقين، لهذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج تتمثل في النقاط التالية:

– التعقيد يمثل مشكلة وتحدى الفكر المعاصر، تبلورت هذه المشكلة وظهرت إلى الحقل العلمي والفلسفي نتيجة الاكتشافات الجديدة التي توصلت إليها بعض العلوم، خاصة الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا، كما يعود الفضل في ذلك إلى النظريات العلمية الأربعة (الفوضى، السبرنطيقا، الإعلام والاتصال، نظرية الأنساق العامة)، هذه الأخيرة عبرت عن التعقيد بكل أشكاله.

– كانت المنظومة الغربية تشكل خطر كبير باتخاذها النموذج التبسيطي الذي يقوم على اختزال الكون والإنسان في المفاهيم والكيانات المغلقة، مما عرقل طريقة التفكير، بالتالي سوء فهم العالم والإنسان.

– يمثل الفكر المركب الأطروحة المركزية عند **ادغار موران**– حاول من خلاله تقديم بديل لابيستمولوجيا التبسيط التي سيطرت على العقل الغربي منذ قرون، بالتالي يعتقد موران أن فكر التعقيد يمثل المفتاح الرئيسي لفهم موضوعات الفكر، فهمها داخل سياقها وتداخلاتها، دون عزلها وفصلها.

– الفكر المركب عند **موران**– هو إصلاح مفاهيمي جديد، يتمثل في إصلاح موضوعات الفكر التي تشتمل المعرفة والإنسان، بالتالي حاول تقديم مفهوم مركب عن المعرفة والإنسان.

الفصل الثانـي

الفصل الثاني: الأخلاق المركبة عند ادغار موران

1- إصلاح المنظومة الأخلاقية

2- أخلاق الفهم

3- أخلاق الجنس البشري

إن البحث عن مستقبل أفضل للإنسانية، يستلزم إعادة التفكير في مسالة التناقض واللايقين و اعتلال الحضارة الغربية، خاصة إعادة النظر في القيم الأخلاقية (الخير والشر)، التي تزداد تناقضا يوما بعد يوم في عالمنا المعاصر، هذا هو التحدى والرهان الذي اشتغل **موران**– على توضيحه في كتابه **المنهج** (الأخلاق) حيث لاحظ أن سؤال الإنسان ومصيره أصبح حاضرا بقوة في الفكر الغربي المعاصر.

لقد رأينا سابقا أن **موران**– ينظر إلى الإنسان من باب الكثرة، حيث يعتبره كائن مركب من حلقة ثلاثية: الفرد– المجتمع– النوع، وهذه الهوية المركبة لا يمكن فهمها إلى من خلال فكر مركب، قادر على الكشف عن ترابط هذه الأبعاد التي تشكل حقيقة الوجود الإنساني، فكل فرد يحمل خاصيات بيولوجية ونفسية تحدد فرديته و تميزه عن الأخر، بالمقابل للفرد إمكانية الانفتاح على الغير، لأنه يشعر بانتمائه للنوع البشري.

من هذا الانتماء يرى **موران**– إمكانية الاضطلاع بضمان هذا التلاقي مع الأخر، بتأسيس إتيقا تقوم على الطبيعة المتعددة للكائن البشري، أي وعي أخلاقي يحدد غاية الفعل الذي يقوم به الفرد، الذي هو فعل فردي ومتعلق بالأخر في نفس الوقت، وفي إطار هذه الإتيقا * يكون الفعل الأخلاقي، فعل يربط الفرد بالغير لتكون هذه الأخلاق بدورها مركبة.

ومن هذا حاول موران– وضع أسس جديدة ـ للأخلاق انطلاقا من براديغم التعقيد،

---

*الأخلاق في اللغة العربية هي جمع خلق وهو العادة والطبع والمروءة، أي أن الأخلاق تأخذ طابع العادة التي تأتي من دوام الممارسة.(انظر مراد وهبة المعجم الفلسفي، ص 33.)

وفي موضع أخر تعرف الأخلاق على إنها لفظ يطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس حميدة أم مذمومة، فنقول فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق، أي أن الأخلاق تعني كل الأفعال والسلوكيات التي تصدر من الإنسان سواء كانت خير أو شر. (انظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2 ص 49).

ومن مفهومه الجديد عن الإنسان، وهنا نتساءل: **كيف ينظر موران– إلى الأخلاق من زاوية تعقيد الكائن البشري؟ و ما هو الأساس النظري الذي يقدمه الفكر المركب للأخلاق؟**

1- إصلاح المنظومة الأخلاقية

نحن اليوم بحاجة إلى تنمية وعينا الذاتي، في حين أنه لكي يكون هناك وعي ذاتي يفترض الأمر هنا وجود معرفة ذاتية، وهذه الأخيرة نفسها تفترض معرفة موثوقة، مما يستلزم مبدئيا العمل على حسن التفكير، وهذا هو مبدأ الأخلاق، وهذا لا يعني أنه يكفي التفكير على نحو صحيح، لكي يكون الشخص أخلاقيا، بل يجب أيضا امتلاك فكر صحيح، أي فكر واعي بالآثار المخربة لبعض النوايا الطيبة.[1] فكل فعل في نظر **موران**- يجب الأخذ في الحسبان سمته الايكولوجية (البيئية)، أي جملة التحولات والانعطافات التي سنختبرها في الأوساط التاريخية والاجتماعية والثقافية التي سينشأ الفعل في داخلها، وهي أوساط لها، لا محالة أثار سلبية ومضادة لمقصد الفعل الأصلي.

إن الأخذ في الحسبان ل(ايكولوجيا) الفعل يقودنا إلى يقظة، من دونها ترانا محكومين بالعماء، وما يسميه فكرا مركبا، يمكن تلخيصه في عبارة العمل على حسن التفكير.[2] هذا هو الإصلاح الذي ينبغي أن يحصل للمنظومة الأخلاقية، الأمر الذي يستوجب الوعي بالأزمة التي تضرب أسس الأخلاق في عالمنا المعاصر، وكذا معرفة ملامح هذه الأزمة. وهنا يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي:

ما طبيعة الأزمة الأخلاقية؟ وما هي ملامحها؟ وكيف يمكن تجاوزها حسب موران؟

[1]- ادغار موران، << **إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي>>** ، تر: عفيف عثمان، مجلة الاستغراب، العدد8 ، 2017، ص 33.

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

1-1- أزمة الأخلاق وعلاقاتها بالعلوم الأخرى:

عند النظر إلى عالمنا الحالي، نرى جليا انتشار العنف والاستبداد، البيروقراطية، السيطرة، التعصب والعنصرية، كل هذه الملامح تشير إلى أزمة عامة تهدد مستقبل البشرية، بمعنى ملامح تعبر بصورة واضحة عن أزمة أخلاقية كبيرة، إنها في نظر **موران**- أزمة أسس ومبادئ الأخلاق **les fondements de l'éthique**.

<< إن أسس الأخلاق في العالم الغربي تعيش مرحلة أزمة: الله غائب، القانون غير معترف به، الأنا الأعلى الاجتماعي لا يفرض أوامره وقوانينه، بالتالي يمكن القول أنه غائب أيضا، نقص روح المسؤولية والتضامن ، إذن أزمة الأسس الأخلاقية تقع في أزمة عامة تخص أسس اليقين: أزمة أسس المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية.>>[1]

على هذا الأساس تكون أزمة الأخلاق مرتبطة تماما بأزمة الأسس في المعرفة (الفلسفية والعلمية)، والتي تحولت إلى أزمة عامة تضرب كل مستويات الحياة الاجتماعية: الاقتصاد، والأخلاق والسياسة، وكل هذه الأزمات في نظر **موران**- هي مترابطة بعضها البعض، كل واحدة منها تدخل في الأخرى، وتعمق فيها. لتعبر في الأخير عن الوجه الغير الواضح لحضارتنا الحالية.[2] لهذا فالأزمة الأخلاقية وفقا **لموران**- ناتجة عن الأسباب التالية:

- زيادة تدهور النسيج الاجتماعي في الكثير من المجالات، خاصة تراجع التمثل للقانون الجماعي في أذهان المواطنين.

- تراجع ملامح التضامن التقليدية.

- تراجع الوعي الذاتي بالنسبة للفرد، حيث أصبح يخضع لاستعداد خارجي أو مجهول عن ذاتيته.

---

[1] - Robine fortin, **comprendre la complexité**, op.cit, pp 178-179.

[2] - Edgar Morin , **la méthode- éthique** , p 26.

– تطور مبدأ النزعة المتمركزة حول الذات، و تراجع فعالية الصلة بين الفرد والمجتمع والنوع.[1]

من هنا نفهم أن الأخلاق لا تنفصل عن باقي المجالات الأخرى، فأي أزمة تضرب أسس مجال معين، تكون نتيجتها أزمة أخلاقية، لأن تطور المجتمعات يقاس بمدى تمثلها للقانون الخلقي، والعكس يشير مباشرة إلى أزمات معرفية وعلمية وسياسية، دينية، من هنا يحاول **موران**– أن يدرس أزمة الأخلاق داخل دائرة العلوم الأخرى.

أ– الأخلاق والسياسة

يعتبر **موران**– أن كل سياسة بدون قناعة أخلاقية لا يمكن أن تكون إلا على الطريقة **المكيافيلية*** ، بالمقابل فالأخلاق بدون سياسة تكون عاجزة على تقديم إمكانيات الوصول إلى تحقيق غاياتها، لهذا فالأخلاق والسياسة تجتمعان في علاقة غير واضحة ومتمايزة، لكن ضرورية، بحيث يجب على الأخلاق الاندماج مع السياسة لتفادي النظرة الميكيافيلة، وكذا عليها أن تعمل على إيقاظ الوعي الأخلاقي لدى السياسي.[2] من هنا يدعو **موران**– إلى بعث الوعي الأخلاقي في السياسة، لأن العلاقة بينهما تتسم بالتصارع والتكامل في آن واحد، حيث يشير إلى ضرورة التشدد من أجل سياسة للمستقبل، تقوم على ضرورة تنامي دور الأخلاقيات في هذه العلاقة الحوارية بين الأخلاق والسياسة[3] و تكمن هذه الحوارية في نظره– في التصارع الدائم بين الفعل

[1] – Edgar Morin , **la méthode– éthique** , p 27 .

[2] –Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 185.

– *المكيافيلية: فلسفة سياسية تركز على مبدأ القوة ، ظهرت في ايطاليا عند المفكر نيكولاي مكيافيلي، الذي نظر لفكر سياسي، يستبعد أي اعتبار ديني أو أخلاقي أثناء ممارسة الحكم، تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة.

[3]- جيروم بندي، **القيم إلى أين ؟**، ترجمة زهيدة درويش و جان جبور، دار الحكمة، تونس 2005 ص 365.

السياسي والفعل الأخلاقي، وفي بعض الأحيان تقف الأخلاق في وجه فعل سياسي يحمل غرض لا أخلاقي، بالمقابل قد يقوم السياسي أثناء الممارسة الواقعية بتجاهل القيم الأخلاقية، والإرتكاز على المصلحة السياسة.

وهكذا فالعلاقة الموجودة بين الأخلاق والسياسة يجب أن تكون موضوعا للتفكير في مرحلتنا المعاصرة، فهناك تناقضات كبيرة بين الفعل السياسي و القيمة الخلقية خاصة في مرحلة الأزمة، حيث تعمل السياسة وفق برنامج التنمية المالية على حساب القيم الخلقية، بمعنى يقوم السياسيين بعدم أخذ أي اعتبار للأخلاق من أجل الوصول إلى مصالحهم.

إذن الأخلاق تحتاج إلى سياسة، كما أن هذه الأخيرة تستلزم بدورها قليلا من الوسائل و الغايات الأخلاقية. وفي هذا السياق يقول :

<< يمكن لنا أن نطرح مسالة العلاقة بين الأخلاق والسياسة في إطار التكامل و التنافس والتعارض.>>[1]

فالعلاقة هنا جدلية، تكاملية في بعض الحالات أين يكمل بعضها البعض، وتعارضية بالمثل، حيث يعمل كل طرف على حجب وكبح مقصد الطرف الأخر، من هنا يدعو **موران**- إلى تدعيم فعالية البعد الأخلاقي في الممارسات السياسية. ليركز في ذلك على الإستراتيجية ، لأنه ينظر إلى الأخلاق بإعتبارها **(فنا)** و استراتيجيا، و رهان لا ينفصل

[1] – Edgar Morin , **la méthode**– **éthique** , p 97.

–*الاستراتيجيا:مصطلح يرجع في أصله إلى اللغة اليونانية، وتحديدا إلى كلمة (استراتيوجس) والتي تعني فن الحرب أو التخطيط العسكري، ومن هنا فان هذا المصطلح ارتبط في بداياته بالعسكرية وفنونها، حيث كانت تدل على رغبة القائد في وضع خطة مستقبلية من اجل الحصول على المكاسب و الانتصارات، وتحقيق الأهداف العسكرية.

–ويعرف التخطيط الاستراتيجي على انه التخطيط بعبد المدى والذي يأخذ في حسبانه مختلف العوامل والمتغيرات داخلية أو خارجية بغية تحقيق الأهداف المرجوة.

عن المعرفة المركبة.[1] لهذا حاول أن يبين إمكانية التفاعل الايجابي بين الأخلاق والسياسة، وإقامة صلة مباشرة بين الفعل السياسي والغاية الأخلاقية من أجل تحقيق راحة المواطنين، التي تندمج في مفهوم التماسك الاجتماعي والتوازن بين القيمة المادية والقيمة المعنوية.

ب- الأخلاق والعلم:

يرى **موران**- أن العلم والأخلاق يبدو أنهما اليوم في حالة من الانفصال التام، في حين أن العلاقة بين العلم والأخلاق هي مسالة أساسية، غير أن قدرة الأخلاق على ضبط العلم بعيدة عن التحقق، لأن العلم منفصل عن الأخلاق.[2] فقد كان العلم هامشي، خلال ظهوره في القرن التاسع عشر، حيث كان أغلبية العلماء ينظر إليهم على أنهم حرفيين مبتدئين، والعلم لم يكن ليتأسس إلا من خلال الفصل بين حكم القيمة وحكم الفعل، بمعنى عزل الفلسفة التي كانت موجهة نحو الإعتناء بمشاكل الوعي والأخلاق والحرية والمسؤولية، وبين العلم (المعرفة من أجل المعرفة) الذي يقوم على إقصاء كل الأحكام الخاصة بالقيمة، وكل حكم من شأنه أن يعيق تطور المعرفة الموضوعية، لهذا تأسس العلم على عزل الذات التأملية، آو الذات الفلسفية والأخلاقية. مما دفع بالعلم إلى التقدم، غير أن الاستعمال السيئ للعلم أدى إلى استخدامه لكسب القوة والسيطرة من طرف السياسيين.[3] من هذا الأساس يتخذ **موران**- من قاعدة **رابليه*** القائلة: " **علم بدون وعي، هو دمار للروح**"، لكنه لا يكتفي بذلك بل يصل إلى القول: علم بدون وعي، ليس فقط دمار الروح بل دمار الإنسان" .[4] من هنا يؤكد **موران**- أن العلم أصبح

---

[1] – Robine fortin, **comprendre la complexité**, p184.

[2]- جيروم بندي، **إلقيم إلى أين؟** ، ص 104.

[3] – Robine fortin, **comprendre la complexité**, p 181.

-* فرانسوا رابليه: François Rabelais (1553/1494) مفكر وفيلسوف فرنسي، اهتم بمسالة الأخلاق والتنوير.

[4] – Edgar Morin et le moigne**, l'intelligence de la complexité** , p25.

المحرك الأساسي للاقتصاد و القوة السياسية الموجودة في أيدي الدولة، رغم أن العلماء استطاعوا أن يمضوا قدما بالتقدم العلمي، غير أنهم في المقابل أصبحوا عاجزين عن مراقبة نتائجه.

<< المعرفة العلمية حققت أنماط معتبرة، ساعدت العلماء على تفسير الأشياء، تفسيرا مقنعا، لكن أصبحت اليوم عمياء اتجاه ذاتية الإنسان، كما أنها أصبحت عمياء أمام منحى العلم ذاته.>>[1]

يشير **موران**– في هذا المقام إلى أن العلم أصبح المحرك الأساسي للاقتصاد، والقوة السياسية في المقام الأول في أيدي السلطة، التي أصبحت في الأخير هيئة تحتكر كل وسائل القوة والسيطرة، هذا ما يثبت تطور العلم خلال الفترات الأخيرة، حيث مكن العالم من تحقيق متطلبات الرفاهية المادية، غير أن العلماء أنفسهم أنتجوا العلم، بالمقابل أصبحوا عاجزين عن التحكم فيه، هذا ما يطلق عليه فيلسوفنا– مصطلح **مفارقات العلم*** **paradoxe de la science** ، بالفعل فإنه لا ينكر أن العلم إبتكر كل الوسائل اللازمة لفهم طبيعة الأشياء، لكنه تحول إلى علم أعمى اتجاه الذاتية الإنسانية.[2] بمعنى أصبح العلماء على جهل بمسار العلم ذاته، لأنه قام بإقصاء الذات الواعية، وكذا فكرة المسؤولية، حتى أصبح العلم عاجز عن معرفة ذاته، أو بالأحرى التفكير في نتائجه، و هو دليل على غياب روح التأمل الذاتي التي تسمح بإمتحان نتائج العلم ونقدها الذاتي.

بناء على هذا التصور يرى **موران**– أنه لا يمكن أن يوجد وعي أخلاقي، بدون نقد ذاتي للمعرفة العلمية، و حالة العمى التي كشفها **هوسرل husserl** خلال كتاباته حول

– *المفارقة: paradoxe هي بيان بالرغم من أن التعليل يبدو ظاهريا مبني على مقدمات وحجج منطقية، إلا انه يؤدي إلى تناقض البيان نفسه، أو يؤدي إلى استنتاج عبارة غير منطقية، أو أمر محير في دائرة مغلقة، من الممكن أن تكون المفارقة عبارة صحيحة أو مجموعة من العبارات التي تتضمن معنى التناقض أو النفي.

[1]– Edgar Morin, **la méthode– l'éthique**_, p 76.

[2] – Ibid. p 77.

العلم، تتحدد في عجز العلم عن التأمل والنظر الذاتي، الأمر الذي أدى في النهاية إلى إستحالة وجود فعالية إيجابية بين العلم والأخلاق.[1] ومع ذلك لا ينبغي أن نفهم أن الجمع بين العلم والأخلاق أمر مستحيل، بل يجب على العلماء أن يكونوا واعين بالعلاقة الوطيدة بين العلم والأخلاق والسياسة. لهذا فوعي علمي جديد يمكن أن يعمل على إنبثاق وعي سياسي جديد ، وعي يساعد على تأسيس وعي علمي جديد، وحسب **موران**– فإن كلا الوعيين غير موجودين، لأنهما عاجزين على سلط الضوء على بعضها البعض. فالعلم اليوم لا يتفاعل مع الوعي، كذلك السياسة لا تتفاعل مع الوعي، بالمقابل فان العلم والسياسة بينها علاقة حميمية، هذا ما أدى إلى أزمة أخلاقية كبيرة.

ج–الأخلاق والمعرفة:

هناك علاقة وطيدة بين الأخلاق و المعرفة **éthique et connaissance**، حيث يشير **موران**– إلى أن الأخلاق يجب أن تأخذ مصدرها من معرفة، لكن لا يمكن أن تحصر في معرفة معينة. أي لا نستطيع أن نجعل الواجب مقيد بمعرفة، لأن معرفة الأخلاق تسمح لنا بتأسيس أخلاق للمعرفة، التي تساعدنا على مواجهة العمى و الوهم، والفصل والاختزال.[2] بهذا المعنى تكون الأخلاق على الدوام تحتاج إلى معرفة، أي معرفة العوائق التي تمنع وجود الوعي الأخلاقي لدى الكائن البشري، وغياب هذه المعرفة يؤدي إلى سوء التفكير فيما يخص مفاهيم الحب والتضامن وروح المسؤولية.

من هنا يدعو **موران**– إلى العمل على **<التفكير الجيد>**، إذ يجب على المعرفة والأخلاق أن تحارب **< سوء التفكير>**، العمل على التفكير الجيد كما قال **باسكال**، هو

[1] – Robin fortin, **comprendre la complexité** , p 182.

[2] – Ibid. p 185.

المبدأ الأساسي للأخلاق.[1]. ويتحدد التفكير الجيد في نظر موران- على بناء تفكير ايجابي يراعي مايلي:

- **الوصل** * **relier** بين الأخلاق والمعرفة، وباقي المباحث الأخرى ربطا قويا.

- الاعتراف بالعلاقات المركبة التي توحد الكل مع الأجزاء، الواحد والمتنوع.

- وضع كل فعل بالأخص الفعل الأخلاقي في سياقه، وفهم لعبة الفعل و رد الفعل التي يمكن أن تغير الفعل عن مقصده.

- تأسيس عقلانية منفتحة، بمعنى عقلانية تعترف بحدود العقلانية ذاتها، قادرة على إدماج اللامعقول داخل العقلانية.

- معالجة التعقيدات و مواجهة اللايقينيات و التناقضات.[2]

من هنا يرى **موران**- إن التفكير الجيد، يستلزم فكر مركب يعمل على تطبيق مفهوم الربط والوصل بين مباحث المعرفة، لأجل فهم طبيعة الفكر البشري، خاصة الفهم الكامل للعلاقات الإنسانية، بهذا المعنى يكون **<< العمل على التفكير الجيد>>** قائم على فكرة الاعتراف بالتعقيد الإنساني، وأن الأخلاق لا يمكن أن تكون إلا أخلاق مركبة، مثل المعرفة المركبة ذاتها.[3] يقصد بالأخلاق المركبة، أخلاق التنوير و الوصل، والوعي والنقد والمسؤولية، تتصف بميزة الانفتاح، والتعدد والكوكبية، من أجل مواجهة الأزمة الأخلاقية، بالطبع هذا يستلزم حسب **موران**- معرفة ملامح هذه الأزمة، لنتساءل: **ما هي ملامح أزمة الأخلاق في نظر موران؟**

---

[1] -Edgar Morin, **la méthode : éthique**_, p 63.

* الوصل : هو مصطلح موراني يهدف إلى ربط التخصصات المختلفة بعضها البعض داخل سياق واحد.

-

[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité** , pp 185- 186.

[3] - ibid. p 186.

1-2- اللايقين الأخلاقي:

إن الاعتقاد بأخلاق شفافة وعالية للجنس البشري، يستدعي حسب **موران**- الوعي التام بضرورة تجاوز بعض المظاهر المضطربة التي نلاحظها في الممارسات الإنسانية والاجتماعية، وهذا الوعي يتمثل في الاعتراف بوجود انعكاسات وانفلات وتناقضات تخص مقصد الفعل، حيث هناك رد فعل انعكاسي في الفعل الخلقي والعلاقة بين النية والفعل، لأن الأشياء لا تبدو واضحة على الدوام كما يعتقد البعض، وفي الأخلاق لا يكفي الحكم على الفعل أو النية فقط، بل يجب أيضا مراعاة نتائج الفعل.

يرى **موران**- أنه مهما كان الإنسان على وعي بفعل الخير، فالأخلاق تلقى صعوبات ليس لها حلول في فعل الخير أو الاندفاع نحو الفعل الحسن أو القيام بالواجب، وهذه الصعوبة تكمن في العلاقة بين النية والفعل، بسبب أن النية مهددة بالفشل أثناء الفعل ذاته، وحتى لو حاولت الأخلاق النظر إلى نتائج الأفعال فإنها لا تستطيع مراقبتها والتحكم فيها، هذا ما يستوجب على الأخلاق الاعتراف بلايقين الفعل الخلقي، ومن ثمة مواجهته.[1] لهذا فالأخلاق تقع تحت رحمة اللايقين، فكثيرا ما تكون نية الفعل طيبة، والنتائج بعد الفعل تكون سيئة، والعكس صحيح أيضا، من هنا يشير **موران**- إلى ضرورة معرفة أن الأخلاق تحكمها علاقة تكامل وتعارض في نفس الوقت، تكاملية لأن النية الأخلاقية لا معنى لها إلا في نتائج الفعل، وتعارضية أثناء النظر إلى النتائج اللاخلقية للفعل الخلقي، وكذا النتائج الخلقية للفعل اللاخلقي.[2] من هنا عمل **موران**- من خلال **المنهج-6** على توضيح أسباب اللايقين الأخلاقي. **أولا:** يرتبط اللايقين الأخلاقي بمسالة **الفعل** ذاته، ويشير هنا إلى مسألة الفعل البشري، فيما ذلك الفعل الأخلاقي، أنه

[1] – Edgar Morin, **la méthode : l'éthique** , p 45.

[2] – **ibid**. p 46.

يدخل في سياق معقد في أغلب الحالات، حيث يقع في حالة من فعل ورد الفعل، الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى الانحراف عن مسار مقصده الأصلي، والأكثر من ذلك قد يقدم الفعل عكس النتيجة التي يريدها الفاعل، أي أن الفعل عندما يدخل في سياق معين، فإن إرادة الفاعل يمكن تجاوزها، وتعود النتيجة ضد الفاعل ذاته.[1] لهذا فالبيئة التي تحتضن الفعل كثيرا ما تعمل على تغيير مسعاه ومقصده، من هنا يقول موران:

<< لأجل فهم نتائج كل فعل أو عملية بما في ذلك الفعل الخلقي، يجب النظر إلى بيئية ذلك الفعل، بحيث تبين لنا ايكولوجيا الفعل، إن كل فعل ينفلت شيئا فشيئا عن إرادة صاحبه، نتيجة دخول الفعل في عملية الفعل وردود الأفعال داخل الوسط الذي يستقبل فيه الفعل، لهذا فالفعل ليس مهدد بالفشل فحسب، بل يمكن أن يغير معناه الأصلي.>>[2]

نفهم من هذا القول أن الفعل مهما كان سياسيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا لا يخضع لنيات صاحبه فحسب، بل يخضع أيضا لظروف الوسط الذي يدور فيه الفعل، لهذا فايكولوجيا الفعل هو مبدأ يراعي اللايقين والتناقض داخل العلاقة بين النية والفعل.[3] من هنا يركز **موران**– على مبدأ ايكولوجيا الفعل، حيث يرى فيه سبيل لمعرفة طبيعة الفعل الخلقي، ويقر بأن نتائج الفعل كثيرا ما تكون مستقلة عن إرادة صاحبها، لأن الفعل يتأثر في الوسط الذي يتحقق فيه، حتى أنه يمكن أن ينفلت من ظروف هذا الوسط بالذات، هذا ما يبين أن الفعل على الدوام يقع في دائرة اللايقين والتناقض.

---

[1] – Robin fortin , **comprendre la complexité**, p187.

[2] - Edgar Morin, **la méthode : l'éthique** , p 45.

[3] - ibid. p 46.

من هذا المنطلق يشير **موران**- إلى ضرورة الوعي بالانزلاقات والتشعبات التي تحدث للفعل أثناء دخوله في لعبة التجسد، ذلك لوجود وضعيات بدئية يمكن أن تؤدي بنا نحو انزياحات لا رجعة فيها، مثلا **مارتن لوثر** * عندما قاد حركته كان يعتقد أنه يعمل مع الكنيسة، وأنه يحاول إصلاح تجاوزات **البابوية** *في ألمانيا، وعندما كان عليه الاختيار بين التخلي عن الأمر أو الاستمرار فيه، قام بخطوة نحو الأمام، الأمر الذي حوله من مصلح إلى محتج.[1] الآمر الذي يجعلنا ملزمين على أن نكون على وعي دائم بالصدف والتشعبات التي يخضع لها الفعل أثناء عملية التجسد، لأن مجال الفعل هو مجال اعتباطي ومعقد جدا كما أنه لا يقيني جدا، يفرض علينا وعيا حادا بالصدف والتشعبات، بالتالي ضرورة التأمل في تعقيد الفعل.

من هنا فالفعل يخضع لعقبات وحدود معرفية، بسبب عدم قدرة الإنسان على تحديد التفاعلات التي تخص الفعل وردود الأفعال داخل الوسط المعقد، يتعلق الأمر هنا بالوسط التاريخي- الاجتماعي. بحيث هناك حدود لتحديد ومعرفة مجال الحياة الاجتماعية، بما فيها الفعل الذي يندرج بداخلها، لهذا علينا أن نعترف بنتائج الأخلاق التي تخرج عن نطاق قدرتنا.[2] ، فقد كان أحد أكبر إنجازات القرن العشرين ظهور **نظرية اللعب*** للعالم **فون نيومان** * **von neumann** التي ترى أن ألعاب الحياة في أغلب الأحيان تتكون من بطلين أو شخصين، وأيضا في غالب الأحيان هما بطلين عقلانيين،

---

[1] - ادغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 80.

[2] - Edgar Morin, **la méthode : l'éthique** , p 47.

-*مارتن لوثر :martin luther (1546/1483) مفكر ألماني، ومصلح الديني، ويعد الأب الروحي لكنيسة البروتستانت.

وهي حركة دينية ظهرت في ايطاليا في القرون الوسطى، عرفت بالسلطة البابويةpape* البابوية: مصطلح يعود إلى كلمة

- * نظرية اللعب: أسسها العالم الامريكي فون نيومان (1957/1903) ، وهي معالجة علمية، ومجال من مجالات اهتمام الرياضيات والعلوم الاقتصادية، وتهتم بدراسة استراتيجيات التصرف أو العمل في ظل نظام أو منظومة ذات قواعد معينة

ويوجد في نفس الوقت الخطر والحظ في كل فعل وعملية.[1] بالطبع هذا ما يبين وجود نوع من الخطر واللايقين الذي يحمله الفعل، ما يقودنا حسب **موران**- إلى ضرورة تصميم العلاقة المركبة بين الخطر والاحتياط في كل عملية تدخل في وسط اللايقين، لوجود تعارض بين مبدأ الخطر ومبدأ الاحتياط، هذا ما يعني أن الفعل الأخلاقي يفرض التعقيد والصدفة والاحتمال والتحولات، لذلك يجب على كل إنسان أن يكون على وعي بمخاطر الفعل التي قد تحول النية الطيبة إلى نتيجة وخيمة،أي فعل لا أخلاقي.

ثانيا: يرتبط عدم اليقين بالتعارض **antagonisme** بين **الغايات والوسائل**، بحيث يرى **موران**- أن الصعوبة الثانية التي تواجهها الأخلاق تتعلق بمسالة الغايات والوسائل مثل أتباع طرق لا أخلاقية من أجل الوصول إلى غايات أخلاقية (تفجير هوروشيما ونكازاكي من أجل وضع النهاية للحرب)، هل هذا شرعي أم غير شرعي؟ في الحقيقة يصعب معرفة ذلك لأن الأساس الذي يحكم الفعل الخلقي هو التعارض الدائم بين الغاية والوسيلة.[2] فعدم اليقين يسكن في قلب هذا التعارض، لأن إيقاف القتل الذي هو غاية أخلاقية، يستلزم استعمال القتل الذي هو وسيلة لا أخلاقية.[3]

وفقا **لموران**- فنحن في بعض الأحيان نهمل الغايات من أجل حاجة عاجلة، وكذا إهمال فعل من أجل فعل أخر مستعجل، كما قال **ابوقراط وابن سينا**، حول ضرورة معالجة أسباب المرض، بدل الأعراض، إلا في حالة الخطر المميت، أين يجب مهاجمة الأعراض منذ البدء، ويبقى اللايقين حول التشخيص يهدد بالخطر والموت. من هنا فالفعل الخلقي يحمل علاقة جدلية، قائمة على التعارض والتكامل، حيث تؤدي الغاية السامية إلى اتخاذ وسائل في غاية البشاعة، كذلك هذه الوسائل تعبر عن قرار غير سوي، أي غير أخلاقي. وهنا تبرز الميزة المعقدة للفعل الخلقي.

---

[1] - Edgar Morin, **la méthode – éthique** p 48.

[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité**_, p189.

[3] -Edgar Morin, **la méthode – éthique** , p 49.

وبناء على هذا التصور يقترح **موران**– أخلاق التعقيد التي تقوم على فكرة أساسية مفادها أن الخير يمكن له أن يحمل الشر، بالمقابل فالشر يمكن أن يقود إلى الخير، وهذا ما ينبغي منا أن نتأكد منه، غير أن أخلاق التبسيط كانت تخضع لمبدأين مستقلين متعارضين هما الخير والشر[1]. هكذا فالفعل الأخلاقي على الدوام يحمل اللايقين، والصعوبات وعدم القرار، ولهذا يجب تحمل مسؤولية اللايقين، بمعنى تحمل مسار الإنسان في كل حالاته المأسوية، لأن الفعل الخير يمكن أن ينتج مستقبل سيئ، وخطير.

ثالثا: يرتبط عدم اليقين بمشكل التناقض **contradiction**، حيث يرى موران– أنه لا يوجد فعل يستطيع أن يمتص فضيحة التناقض، إلا في ألعاب بهلوانية تجعل التناقض منطقيا، وبوسع الفكر أن يعالج التناقض دون إلغائه، وينحدر لايقين التناقض في أننا لا نعرف مسبقا التناقضات التي يمكننا تخطيها وتجاوزها، ليكون الفكر في الأخير عبارة عن مغامرة. والحال أننا لا نملك قاعدة منطقية لحسم القبول بالتناقض أو رفضه داخل هذه المغامرة، لكن علينا أن نتعايش معه لأنه يدعونا إلى الفكر المركب.[2]

يشير **موران**– إلى أن عدم القين لا يرجع فحسب، إلى ارتدادات الفعل داخل الوسط البيئي، أو إلى أوهام العقل البشري، بل يمكن أن يرتبط بمشكلة التناقض الموجود في جوهر الأخلاق بالذات، وهنا يستوجب القول أن **موران**– ينظر إلى الفعل الأخلاقي باعتباره مراهنة و استراتيجيا، يمكن أن يتحول إلى عكس ما ينويه الشخص، بسبب وجود واجبات ومبادئ متناقضة ومتعارضة.[3] لهذا فالأخلاق في نظره، لا تنفلت من قبضة التناقض، مثل الفكر المركب، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى عدم وجود

[1] - Robin fortin, **comprendre la complexité** , p190.

[2]- ادغار موران، **المنهج– الأفكار**، ص 292.

[3] - Robin fortin, **comprendre la complexité** , p191.

مبادئ و واجبات موحدة في كل الظروف، وبالطبع هذا ما ينتج في النهاية صراع أخلاقي يدور حول مبادئ متعارضة ومتناقضة.[1] إذن كل فعل أخلاقي يحمل تناقض المبادئ والغايات في منظور **موران**– حيث يتحدد هذا التناقض في التعارض بين أخلاق الفرد، وأخلاق المجتمع، بمعنى استحالة الانسجام الكلي بين خير الفرد وخير الجماعة، بحيث يستحيل استخلاص مصلحة الجماعة من مصلحة الفرد، كذلك تحديد سعادة الجماعة انطلاقا من سعادة الشخص كفرد.[2] من هنا يركز **موران**– على مفهوم التناقض الأخلاقي، لأن الفرد يجد نفسه دائما في صراع مع الأخر أثناء الاندفاع نحو رغباته، وتحقيق سعادته، لكن بالمقابل نجد أن الغير آو الجماعة كثيرا ما يكونوا هم من يوفرون الوسائل للفرد لكي يبلغ غاياته الأخلاقية، و هكذا نفهم أن هذا التناقض يمثل سمة جذرية في جوهر الأخلاق، لذلك فالفعل الخلقي يقع تحت رحمة اللايقين.

وفقا **لموران**– فالمنظومة الأخلاقية تستلزم إعادة النظر فيها، من أجل تجاوز أزمة اللايقين الذي يضرب أسسها، لكن هذه المهمة، تحتاج إلى البحث عن مصدر الأخلاق الذي تستمد منه القيم والأحكام وأوامر الفعل والترك، وكما هو معروف في تاريخ الفكر الأخلاقي، أن الاختلاف و تناقض وجهات النظر في قيم الخير والشر، ترجع في الأساس إلى تعدد المصادر التي تستمد منها القواعد الأخلاقية، وفي قلب هذه المشكلة العويصة، يقترح فيلسوفنا– نظرة جديدة، يدعو فيها إلى أخلاق مركبة.

[1] -Edgar Morin, **la méthode – l'éthique** , p 54.

[2] - ibid., p 55.

1-3- أخلاق التعقيد و مصدرها عند ادغار موران

يعتبر كتاب **المنهج الجزء-6-** إحدى الإسهامات الكبيرة التي قدمها **موران-** حاول من خلالها معالجة مسألة الأخلاق، وإعادة النظر في أسسها ومبادئها، بعد دراسة معمقة، تحليلية، أنثروبولوجية و تاريخية وفلسفية لقيم المجتمع المعاصر، بالأخص قيم المجتمع الغربي التي دخلت في مرحلة أزمة. إذ يرى ضرورة إصلاح الفكر الأخلاقي، وإعادة النظر في علاقات (المعرفة والواجب)، (الوعي الذهني والوعي الأخلاقي)، (النيات الطيبة و الأفعال السيئة)، (الإرادة الخلقية و النتائج اللاخلقية) في إطار مركب، لأن الكائن البشري هو في الآن نفسه: فرد/ مجتمع/ ونوع .[1]

من هنا فالمشكل الذي تطرحه الأخلاق، يتعلق بالعلاقات بين العلوم، الاعتقادات، العادات والتقاليد، الأهواء والنزعة الذاتية، لهذا كان الهدف الأسمى الذي كان **موران-** يهدف إليه هو التأسيس لأخلاق قادرة على ترسيخ مبادئ التقارب والحوار بين الأفراد و الشعوب، بمعنى قيم أخلاقية عالمية تجعل كل المجتمعات تنتسب إلى أرض- الوطن، وإنسانية كوكبية.[2] ولتحقيق هذا الهدف اشتغل **موران-** خلال مشروعه الفكري على بعث جديد للأخلاق، انطلاقا من بلورة مصطلح (الوصل) **la reliance**، لأنه كان يعتقد كما رأينا سابقا، أن كل إصلاح معرفي يستلزم إصلاح فكري، يقوم على إعادة الوصل ولم شمل المعارف، أي ربط الأجزاء بالكل، وكذا الكل مع الأجزاء، من أجل فهم العلاقة بين الشمولي والجزئي أو الخاص.[3] و كذلك إصلاح الفكر الأخلاقي يستدعي فكر الوصل، هذا ما يطلق عليه **موران-** أخلاق الوصل، حيث يقول: **<< الفعل**

---

[1]- Jacques cortes, << **la méthode d'Edgar Morin>>** , synergies monde, n° 4 , 2008, p 55.

[2]- ibid. p 56.

[3] - Edgar Morin, **la voie** , Edition fayard, France, 2011, p 240.

الأخلاقي هو فعل الوصل: وصل مع الأخر، وصل مع الشعوب، وصل مع المجتمع، في الأخير الوصل مع النوع البشري.>>[1]

إذن كل نظرة إلى الأخلاق يجب أن تدرك أن الفعل الأخلاقي هو فعل فردي، يدخل في علاقة ترابط مع الأخر، والمجتمع، و النوع البشري، ليتضح أمامنا أن الفعل الخلقي، هو فعل مستقل و جماعي بالنسبة للفرد في نفس الوقت[2]. لهذا يرى **موران**– أن الأخلاق الإنسانية تستحق اليوم أن تكون موضوع التفكير، وأن نأمل في إصلاح أخلاقي بطريقة جديدة، تجعل الذات الإنسانية في قلب موضوع الأخلاق. وإذا أردنا أن نحدد معنى – **النزعة الذاتية**– أي **(أنا)** هي ذات تحمل مصطلح الأنا المركزية التي تقوم على مبدأ يقصي كل ما هو خارج الذات، أي إقصاء الآخرين، ولكن هذه الأنا يمكن لها أن تندمج في مصطلح **(نحن)** أن تقيم علاقات مع الآخرين: العائلة ، الأصدقاء والأمة، ما يدفع بالأنا في بعض الأحيان إلى التضحية بحياتها من أجل **النحن،**

ومن هنا نفهم أن الكائن البشري يتكون من قاعدة ثنائية: الأولى تدفعه إلى النزعة الذاتية، أين يضحي بالآخرين من أجل مصلحته، والثانية بدورها تدفعه إلى التضحية بحياته من أجل الآخرين، أي إلى الصداقة والحب، لهذا يجب على هذه الميزة الثنائية للطبيعة البشرية أن تتخذ كقاعدة لإصلاح الأخلاق.[3]

انطلاقا من هذا التصور يدعو **موران**– إلى بلورة الأخلاق من التقسيم الثلاثي للكائن البشري، **(الفرد/ المجتمع/ النوع)**، لأجل التأسيس لأخلاق مركبة كونية، يطلق عليها اسم أخلاق النزعة الانثربولوجية، التي تقصي الذات المركزية، بالرغم من أن هذه الذات

---

[1] - Edgar Morin, **la méthode – l'éthique** , p 30.

[2] - Marcel bolle de bal , <<**éthique de reliance >>** , nouvelle revue psychosociologie , numéro 8, 2001 , p 189.

[3] - Edgar Morin, **la voie**_,op.cit , p 460.

المتمركزة هي التي تأسس لهذه الأخلاق الكونية، لهذا فأخلاق الأنثروبولوجيا تعمل دائما على استبعاد الذات كنزعة متمركزة، مع إدخالها كذات منفتحة على الأخر.لأن الذات المتمركزة رغم إنحيازها نحو التفرد وهذا أمر طبيعي بالنسبة للطبيعة البشرية، إلا أنها تملك استعداد للاعتراف ومعرفة الصلة التي تربطها بالغير، أو الأقارب. هذا ما يبين أن أخلاق الذات المتمركزة هي نفس الوقت أخلاق من أجل الأخر، وهذا ما يميز الحياة الاجتماعية، و الغايات الأخلاقية لهذه الذات في أغلب الأحيان هي غايات اجتماعية، تسعى إلى دعم العلاقات الإنسانية بين الأفراد والمجتمعات[1].

هكذا نفهم أن أخلاق التعقيد هي أخلاق تتأسس على مفهوم التعددية، أي على الحلقة الثلاثية للكائن البشري: الفرد/ المجتمع/ النوع، أخلاق تسعى إلى تدعيم علاقة التقارب بين الذات والأخر، أي الفرد والمجتمع، كذلك بين الفرد الاجتماعي و النوع البشري، لكن التأسيس لمثل هذا النوع من الأخلاق يستلزم إستراتيجية الفهم والتواصل، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث اللاحق.

[1] - Edgar Morin, **pour sortir du 20 siècle** , Edition Fernand Nathan, Paris, France, 1981, p 30.

2- أخلاق الفهم

نحن نعرف اليوم أننا بحاجة ماسة إلى الفهم، في كل علاقة لنا بالمعرفة، لأننا إذا لم نفهم ذلك الدرس الذي يقدم لنا في المدرسة، وإذا لم نفهم الأخر، وإذا لم نفهم بعضنا البعض، سنكون مثل العميان، لكن الفهم الذي نحن بصدد الحديث عنه، حسب **موران**- هو أكثر من فهم الأشياء والمعارف، إنه فهم بين البشر، بين جيران، بين رجال ونساء، إذن نحن بحاجة إلى فهم الأخر القريب منا، الذي هو جزء من عائلتنا، وكذلك الغريب الذي في ذات الوقت مختلفا عنا و مماثلا لنا، وعلى الرغم من ذلك فإن اللافهم هو السائد والمهيمن في العائلة والعمل، وبين الشعوب والأديان.

لقد كان لهيمنة اللافهم نتائج وخيمة على العلاقات الإنسانية، لأنه كان السبب الأساسي، لإنتشار الحرب والحقد، والبغض بين الشعوب، حيث يرفض كل مجتمع، المجتمع الآخر، بحجة أنه عنصر أجنبي، يهدد كيان الهوية والشخصية الوطنية، ومن هذا الإعتقاد تنامت نزعة التمركز على الذات، ونزعة التمركز على العرق و المجتمع، وهاتان النزعتان تؤديان في النهاية إلى محاولة إقصاء الأخر، والعمل على إبادته، وإنهاء وجوده.

من هنا يقترح **موران**- أخلاق الفهم، التي من شأنها أن تعمل على ترسيخ دعائم التفاهم والتعاطف، والتسامح بين البشر، مهما كانت التوجهات المعتقدية والثقافية التي ينتمي إليها، وهنا نتساءل : **كيف يمكن التأسيس لفهم أخلاقي في ظل انتشار اللافهم؟ وما هي وصية الفهم الأخلاقي؟**

2-1-أخلاقيات التفاهم عند ادغار موران

يرى **موران**- أن عدم الفهم يتجذر في العلاقات بين الأشخاص، يعيش في قلب العائلة والعمل و الحياة المهنية، داخل العلاقات بين الأفراد والشعوب، عدم الفهم هو حقيقة موجودة في الحياة اليومية، حيث يعد السبب الأساسي في سوء الفهم بين البشر، كما أنه سبب حدوث العنف وإنتشار الحقد والبغض، مما جلب الحروب التي يعيشها العالم. و لقد كان عدم الفهم ولا يزال يقود اللغات والمعتقدات والثقافات، الأمر الذي وسع من نطاق سوء الفهم والظن بالأخر، حيث كل واحد منا يعتبر الأخر خطرا يهدد هويته وشخصيته، وقد كانت النتيجة في الأخير انتشار الحقد والكراهية بين بني البشر، حيث لا أحد منا يحاول فهم الأخر، والتواصل معه. مما أدى إلى تباعد البشر فيما بينهم، وفي نهاية المطاف تدهور القيم الروحية والأخلاقية للبشرية جمعاء.

يقول **موران**- في هذا الموضع:**<< الفهم هو طريقة أساسية في المعرفة الانثروبولوجية الاجتماعية. وكما قال هـ- ج. غادامير *" الفهم هو الطريقة التي يكون بها الدازين هو ذاته." أي أن الفهم هو المعرفة، التي لا تجعل فاعلا يفهم فاعلا أخر فحسب، بل أن يفهم ما هو موسوم بالذاتية والعاطفية.>>**[1]

لهذا يعتقد **موران**- أن العلاقات الإنسانية بحاجة إلى أخلاق الفهم **éthique de compréhension** لتحقيق التقارب بين الناس، بإعتبارها فن للعيش، الذي يتطلب منا أن نكون قادرين على الفهم بشكل نزيه، والفهم البشري يعني العنصر الحيوي، ليس فقط بعلاقاتنا مع الأمم الأخرى والثقافات الأخرى، إنما أيضا لعلاقاتنا مع عالمنا وعائلاتنا وعلاقاتنا في العمل، وطالما أن قدرتنا على الفهم لم تتطور، لن يحصل أي تقدم في العلاقات بين البشر.[2] لذا فالفهم يتطلب مجهودا كبيرا، لأنه لا يمكن أن ننتظر من

---

[1]- ادغار موران، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ص 221.

[2]- ادغار موران، **<< إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي>>** ، ص 56.

الأخر أن يعاملنا بالمثل، لأن الشخص المتسامح عندما يكون مهدد بالموت من طرف شخص أخر متعصب، يفهم لماذا يريد المتعصب قتله، مع العلم أن هذا الأخير لن يفهمه أبدا، وأن نفهم المتعصب الذي هو عاجز عن فهمنا، يعني فهم جذور وأشكال وتجليات التعصب الإنساني، وبالتالي فهم لماذا وكيف نحقد ونحتقر، أن أخلاق الفهم تتطلب منا أن نفهم عدم الفهم.[1]

وفقا **لموران**– فان أخلاق الفهم تفرض علينا فهم عدم الفهم، عن طريق الفهم المركب والمعقد الذي يتضمن في داخله الفهم الموضوعي والفهم الذاتي، وكذا فهم السياقات التي تسجل في داخلها أفعالنا الإنسانية.[2] لهذا فالفهم يتطلب منا أن لا نسامح وأن لا نتهم، بل إنه يتطلب منا أن نتجنب الإدانة القطعية، الغير القابلة لإعادة النظر، كما لو أننا لم يسبق أبدا أن عرفنا نحن ذاتنا شيئا إسمه العجر، و لا أن إرتكبنا أخطاء، فلو عرفنا كيف نفهم قبل أن ندين لأصبحنا نسير في طريق آنسنة العلاقات الإنسانية.[3]

وعلى هذا الأساس تكون كلمة الفهم تعني العمل الجماعي على تجاوز الأسباب التي تؤدي إلى عدم فهم الغير، بمعنى تجاوز كل ما يقيد الغير أمام مسألة الفهم، وكذا ما يقيدنا نحن لفهم الغير، إذن هناك عوائق تحول أمام فهم الذات وفهم الأخر على حد سواء، مما يستلزم العمل على تأسيس علم جديد يطلق عليه **موران**– أخلاق الفهم، حيث يقول: **<< أخلاق الفهم تدعونا إلى فهم عدم الفهم، ويجب علينا أن نعرف أن أسباب عدم الفهم كثيرة ومتعددة، وللأسف دائما تهدد العلاقات الإنسانية والاجتماعية.>>**[4]

و نفهم من هذا القول أن **موران**– يدعو إلى علم أخلاقي جديد يقوم على الفهم، الذي يقتضي تأسيسه، مراعاة مشكلة التزاوج بين الفهم وعدم الفهم، بمعنى علينا معرفة أسباب

---

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل– المعارف السبعة لتربية المستقبل**، ص .93

[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité** , p 201.

[3]-إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 93.

[4] -Edgar Morin, **la méthode – l'éthique** , p 145.

عدم الفهم من أجل الحد من نتائج عدم الفهم التي نلاحظ خطورتها في العلاقات البشرية. بمعنى نحن بحاجة إلى نوع من الإسقاط، أي إسقاط ذاتنا على الأخر، لأجل فهم حالاته الشعورية، وهذا الفهم في نظر **موران**– هو معرفة تشاعرية وتعاطفية لمواقف الآخرين، ومشاعرهم، ومقاصدهم، وغاياتهم، وتندرج في محاكاة نفسية، تمكن من معرفة ما يشعر به غيرنا، لا بل تمكن من إحساسه في داخلنا، وهذا يعني أن الفهم يتضمن إسقاطا (للانا على الأخر)، و تماهيا (للأخر مع الأنا)، وهي حركة مزدوجة باتجاه معاكس ويشكل حلقة.[1]

وعلى هذا الأساس يكون الفهم، بما فيه الفهم الأخلاقي، وضع بشري، يقتضي الذاتية والعاطفية، بحيث يصبح الأنا الأخر (الغير) أخر أنا (أي غير الذات)، ونفهم عفويا مشاعره ورغباته ، وهنا يلح **موران**– على أن غاية أخلاق الفهم هي وضع الأخر في فضاء من **التعاطف**، وهكذا نفهم ما يشعر به الغير عبر إسقاط ما يمكن إن نشعر به نحن في حالة متشابهة.[2]

من هذا المنطلق يرى موران– أن أخلاق الفهم تطلب منا فهم عدم التفاهم، اعتمادا على نظرة مركبة، تدمج بداخلها الفهم الموضوعي، والفهم الذاتي، وكذا فهم السياقات التي تسجل بداخلها الأفعال. أان كلمة الفهم في نظره ، تعني **العمل الجماعي**، أي العمل على فهم أو إزاحة كل الأسباب التي تمنعنا من فهم الغير. هذا ما يستلزم علينا ضرورة تجاوز كل ما يمثل عائقا أمام توسيع نطاق التفاهم والتواصل وأخلاقيات النقاش بين البشر، وطبعا هذا يستوجب إدراك ومعرفة هذه الأسباب.

[1]- ادغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة**، ص 215

[2]-. المصدر نفسه ، ص 215–216.

2-2- عوائق الفهم الأخلاقي

نحن في عصر عدم الفهم المتبادل على نطاق واسع، وذلك على الرغم من أن الجميع يقولون إننا في عصر التواصل، لهذا يدعو **موران**- إلى ضرورة - **فهم اللافهم**- لأننا عندما ننغلق على أنفسنا في منطقة جامدة من المعتقدات، فإننا نكون مهوسين، ولنا إعتقاد رهيب حتى لا نرى العالم الخارجي، لذا فالأخلاق اليوم تدعو إلى فهم اللافهم، أي الوصول إلى معرفة أسباب سوء الظن بالأخر، وهذا الفهم لا يعني البحث عن عذر أو تبرير لعدم الفهم، لأن فهم اللافهم لا يمنعك من محاربة شخص ما، بل يتعلق الأمر بقتاله دون شيطنته و دون التفكير في أنه نجس.[1]

لهذا فتجاوز هيمنة عدم التفاهم في العلاقات الإنسانية والمجتمعية، تستلزم علم أخلاقي جديد، يقوم على أخلاقيات النقاش والفهم، وهذا طبعا يتطلب في نظر فيلسوفنا- معرفة أسباب اللافهم، أو بالأحرى عوائق الفهم الأخلاقي، **فما هي عوائق الفهم الأخلاقي في اعتقاد موران؟**

أ-العائق المنظوماتي: obstacle paradigmatique

تمثل المنظومة في نظر **موران**- عائقا كبيرا أمام الفهم الجيد والواضح للفعل المعرفي والأخلاقي، لان المنظومات تختلف فيما بينها، فيما يخص نظرتها عن العالم، وهذا ما يجعل كل منظومة تقصي الأخرى، وتعتبر نظرتها **خاطئة**، بالرغم من أن المنظومة هي التي تساعدنا على التفكير، والتواصل فبما بيننا عبر مبادئ معينة خاصة بكل منظومة، إلا أنها بالمقابل تعرقل عملية تفكيرنا، وتمنعنا من التواصل مع الأخر، خاصة أنها تقوم بعملية ازدواجية: تفتح أمامنا المجال من أجل الانفتاح على الآخر، كما أنها تجعلنا

[1]- ادغار موران، << **لماذا الفهم الإنساني؟>>**، تر: احمد بالراشد ، مجلة التنوير، العدد 17، 2016، ص --10.

ننغلق عليه أيضا.[1] بمعنى تسمح بالتواصل وتمنعه في نفس الوقت، طبعا أثناء وجود نوعين مختلفين من الفهم، بسبب وجود منظومتين مختلفتين ومتعارضين، ستكون النتيجة الحتمية هي عدم التفاهم.

لهذا يجب معرفة أن الخطأ هو مصدر يهدد على الدوام العلاقات والاتصالات الإنسانية، بمعنى هو مشكل مركزي يهدد فهم الكلمة، الرسالة، الفكرة، والشخص، ما يبين أن مصدر الخطأ هو نفسه مصدر المعرفة، كما رأينا سابقا: كل معرفة هي تأويل (ترجمة- إعادة البناء) تحمل بصفة دائمة خطر الوقوع في الخطأ، فيما يخص مضمون إدراك آو مفهوم، أو نظرية و ايديولوجيا، هذا كله يمثل خطر الوقوع في اللافهم.[2] لذا فالخطأ على الدوام يخضع لعملية متكررة، يمكن أن تحرق كل عملية اتصال أو معرفة، حتى أنها يمكن أن تحرق أكثر الناس صداقة فيما بينهم، لهذا فأخلاق الفهم تأخذ بعين اعتبار الخطأ، وتقدم الحق للغير أن يخطئ، لأن كل خطأ في النهاية محكوم عليه بالموت، وعلى هذا الأساس يقترح **موران**- أخلاق الفهم، التي تدعو إلى عدم الحكم على الغير بسبب أخطائه، بل يجب النظر إلى قدراته على الاعتراف بالخطأ، وإرادته على تصحيحها.[3]

ويشير **موران**- إلى أن اكبر عائق أمام للفهم، هو اللامبالاة **l'indifférence** اتجاه الأخر، بمعنى اللامبالاة اتجاه معاناة و حزن كل من يبدو أنه أجنبي علينا، بعيد عنا، حيث نتعاطف فقط مع الأقارب (أصدقاء، العائلة، الأبوين، الجيران) ، ونسينا كل من هو بعيد عنا.[4] هذا التجاهل و اللامبالاة أمام معاناة الأخر، ولدت لدينا روح فقدان الأخوة الإنسانية- الكوكبية، إذن عدم الاكتراث بألام ومعاناة الآخرين، هو سبب عميق

---

[1] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 202.

[2] - Edgar Morin , **la méthode – éthique**, p 147.

[3]- Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 202.

[4]- Edgar Morin , **la méthode – éthique** , pp 147-148.

لانتشار اللاتفاهم بين الأشخاص والمجتمعات، الأمر الذي انتهى إلى الاستغلال، بمعنى البؤس المادي، والأخلاقي و الاجتماعي.

ب- العائق الثقافي:

يمثل الاختلاف الثقافي بين الشعوب، عائقا كبيرا، أمام تحقيق غاية الفهم الأخلاقي، والسبب في ذلك يعود في نظر **موران**- إلى أن كل ثقافة- مع دينها، لها ميثاق شرف، أي ميثاق مقدس مميز لها، ومغاير تماما لما هو موجود لدى مجتمع أخر، وفي كثير من الأحيان، نخطئ في فهم طقوس الأخر، مما ينتج سوء الفهم بثقافة الأخر، وبالتالي عدم فهم قيمه الأخلاقية المتعلقة بالخير والشر.[1] بالمقابل لا ينحصر هذا الفهم في عدم إمكانية التعايش بين الثقافات فحسب، بل في عدم التفاهم بين الثقافات، لأن كل ثقافة يأخذها صاحبها على أنها حقيقة و يقين، وكل الثقافات الأخرى على خطأ، وبالرغم من المحاولات العديدة للانفتاح والتواصل، إلا أن هذا الاختلاف الثقافي حال عائقا أمام الفهم بين الشعوب.[2]

يعتقد موران- أن الموروث الثقافي في كل مجتمع يمثل حقيقة مطلقة بالنسبة لأفرادها، مما يمنحهم المشروعية لاظفاء طابع التقديس عليه، حتى يتحول إلى قواعد وقيم لا ينبغي تجاوزها، وطبعا القيم الخلقية ليست سوى جزء من القيم الاجتماعية التي تنتجها الثقافة المحلية، وعندما ننظر إلى التباين الذي تحمله كل ثقافة اتجاه نظيرتها، نجد اللافهم الأخلاقي يسكن داخل هذا الاختلاف.[3] وعلى هذا الأساس يشير **موران**- إلى أن الأخلاق تستمد قيمها و مبادئها بصفة خاصة من الثقافة المحلية، مما يجعل القيم الأخلاقية جزء من القيم الاجتماعية، التي تتأسس على التقديس الذي يظفيه الفرد على

---

[1]- ادغار موران، << **ماذا الفهم الإنساني؟** >> ، ص 9.

[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 203.

[3] - Edgar Morin , **la méthode – éthique**, p 148.

العادات والتقاليد، التي بدورها تمثل لب وجوهر الثقافة، وكذا يختلف الناس في القيم الأخلاقية، وكلما تنامى هذا الاختلاف، إزداد اللافهم.

ج-العائق النولوجي: l'obstacle noologique

يرى **موران**- أن أكبر عائق يحول دون الفهم الأخلاقي يتمثل في العائق **النولوجي** * (علم العقل) فالأفكار والآلهة كما رأينا ليست أدوات فقط بالنسبة لصاحبها ، بل يمكن أن تدور على منتجها لتجعله هو الأخر أداتيا، فنحن نملك أفكارنا، لكن يمكن أن نتحول نحن إلى ملكا لأفكارنا.[1] حيث يقول **موران**- في هذا السياق: **<< الأفكار ليست مجرد أدوات لخدمتنا، بل هي أيضا هويات مالكة، مثل الإله، الذي وجد من أجلنا، لكننا بالقابل نخدم الإله، أي نعيش ونقتل ونموت من أجله.>>**[2]

ويقصد **موران**- من هذا القول أن أسوء مظاهر اللافهم تأتي من عدم فهمنا أن الفكرة، لم توجد فقط من أجل خدمتنا، بل نحن أيضا نخدمها، من هنا يجب أن نفهم أن الفكرة التي هي ملكا لنا، يمكن أن تجعلنا نحن أيضا ملكا لها، ندافع عنها، ونحفظها، بمعنى نتحول إلى لعبة في قبضة أفكارنا، وفي الكثير من الأحيان تتحول الفكرة إلى كيان مشخص إجرامي يتغذى من دم الإنسانية.[3]

لهذا فكل صور و قوى التملك اللامرئية بالنسبة لهؤلاء الذين يخضعون لها، تنتج لديهم بدون أدنى شك، اللافهم فيما يتعلق بالآلهة والأفكار. لهذا يرى **موران**- أننا بحاجة إلى علم عقلي يساعدنا على إعادة التفكير في العلاقة التكاملية والتعارضية بيننا وبين

---

[1]- Edgar Morin , **la méthode – éthique**, p 149.

- * علم العقل: في اليونانية noùs (عقل) و logos (علم).

[2] - Ibid. 132.

[3] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 204.

أفكارنا، من هنا فالنولوجيا ضرورية من أجل التفكير في الابيستمولوجيا والانثروبولوجيا، والاثنين ضروريين لأجل إعادة التفكير في الأخلاق.

د- العائق الذاتي(التمركز حول الذات)

يتسم تطور حضارتنا ببروز الفردانية، التي تتيح الاستقلالية والتأمل الذاتي كما تتيح إقامة علاقات مع شخص يصير صديقا، تربطنا به علاقات محبة لا فقط داخل الأسرة، وإنما مع الأشخاص الذين نلتقيهم، يمكننا حينئذ أن نعتقد أن فردانيتنا تعزز فهم الآخرين، كما قد لا يمكنها ذلك، ففي الواقع للفردانية وجهان: فهي من الناحية تزيد من الشعور بالمسؤولية والاستقلالية، ولكنها من جهة أخرى تنمي الأنانية، وهذه الفردانية الأنانية تعزز تمجيد الذات، وكل من سيحمل في ذاته هذا الميل/ الاتجاه لإسناد دور جميل له، وإعطاء دور سيء لغيره- الآخر- وخاصة عندما يكون هناك صراع أو خلاف.[1] فكل كائن أنساني يحمل في داخله ثنائية(الأنا- أنانية/ أنا- غير أنانية) بمعنى كل واحد منا، يرى في الآخر عنصرا أخويا، باعتباره **أنا-أخرى**، تأسس الهوية المشتركة بين آناتين- كما يمكن أن يرى في الآخر عنصرا أجنبيا، يحاول تهميش الآنا، لكن عموما هذه الثنائية هي بمثابة وحدة وتعدد بالنسبة للهوية الذاتية، في بعض الأحيان تنغلق الأنا على ذاتها، وتحاول إقصاء الآخر، وفي بعض الأحيان تنفتح على الآخر، العائلة والجار والصديق باعتباره مكملا للشخصية والهوية الذاتية، لهذا كثيرا ما تكون الأنا المتمركزة سببا لعدم الفهم بين الناس.

ومن هنا يصرح **موران**- أن الذات المتمركزة على نفسها لا تعد سببا في عدم الفهم بين البشر فحسب، بل هي السبب أيضا في تراجع وتدهور النسيج الاجتماعي، والقيم، وكذا ضياع المسؤوليات وإمكانية تحضر العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وعلى هذا الأساس

[1]- انظر موران، << **لماذا الفهم الإنساني ؟>>**، ص 3.

تكون الأنا المتمركزة عائقا أمام الفهم والتواصل الأخلاقي بين البشر.[1] على هذا النحو يمثل التمركز على الذات، أحد الأسباب الرئيسية لعدم الفهم أثناء التواصل الإنساني، مما يصل في النهاية إلى العمى اتجاه معرفة طبيعة الآخر، في هذا السياق يقول موران-:**<< كل المصادر النفسية للعمى، سببها نزعة التمركز على الذات، التي تنتج عدم فهم الآخر- والنظر إليه باعتباره كاذبا ومخطئا، وبهذا نبرر الشر الذي نقوم به اتجاه ذلك الغير.>>**[2]

بناء على هذا التصور يدعو **موان**- إلى ضرورة النقد الذاتي، أي امتحان قدرة الكائن البشري على التحرر من نزعة التمركز، وفهم أن الآخر، لا يمثل بالضرورة خطرا على استمرار الذات و وجودها، بل هو عنصر يسعى إلى تكملة الذات من أجل التطور والارتقاء، لهذا فالفهم الأخلاقي لا يهدف إلى إقصاء الذات، بل يعمل على تطوير قدرتها على التفاهم والتواصل مع الغير من اجل تحقيق التضامن والتسامح.

هـ- عائق التجريد والعمى:

يعتقد **موران**- بوجود اللافهم الذي ينتج عن التجريد * **l'abstraction** الذي يتجاهل الفهم الذاتي، لأن الشرح لا يكفي للوصول إلى الفهم، خاصة فيما يخص الاعتبارات الأخلاقية، حيث أن العقلانية لوحدها، والذاتية لوحدها، يتجاهلان الفهم فيما يخص معرفة إنسانية الإنسان، على سبيل المثال المعرفة الاقتصادية المعتمدة على الحساب، والمعرفة الإحصائية عبر أخذ العينات، تتجاهل كل ما يعبر عن آمال ومشاعر وهموم الإنسان، مما ينتج اللافهم عن الحياة الإنسانية.[3] إذن عملية التجريد كثيرا ما تقصي

---

[1] - Robin fortin, **comprendre la complexité** , pp 204-205

[2] - Edgar Morin , **la méthode – éthique**, p 150.

التجريد:عمل العقل الذي يعتبر على حدة، عنصرا(صفة أو علاقة) من عناصر تمثل أو مفهوم، مركزا الاهتمام عليه وتجاهل العناصر الأخرى (انظر جميل صليبا، الموسوعة الفلسفية ص 10).*

[3] - Edgar Morin , **la méthode – éthique**, p 150.

العواطف والأهواء التي تعتبر، أحد المصادر التي تدفع بالإنسان إلى القيام بالسلوكات الأخلاقية، بالمقابل، فالعقلانية تتجاهل المستوى العاطفي للذاتية، وهذا الأمر يبعدنا عن فهم الآخر، والإحساس بمشاكله وهمومه.

كذلك العمى ينتج اللافهم، بمعنى العمى حول الذات نفسها، وحول الآخر هو ظاهرة يومية، ويتعلق هذا الأخير بالقناعات السياسية والدينية التي تجعل من الذات ترى في الآخر دينا أعمى وثقافة خاطئة. [1] وهذه القناعة في نظر **موران**- ناتجة عن ملكية الذات من طرف الإله، آو الأسطورة آو الأفكار، ليكون هذا العمى أساسا لانتشار اللافهم الأخلاقي على نطاق واسع، خاصة عدم اللافهم الذاتي.

و- عائق الخوف من الفهم:

يعتبر موران- الخوف من الفهم أكبر عائق يهدد الفهم، لأنه جزء من عدم التفاهم بين الذات والآخر، فنحن دائما نخاف من الفهم، لأننا نعتقد أن الفهم يفضح أخطائنا اتجاه الآخر، لذا يجب عدم فهم أي شيء، كما لو أن عدم الفهم يمثل رذيلة لا يجب الكشف عنها.[2] لهذا يصرح **موران**- أن الفهم لا يعني التبرير، بل تدعم الحكم الذهني من جهة، كما أنها لا تمنع من الإدانة الأخلاقية من جهة أخرى، وهكذا فالفهم لا يقود إلى استحالة الحكم، لكن إلى ضرورة تعقيد أحكامنا.[3]

من هنا فالفهم الأخلاقي، يعني فهم لماذا وكيف نكره ونحقد على الناس، مثلا فهم القاتل لا يعني العفو عن الفعل الذي قام به، لكن فهم ذلك التعصب الذي يدفعه إلى أن يكون قاتلا، ومحاولة منعه من القيام بذلك مجددا، إذن فالأخلاق تستلزم العمل على فهم مصادر التعصب التي تجعل بني البشر غير قادرين على التقارب والتفاهم فيما بينهم.

---

[1] - Edgar Morin , **la méthode – éthique** p 151.

[2] - ibid. p 151.

[3] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 205.

2-3- وصية أخلاق الفهم:

إن أخلاق الفهم فيما يعتقد **موران**- لا تهدف إلى إطلاق الأحكام، ولا تبحث عن المذنب، بل تحثنا منذ الوهلة الأولى على فهم الأسباب الكثيرة لعدم فهمنا، أي الفهم الموضوعي، بمعنى التفسير العقلي للأشياء (السلوكات، الاحداث، النيات ... وغيرها) ثم إدماجها في اعتقال شمولي، يطرد كل أسباب عدم التفاهم. غير أن الفهم أيضا يستلزم معرفة حدود الفهم العقلي والموضوعي، وبالتالي محاولة الفهم الذاتي للآخر، لأن الفهم الذاتي بين(الذات وذات أخرى) تسمح لنا بتحديد مشاريعنا اتجاه ذلك الأخر، بنفس الطريقة التي نقوم بها أثناء مشاهدة فيلم، أو قطعة مسرحية، آو أثناء قراءة قصة، فنحن نتوغل في مشاعره وذاتيته، حيث نضع أنفسنا في مكانه، لكي نحس بمعاناته في حياته.[1] من هنا يرى **موران**- أن أخلاق الفهم تحمل وصية تتحدد في النقاط التالية:

- تدعونا إلى فهم ذواتنا، والاعتراف بنقصنا، واستبدال الوعي بالكمال، بالوعي بنقصنا.

- تدعونا إلى تجاوز الحقد والكراهية المبتور في أعماق ذواتنا، اتجاه الآخر.

- تدعونا إلى التحمل ضد الانتقام والعقاب، بالتالي التسامح والتعاطف مع الآخرين.

- تجاوز الوحشية الداخلية و الخارجية، التي تبعد إمكانية التفاهم بين البشر.[2]

وفقا ل-**موران**- ينبغي العمل على تحاور الفهم الموضوعي والفهم الذاتي، لأن الذاتي يغذي الموضوعي، كما أن الموضوعي يغذي الذاتي، لذا يجب وضعهما داخل فهم مركب **compréhension complexe** ، حيث يقول **موران**- في هذا السياق: **<< الفهم المركب يجمع بين التفسير، و الفهم الموضوعي، و الفهم الذاتي، لأن الفهم**

[1] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 206.

[2] - Edgar Morin, **la méthode- l'éthique**, p 154.

المركب هو متعدد الأبعاد، لا يرد الغير إلى خطأ واحد، والى فعل واحد قام به، بل يحاول القبض على كل أبعاده المتعددة، وكل جوانب شخصيته.>>[1]. وهكذا فالفهم المركب يعمل على دمج الفهم الموضوعي والذاتي، من أجل الوصول إلى معرفة غنية، تأخذ بعين الاعتبار السياقات، وكذا تبحث عن مصادر الفعل الأخلاقي (النفسية، الفردية، الاجتماعية، الثقافية) من اجل تحديدها وامتحانها بوضوح.[2]

وخلاصة القول نقول أن أخلاق الفهم المركب، تعالج مسألة التناقض واللايقين، والصعوبات الخاصة بالفعل الأخلاقي، حيث تعلن بصراحة أن الفعل يمكن أن ينفلت عن مقصده الأصلي، كما تعترف بمصادر العمى واللافهم التي تتجذر في داخل أفعالنا الراجعة إلى: (النزعة المتمركزة، الاختلاف، والخوف من الفهم)، كما يعترف الفهم المركب بأن الإنسان ليس فقط كائن عاقل، بل هو أيضا مجنون، ما يجعله قادر على القيام بأبشع الأفعال، مما يوضح ضرورة التأسيس لانثروبولوجيا مركبة، التي بدورها تستدعي أخلاق– انثروبولوجيا، وهذا ما سنعالجه في المبحث اللاحق.

[1] - Edgar Morin, **la méthode– l'éthique**, p 126.

[2] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 207.

3- أخلاق الجنس البشري

يتضمن التصور المركب للجنس البشري، كما رأينا سابقا الثالوث التالي: الفرد- المجتمع- النوع، فالأفراد هم أكثر من مجرد نتاج لسيرورة تعمل على إعادة إنتاج النوع البشري، لأن هذه السيرورة ذاتها ينتجها الأفراد في كل جيل، فالتفاعلات بين الأفراد تنتج المجتمع، وهذا الأخير يرتد على الأفراد، إن الثقافة بالمعنى العام، من خلال هذه التفاعلات التي أنتجتها وأنتجت ذاتها، كذلك تعمل على إفراز المجتمع والأفراد، وهكذا فالأفراد ليست فقط عناصر غير مفصولة عن بعضها البعض، بل هي تنتج بعضها البعض بشكل مشترك، بحيث يكون كل واحد من هذه المكونات وسيلة وغاية في نفس الوقت.[1] وعلى هذا الأساس فتطور الجنس البشري يعني تطور الاستقلال الفردي في المساهمات الجماعية، وكذا الانتماء للنوع البشري، وهنا يبرز الوعي.

ومن هذا المنطلق فالأخلاقية الإنسانية على حد قول موران-**<< ما اعنيه بقولنا الانتروبو- أخلاقية يجب أن تعتبر كأخلاق خاصة بحلقة مكونة من مصطلحات ثلاث: الفرد- النوع البشري- المجتمع، ومن هنا يبرز وعينا وفكرنا الإنساني المحض، ذلك هو أساس الانتروبو- أخلاقية آو أخلاق الجنس البشري.>>**[2]

إذن يجب علينا أن نعيش كفرد و نوع لكي نكون إنسان، لأن علاقة الفرد والنوع، هي علاقة بيولوجية وثقافية، حتى أن ذكاء الفرد لا ينفصل عن ذكاء المجتمع و النوع البشري، لهذا فانتوبولوجيا الأخلاق، تدفعنا إلى عيش الثنائية، الفرد والنوع، بمعنى تأكد

[1]-إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 99.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تفردنا من جهة، كما تعمل على اغناء مساهماتنا الإنسانية.[1] من هنا يجب اليوم الاعتراف في كل مكان بضرورة وضع الأخلاقيات الخاصة داخل عالم كوني ملموس، يعمل على **انبثاق** * **émergence** مجتمع الوعي أو مصير النوع البشري، ولأول مرة يكون النوع البشري على وعي أنه متحد، وأنه يستطيع معالجة مشاكل حياته، التي هي مشاكل مشتركة مع باقي النوع البشري.[2] وتفترض الانتروبو- أخلاقية في نظر **موران**- اتخاذ قرار واع ومستنير يهدف إلى :

- الأخذ بعين الاعتبار الشرط الإنساني: الفرد- المجتمع- النوع البشري في إطار وجودنا المركب.

- العمل على جعل وعينا الشخصي يصبو نحو اكتمال الإنسانية داخل أنفسنا.

- الأخذ بعين الاعتبار المصير الإنساني في تناقضاته وفي امتلائه.

- الدفع في اتجاه آنسنة الإنسانية.

- القيام بقيادة مزدوجة للكوكب: يتعلق الأمر من جهة بالانصياع للحياة، و من جهة أخرى بتوجيهها.

- العمل على اكتمال الوحدة الكوكبية في إطار التعددية.

- احترام الغير في اختلافه عنا، وفي تطابقه معنا في نفس الوقت.

---

[1] - Edgar Morin, **le vif du sujet** , Edition seuil, Paris, France, 1968, pp 124-125.

[2] - Robin fortin , **comprendre la complexité,** p 215.

-*هي سمات ناتجة عن تنظيم مكونات متنوعة واتحادها في كل، لا يمكن استنباطها، لأنها نتاج تنظيم معقد.

– السعي نحو تطوير أخلاق التضامن.[1]

لهذا فأخلاق النوع البشري، فيما يرى فيلسوفنا– تتضمن الأمل في اكتمال الإنسانية، بما هي وعي ومواطنة كوكبية، إنها تتضمن إذن كباقي الأخلاقيات، تطلعا وإرادة، كما تتطلب حضور المراهنة داخل اللايقين، إنها عبارة عن وعي فردي يتجاوز النزعة الفردية. ويشير **موران**– في هذا المقام أن انتروبو– أخلاقية تقوم على القرار الواعي للفرد، بمعنى النقد الأخلاقي للفعل، حيث تعمل دائما على تحمل الشرط الإنساني، فتراعي النقاط التالية:

– تقبل الحوارية بين الذات الأنانية، والذات الغير أنانية للفرد الفاعل، الذي يعيق ويطور الفهم في نفس الوقت.

– تقبل ثنائية الإنسان العاقل والمجنون، القائمة على التصارع بين الرغبة والحكمة.

– تقبل علاقتنا الحوارية بين عقلنا و أساطيرنا.

– العمل على تحضر علاقاتنا مع أفكارا التي تتحول إلى وحش يثير الذعر والعنف.

– الاعتراف في الأخر، اختلافه عنا، وهويتنا المشتركة معه.[2]

بهذا التقبل للشرط الإنساني تتأسس **أخلاق كوكبية éthique planétaire** تتعلق بكل إنسان في هذا الكوكب، أخلاق تعبر عن مصير الإنسانية كمجتمع ملموس، حيث تسمح لكل واحد منا التصرف على نحو ايجابي في فائدة الإنسانية، بمعنى الوعي لدى كل إنسان أنه مواطن ينتمي إلى الأمة– الأرض.[3] و انطلاقا من هذا التصور يرى **موران**– أن انتروبو– أخلاق تحمل في داخلها مقولة الثالوث (الفرد– المجتمع– النوع) التي تجعلنا نتحمل مصير الإنسان بما هو فردي وكلي في نفس الوقت.

---

[1]-إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 100.

[2] – Edgar Morin ,_**la méthode**– **l'éthique**, p p 201–202.

[3] – Edgar Morin, **la voie**– **pour l'avenir du l'humanité**, op.cit, p p 462–463.

علينا أن نربط أخلاق الأشخاص، بأخلاق العصر الكوكبي الذي يتطلب عولمة الفهم، إن العولمة التي تخدم الجنس البشري هي المتعلقة بعولمة الفهم، وعلى الثقافات أن تتعلم من بعضها البعض، كما على الثقافات الغربية المتكبرة التي فرضت نفسها كثقافة معلمة أن تصبح ثقافة متعلمة أيضا، ومن ثم يمكن القول أن الفهم يعني كذلك، هذه القدرة على التعلم وإعادة التعلم.[1] إذن أخلقة الكوكب (اتيقا الكوكب) تتأسس على الفهم بين الشعوب والانفتاح الثقافي بينهم، حيث يقول موران–:

<< لأول مرة في تاريخ الإنسانية، أصبح الكوني واقع ملموس، أي تضامن إنساني موضوعي، حيث أصبح مصير الكوكب كله مصير شمولي، مثل المصير الخاص بأمة من الأمم.>>[2]

و يشير **موران**– في هذا المقام إلى أن مصطلح "**العولمة**" لا يجب أن يفهم على الطريقة التكنو–اقتصادية فحسب، بل يجب أن يفهم على أنه علاقة مركبة بين العام والخاص المحلي، لأن مكونات العولمة هي عناصر وأحداث، أين يكون فيها كل عنصر سبب ونتيجة، منتج و منتوج في نفس الوقت.

لهذا فالكوني الملموس لا يفرض المتعدد في مقابل الواحد، الخاص أو العام، بل تأسس على الاعتراف بوحدة التعدد الإنساني، والتعدد داخل الوحدة الإنسانية، لهذا تكون الأخلاق الكوكبية، هي أخلاق الكوني الملموس.[3] تعمل على إدماج الأخلاقيات الوطنية المنغلقة على ذاتها، داخل أخلاق كوكبية يسودها الاحترام و التعاطف. و تجاوز الأخلاقيات المنغلقة وفقا لفيلسوفنا– تستلزم الفهم المتبادل بين الشعوب، لأن الفهم هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل الإنساني، وكذا بناء أخلاق عالمية يلتزم بها كل

---

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 96.

[2] – Edgar Morin, **la méthode– éthique**, p 204.

[3] – ibid. p 205.

البشر.[1] على غرار اختلافهم في التوجه المذهبي والديني، والايديولوجي، لهذا الغرض عمل **موران**– على وضع مجموعة من وصايا الأخلاق الكوكبية يلخصها كالأتي:

–الوعي بالهوية الإنسانية المشتركة، عن طريق الاعتراف بتعدد الثقافة، اللغة.

–الوعي بأن مصير المجتمع العالمي، هو مصير كل فرد إنساني، لأنه مرتبط بمصير الكوكب كله.

–الوعي بان العلاقات الإنسانية تقع تحت خطر اللافهم، لذا يجب تدعيم الفهم ليس فقط مع الأقارب، بل مع الأجانب بصفتنا ننتمي إلى نفس الكوكب.

– ضرورة الوعي بالبيئة التي تمثل أرضنا الوطن.

– الوعي المدني الكوكبي، الذي يعمل على زرع روح التضامن والمسؤولية، اتجاه أطفال الأرض – الوطن.

–الوعي بأن ارض– الوطن هي وطننا الوحيد الذي نعيش فيه، هو ملك مشترك ولا يخص جنس أو مجتمع معين.[2]

يهدف **موران**– من خلال هذه الوصايا إلى استبدال الفكرة القائلة:(أن حياتك هي موتي، وحياتي هي موتك)، بفكرة أخرى مفادها (حياتك هي حياتي، موتك هو موتي) ، نشأت من التضامن الحيوي بين الأمم والدول عن طريق إيقاظ الإنسانية التي تعلو عن الأمم.[3] من هنا نرى بوضوح الطابع المركب والمتعدد المؤسس للاتيقا، والمتمثل في العمل على فسح المجال أمام ظهور الإنسانية، إنها تتضمن كذلك بالضرورة إيقاظ الشعور بالإنسانية في كل فرد. لكن هذا لا يتحقق إلا في ظل انتروبو–سياسة حضارية عالمية. تربط الأخلاق بالسياسة في محاولة لإكمال الإنسانية الكوكبية، بحيث يجب عليها إيقاظ

---

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 97.

[2] - Edgar Morin, **la méthode– éthique**, p p 206–207.

[3]–إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 74.

الوعي الكوكبي الذي يتمثل في الانتماء إلى ارض– الوطن **terre patrie** وهو انتماء بيولوجي وثقافي وإنساني.[1]

في الأخير نصل إلى القول أن انترو– أخلاق هي مشروع يقدمه **موران**– لتجاوز الأخلاقيات المحلية المنغلقة على ذاتها، التي كانت و لا تزال سببا رئيسيا في أزمة الأخلاق العالمية، وما اختلاف قيم الخير والشر إلى دليل على هذا الانغلاق، آو بالأحرى التعصب الأخلاقي. لتكون الأخلاق المركبة أخلاق متعددة المصادر، أي ذات مصدر ثلاثي يرجع إلى تعقيد الكائن البشري المتكون من حلقة: الفرد– المجتمع– النوع.

[1] - Robin fortin, **comprendre la complexité**, p 217.

نتائج الفصل الثاني:

بعد دراستنا للفلسفة الأخلاقية المركبة عند ادغار موران– اعتمادا على كتابه: المنهج: الجزء السادس(الأخلاق) توصلنا إلى النتائج التالية:

– الأخلاق اليوم في نظر **موران**– دخلت في أزمة متعددة الأبعاد، نتيجة الأزمات التي ضربت أسس المعرفة الفلسفية والعلمية والسياسية.

– أزمة الأخلاق هي أزمة اللايقين شأنها شأن كل المجالات المعرفية. لذلك يقترح **موران**– مفهوم ايكولوجيا الفعل للحد من هذا اللايقين.

– مصدر الأخلاق عند **موران**– هو واحد ومتعدد في نفس الوقت، واحد لأنه يرتبط بالحس الداخلي للفرد، ومتعدد لان ذلك الفرد هو واحد ومتعدد، لحضور المجتمع فيه، وكذا انتمائه إلى النوع البشري،

– الأخلاق تتأسس عن طريق التفاهم، لذا يجب العمل على إبراز عوائق الفهم الأخلاقي.

–الأخلاق عند ادغار موران– هي مركبة، مثل الإنسان والمعرفة والعلم، لذا يجب الأخذ في الاعتبار مستويات التعقيد إثناء الحكم عن الفعل انه أخلاقي آو لا أخلاقي.

– يجب تجاوز الأخلاق المنغلقة للتأسيس لأخلاق عالية، وقيم كوكبية يلتزم بها كل إنسان في الكوكب

– الوعي الأخلاقي بأن مصير كل إنسان مرتبط بمصير الكرة الأرضية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الفكر المركب وفلسفة التربية عند ادغار موران

1- التربية والتنمية المعرفية عند ادغار موران

2- أسس ومبادئ التربية المستقبلية عند ادغار موران

يصرح **موران**– أن التربية هي قوة المستقبل، عبارة توحي بالمكانة الهامة التي تحتلها التربية **éducation** في تحولات أنماط حياة الإنسان، لأنها واحدة من الأدوات الأكثر قوة لتحقيق التغيير، إحدى التحديات الأكثر صعوبة، هي تغيير طرق تفكيرنا لمواجهة التعقيد المتصاعد والتحولات **métamorphose** المتسارعة واللامتوقعة التي تطبع عالمنا.

<< علينا أن نعيد التفكير في طريقة تنظيم المعرفة، من أجل هذا علينا إزاحة الحواجز التقليدية من المعارف، وتصور كيفية ترابط ما كان منها إلى حد الآن مفرقا، علينا إعادة تشكيل سياستنا وبرامجنا التربوية، علينا أن نصون هذا التوجه إلى أبعد مداه من أجل أجيال المستقبل التي نتحمل أمامها مسؤولية كبرى.>>[1]

هكذا يقتضي البحث عن مستقبل أفضل في نظر **موران**– إصلاحا جذريا للمنظومات التربوية العالمية، حيث عمل على وضع بعض الأسس والمبادئ الأساسية التي ينبغي أن تكون حاضرة في كل نظام تربوي أو تعليمي، وقد كان كتابه الموسوم ب: " تربية المستقبل" أحد أكبر الإسهامات التربوية التي قدمها **موران**– لهيئة **اليونيسكو**، ويمثل هذا الكتاب بحثا عميقا في مجال التربية، حاول فيه فيلسوفنا– التنظير لنظام تربوي عالمي كوكبي، قائم على مجموعة من المعارف الضرورية لكل تربية مستقبلية تسعى إلى كسب مشروعيتها.

<< هناك معارف سبعة أساسية يتوجب على كل تربية مستقبل الأخذ بها، في كل مجتمع و كل ثقافة بدون استثناء، ولا إقصاء، وذلك بحسب القواعد والطرق الخاصة بكل مجتمع، وبكل ثقافة.>> [2]

[1]– إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 13.

[2]–المصدر نفسه ، ص 15.

يتمثل الإصلاح هنا، في توظيف هذه المعارف المنسية والغائبة كليا في أنظمتنا التعليمية، ليكون هذا الإصلاح هو في نفس الوقت إصلاح معرفي وأخلاقي و سياسي، أي بإختصار إصلاح التربية هو إصلاح الحياة.

يدعو **موران**– المؤسسة التربوية إلى تحقيق أهداف المرسومة لها، وأول هدف هو تعليم الحياة. حيث ينطلق من فكرة **روسو j– jacques– rousseau** القائلة عن ذلك المدرس الذي قال عن تلميذه : " **أريد أن أعلمه كيف يعيش**" يعني تعليمه كيفية العيش من خلال تجاربه مع مساعدة الأخر له، كذلك تعليمه العيش كفرد يواجه مشاكل حياته الشخصية، والعيش كمواطن في داخل أمة، كذلك تعليمه الآداب والتاريخ والرياضيات وغيرها من العلوم.[1] إذن التعليم لا يقتصر على تلقين المعارف فحسب، بل وظيفة التربية تتعدى ذلك إلى تكوين إنسان جاهز على مواكبة متطلبات العصر، ومواجهة مشاكله المتعددة والمتنوعة، هذا ما يستدعي إصلاحا منظوماتيا، ونمطا فكريا يقوم على الربط بين التخصصات والمعارف الإنسانية، يعني تربية معرفية تساعد الكائن البشري على مواجهة المشاكل الأساسية في حياته اليومية.[2] ولا يتحقق ذلك في نظر **موران**– إلا من خلال نظام تربوي جديد، مؤسس على الربط والجمع بين المعارف والتخصصات، مختلف تماما عن النظام الحالي، نظام قادر على مساعدة العقل البشري على التفكير في المشاكل الفردية والجماعية في طابعها المعقد والمركب.

وفقا **لموران**– فإن العالم اليوم بحاجة إلى إصلاح تربوي، في كل المستويات : الابتدائي والمتوسط والثانوي، والتعليم العالي، يقوم بتعليم معرفة المعرفة، التي تتحدد من خلال معرفة الكائن البشري، معرفة الهوية الأرضية، الفهم البشري، مواجهة اللايقينيات، تعليم

[1] – Edgar Morin, **la voie ; pour l'avenir de l'humanité** , Edition fayard, Paris France , 2011, p p 252–253

[2] – Ibid. p 253.

الأخلاق.[1] بالفعل هذه المفاهيم تبدو أنها هامشية في أنظمتنا التربوية الحالية، كذلك معرفة شرطنا الإنساني غائب أيضا في أنظمتنا، فقد أصبح ما هو أنساني، مبعثر ومجزأ في كل تخصصات العلوم الإنسانية، والبيولوجية، لذا يجب على تربية المستقبل الاعتراف بالطابع المركب للإنسان من ثلاثة: فرد– نوع– مجتمع ، حيث يستحيل عزل أي عنصر عن الأخر.[2] لأن الكائن البشري هو في نفس الوقت فيزيائي وبيولوجي وثقافي، واجتماعي، وهذه الوحدة المركبة للطبيعة البشرية غائبة كليا في التعليم التخصصي ، مما أدى إلى استحالة فهم معنى وجوهر الكائن الإنساني.[3]

بناء على هذا التصور أضحى من الضرورة وضع الإنسان في مركز النظام التعليمي، مما جعل **موران**– يوظف مفاهيمه الجديدة المركبة عن المعرفة والإنسان في أبحاثه التربوية المتجلية في كتابين هما: **المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل les septe savoirs a l'éducation du futur** و كتاب : **تعلم الحياة enseigner a vivre** . حيث قسم موران– محتوى الكتابين إلى بعدين أساسين للتربية.

البعد المعرفي: أين يوضح فيه علاقة التربية بالمعرفة، أو بالأحرى الوظيفة المعرفية للتربية المتمثلة في الكشف عن مصادر الأخطاء والأوهام، ومواجهة اللايقينيات، وكذا تقديم المبادئ المعرفية الملائمة لتربية المستقبل.

البعد الإنساني: أين وظف **موران**– مفهومه الجديد عن الإنسان المركب، بالتالي وضع مبادئ وأسس مركبة للتربية المستقبلية. انطلاقا من هذا التصور يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي: **أين تكمن التطبيقات العملية للفكر المركب في مجال التربية عند ادغار موران؟**

---

[1] – Edgar Morin, **la voie** , p 256.

[2] – Edgar Morin , **enseigner a vivre**, Edition play bac , France 2014, p 95 .

[3] – Ibid. p 96.

1- التربية والتنمية المعرفية عند ادغار موران

يشير **موران**- منذ البداية إلى أن الأنظمة التربوية العالمية الحالية تقدم معارف، بدون تعليم ماهية المعرفة، طبيعتها وحدودها. في حين أن كل معرفة تحمل في طياتها إمكانية الوقوع في الخطأ **erreur**، حيث أن الكثير من المعارف التي تعلمناها في الماضي غدت اليوم عبارة عن أخطاء وأوهام، إذن يجب إعادة النظر في طبيعة المعرفة التي نعلمها في مدارسنا، والعمل بحثاثة على إبراز مواطن الأخطاء والأوهام التي يطلق عليها موران- الثغرات المعرفية السوداء.

يعتقد **موران**- بوجود ثغرات مفصلية تهم البرامج الدراسية بشكل خاص، تفتقد إلى تعليم ماهية المعرفة وحيثياتها، صعوباتها، ليست المعرفة بصورة شمسية موضوعية التقطت للواقع، جاهزة للاستعمال، لكنها سيرورة تترجم وتعيد البناء، مجازفة دائما بالخطأ والوهم. من هنا تتمثل الوظيفة المستقبلية للتربية في نظر موران- في تحقيق البعد المعرفي، أي تعليم طبيعة المعرفة وشروطها وحدودها ودورها، هذا ما يستلزم تعليم "**معرفة المعرفة**"، بالتالي توظيف المفهوم الجديد للمعرفة المركبة في البرامج التعليمية. حيث يعتقد موران- أن الاصطلاح التربوي يبدأ من الإصلاح المعرفي، وعلى هذا الأساس يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي:

فيم يكمن الدور المعرفي للتربية المستقبلية في نظر ادغار موران؟

لقد أتت إجابة **موران**- على هذا السؤال على النحو التالي: تكمن الوظيفة المعرفية للتربية في تبيان ثلاثة أمور: الكشف عن العمى المعرفي، مواجهة اللايقنيات، وتقديم معارف ملائمة للتربية المستقبلية، وهذا ما سنفصل فيه في هذا المبحث.

1-1- التربية ومشكلة العمى المعرفي

يرى فيلسوفنا **ادغار موران**- أن الإنسان كلما ازداد علما ومعرفة، إزداد لديه الخطأ والوهم، لأن كل معرفة بشرية معرضة للخطأ، وأكبر خطأ قد يرتكبه هو التقليل من مشكل الخطأ، واكبر وهم يمكن أن يسقط فيه الإنسان هو التقليل من مشكل الوهم، يقول **موران:**

<< منذ ظهور الإنسان العاقل والخطأ والوهم لا يتوقفان عن التشويش في الفكر البشري، وعندما ننظر إلى الماضي، بما في ذلك الماضي القريب، ينتابنا شعور بأن الفكر البشري كان على الدوام تحت قبضة أخطاء وأوهام عديدة.... إذ على التربية أن تبين أنه لا وجود لمعرفة في منأى عن الخطأ والوهم، في هذا الصدد توضح نظرية الإعلام كيف أننا نوجد على الدوام تحت رحمة الخطأ نتيجة ما يحصل من تقلبات اعتباطية وتشويش في عملية تبليغ الرسالة.>>[1] ومن هنا تتحدد المهمة الأساسية للتربية المعاصرة والتي هي مواجهة هذا المشكل المعرفي، مثلا عملية الاتصال تتكون من طرفين: **المرسل** و**المتلقي**، وبينها فضاء مشوش يؤدي إلى سوء الفهم، بالتالي الوقوع في الخطأ.

إن الخطأ لا ينفصل عن المعرفة الإنسانية، لأن كل معرفة هي ترجمة تبدأ من الحواس، التي تنقل صورة إلى الدماغ/ العقل الذي يقوم بعملية ذهنية، فيعيد بنائها، فيحدث ما نسميه الإدراك **perception** .[2] وهكذا فالمعرفة ليست انعكاس مباشر للأشياء، بل هي ترجمات وإعادة بناء الصور المحسوسة، يقوم بها العقل البشري انطلاقا من إشارات تلتقطها الحواس، وهذا ما يفسر الأخطاء العديدة في الإدراك. والى جانب الخطأ الإدراكي نجد الخطأ العقلي، فكون المعرفة في شكل كلمات أو أفكار أو نظريات هي

---

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 21.

[2] – Edgar Morin, **enseigner a vivre**, p 74.

ثمرة ترجمة/ إعادة بناء، كما أن المعرفة سواء على مستوى الترجمة أو إعادة البناء تشتمل على التأويل/ مما يسرب إمكانية الوقوع في الخطأ داخل الذات العارفة، داخل رؤيتها للعالم، داخل مبادئها المعرفية أيضا[1]. من هنا يؤكد **موران**– أن تطور المعرفة العلمية أداة فعالة في الكشف عن الأخطاء، ومحاربة الأوهام، ومع ذلك فإن المنظومات المتحكمة في العلم قد تنتج هي أيضا أوهاما عديدة، بحيث لا توجد أي نظرية بعيدة عن الخطأ بصفة مطلقة، ومهمة التربية على هذا الصعيد هي كشف مصادر الأخطاء والأوهام والضلالات. التي هي أنواع :

أ–الأخطاء الذهنية: erreurs intellectuels

ينظر **موران**– إلى الدماغ البشري على أنه آلة مركبة ليس بمقدورها التمييز بين الإدراك الصحيح والهلوسة، بين الخيال والواقع، بين الذاتي والموضوعي: إذن يجب علينا أن نعرف أن الخطأ هو المشكل المركزي والدائم في فهم الكلمة أو الرسالة أو الفكرة عند الشخص المرسل، في حين أن الخطأ والمعرفة لهما نفس المصدر، لأن كل معرفة هي تأويل يحمل في طياته خطر الوقوع في الخطأ أثناء قيام عملية الإدراك، هو خطر في الاعتقاد، والمفهوم، وفي النظرية أو الاديولوجية.[2]

يقول **موران**– في هذا السياق: **<< يلعب الخيال دورا مركزيا لدى الكائن البشري، بالنظر إلى مسالك مداخل ومخارج الجهاز العصبي الدماغي التي تصل الجهاز العضوي بالعالم الخارجي، لا تشكل إلا نسبة ضئيلة بالنظر إلى المسالك المتبقية**

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 22.

[2]– Edgar Morin, **la méthode –éthique**_, p147.

تقوم بوظائف داخلية تشكل عالم نفسي مستقل، هو عالم الأحلام والرغبات والأفكار.>>[1]

و هنا تكمن إمكانية الوقوع في الخطأ، لأن النزعة المركزية تعمل على تبرير الموقف الذاتي، وتقدم المشروعية على أنها أفكار موضوعية، مما تدفع الفرد إلى الكذب على نفسه وعلى غيره، دون الكشف عن خلفية هذا الكذب باعتباره المسؤول عنه.

تقع ذاكرة الإنسان **la mémoire de l'homme** بدورها في شباك الأخطاء، حيث أن التذكر عملية إحياء الخبرات الماضية إلى الحاضر، لكن بقدر ما يحييها الإنسان بذاكرته، بقدر ما يقتل معنى الذكريات، أي أن طبيعة الإنسان تميل إلى الاحتفاظ بالخبرات الايجابية، وتعمل على محو التي لا تخدمها، بالمقابل يرتاح الإنسان لهذه العملية، مما يؤدي في غالب الأحيان إلى الخلط اللاواعي بين أحداث حدثت فعلا، وأخرى من نسج الخيال يظن أنها وقعت فعلا، هكذا تقع الذاكرة في شراك الأخطاء والأوهام.[2]

من هنا امتدت مشكلة الوهم على مدى التاريخ، لكن الأذهان حالما تتحرر من الوهم تعود إلى السقوط في وهم أخر. وبالرغم من أن العلم المعاصر حقق تقدم معرفي كبير، غير أن هذا التطور يحمل المجهول الذي يتحدى مفاهيمنا ومنطقنا وعقلنا، وعلى الفكر أن يكشف عن الأخطاء والأوهام التي تفرض نفسها على أنها الحقيقة داخل الأساطير والمعتقدات والعادات والأديان.[3] بعد أن رأينا أن كل معرفة هي ترجمة وإعادة صياغة، مما يؤدي إلى تشوش كل معرفة، وعليه فقد تعرضت، ولا تزال تتعرض المعرفة إلى أخطاء وأوهام كبيرة، وهي أخطاء ذات طبيعة فردية (الكذب على الذات، والذكريات

---

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 23.

[2]- **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] – Edgar Morin, **la complexité humain**, Edition flammarion , Paris ,France, 1994 ,p 253.

الخاطئة، والكبت اللاواعي، والهلوسات والعقلنة المفرطة)، وأخطاء ذات طبيعة ثقافية واجتماعية (ترسخ ثوابت، ومعايير، ومحرمات، و ثقافة)، وذات طبيعة نموذجية (حينما يفرض مبدأ المعرفة المنظم الفصل حيثما توجد الوحدة، والوحدة حيثما توجد التعددية، والبساطة حيثما يوجد التعقيد، وذات طبيعة عقائدية (حيثما يهيمن إله، أسطورة أو فكرة معينة).[1] إذن على التربية أن تبين أن الأذهان البشرية حالما تتحرر من الوهم تعود ثانية إلى السقوط في وهم أخر، كما يجب أن تبين أن التيقن من معرفة الحقيقة لا يضمن مطلقا عدم السقوط في الخطأ و الوهم.

ب-الأخطاء المعرفية: erreurs de la connaissance

يعتقد **موران**- أن السبب الأساسي والعميق للخطأ لا يكمن فحسب، في الإدراك الخاطئ أو عدم الاتساق المنطقي، بل يكمن أيضا في نمط تنظيمنا للمعرفة في شكل نظريات وايديولوجيات.[2] بالفعل **أن** أنظمتنا الفكرية التي تعبر عن نظريات ومذاهب وإيديولوجيات ليست فقط معرضة للخطأ، ولكنها أيضا تقوم بحماية أخطائها وأوهامها، بعبارة أخرى، إن المنطق الداخلي لكل نسق من الأفكار يكمن في مقاومة كل ما لا يتلاءم معه، أو يمكن دمجه بداخله، ومع أن النظريات العلمية هي الوحيدة التي تقبل الخضوع لامتحان الدحض، إلا أنها غالبا ما تقاومه، أما المذاهب والنظريات المنغلقة على نفسها والمشدودة إلى حقائق مطلقة، فإنها تبقى منيعة عن كل نقد.[3]

يقصد **موران**- أن المذاهب والنظريات المعرفية تحمل في طياتها، إمكانية الوقوع في الأخطاء والأوهام، كونها ترفض أي نقد خارجي يحمل خطر زعزعة مبادئها، مما يستلزم على التربية أن تبين الثقوب المعرفية التي لطالما كانت من الأسباب الرئيسية

[1]- ادغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 120.

[2]- Edgar Morin, **la complexité humaine**, op.cit , p p 312-313.

[3]-ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 23-24.

للعمى المعرفي، كما ينبغي أن تبين الوظيفة الأساسية للنظرية، بحيث يحصرها **موران**– :

– أن تتمكن من معرفة ذاتها، أي أن تعرف تنظيمها وتعارضاتها الداخلية ومواقع العتمة الموجودة فيها، وأن تعرف نواتها التي تحكم فيها البراديغمات الخفية والجينات الأسطورية.

– أن تتمكن من توظيف جهاز مناعتها للكشف عن نزوعها إلى المذهبة وللتصدي له.

–أن تتمكن من خلق جو حوار مع أشكال المعرفة الأخرى.

– أن تتمكن من التعرف على الفضاء العقلي والثقافة لأنها تشكل منظومتها البيئية.

– أن تتمكن من الانفتاح على ما هو لا نظري وعصي على العقلنة.[1]

ج–أخطاء العقل: erreurs de la raison

إن نشاط العقل هو ما يسمح لنا بالتمييز بين الواقع والخيال، بين الذاتي والموضوعي، حيث أنه يمارس المراقبة على أفكارنا المتعلقة بالمحيط الخارجي، الرغبة والخيال، كما يراقب عمل الذاكرة والعمليات المنطقية، يقول موران– في هذا السياق: **<< إنني اعتبر نفسي عقلانيا، ولكني أنطلق من الفكرة التي مفادها أن العقل تطوري، وأن العقل يحمل في داخله عدوه اللدود، انه التبرير العقلاني الذي قد يخنقه،.... إذ بإمكان العقل أن يدمر ذاته، عبر سيرورات داخلية هي التبرير العقلاني، إذن التبرير العقلاني هو الهذيان المنطقي، هذيان الانسجام الذي يتوقف على الخضوع لمراقبة الواقع التجريبي.>>**[2]

[1]–ادغار موران، **المنهج– الأفكار** ، ص 365–366.

[2]- ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 117.

إذن تشكل العقلانية أحسن حماية ضد الخطأ والوهم، وهنا يجب أن نميز بين نوعين من العقلانية: النوع الأول هو **عقلانية بنائية** تقوم بتشييد نظريات ذات أفكار تبحث في مدى ملائمة أسسها مع المعطيات التجريبية التي تنطبق عليها، أما النوع الثاني فهو **عقلانية نقدية** تهتم بشكل خاص بأخطاء وأوهام المعتقدات والمذاهب والنظريات، لكن العقلانية تحمل احتمال الوقوع في الأخطاء والأوهام، بسبب التبرير العقلاني الذي يدعي العقلانية، عندما يتصور أنه يبني نظاما منطقيا كاملا قائما على الاستنباط والاستقراء، والحال إن التبرير العقلاني يقوم على أسس مشوهة أو خاطئة ترفض الاختبار التجريبي.[1]

إن العقلانية الحقيقية المفتوحة بطبيعتها، هي التي تحاور الواقع، وليست حكرا على أي نسق فكري، وكل نزعة عقلانية تتجاهل الكائنات والذاتية والوجدان والحياة، هي نزعة لاعقلانية. والعقلانية الحقيقية هي التي تعي جيدا حدود المنطق والنزعة الحتمية والنزعة الإلية، إنها تعلم جيدا أن العقل الإنساني لا يمكنه معرفة كل شيء .[2]

هذه العقلانية التي شيدت أنساق من الأفكار والنظريات والمذاهب، قد تخلت عن المنهج العقلي الذي يحاور الواقع، تحولت إلى إنتاج عقل أعمى، من هنا ينبغي على العقل أن يكون منفتحا.

ينظر موران– إلى العقل المنفتح على أنه عقل لم يوجد من أجل مقاومة اللاعقلاني، بل من أجل التحاور معه، حيث يعترف بوجود اللامعقول، بحيث هناك وقائع عقلانية ولاعقلانية في الآن نفسه، مثل الأساطير، بالمقابل فالعقل المنغلق ينظر إلى الأساطير على أنها خطأ. رغم أنها من إنتاجه.[3] إذن من الضرورة الاعتراف بمبدأ اللايقين

[1]–ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 24

[2]– المصدر نفسه، ص 25.

[3]– Edgar Morin, **la complexité humain**_, p 261.

العقلاني مادام أن العقلانية تظل مفتوحة دوما على احتمال تحولها إلى وهم التبرير العقلاني، إذا لم تمارس على ذاتها النقد الذاتي، فالعقلانية الحقيقية ليست فقط نظرية، وليست فقد نقدية، ولكنها تقوم أيضا بنقد ذاتي مستمر.

<< لابد من أن نلجأ باستمرار إلى الفحص الذاتي ، لأن فهم نقاط ضعفنا الخاصة أو نواقصنا ،هو السبيل نحو فهم نقاط ضعف و نواقص الغير. عندما نكتشف أننا جميعا كائنات معرضة للخطأ ، وغير مكتفية بذاتها، و قاصرة ،آنذاك يمكننا أن نكتشف أننا جميعا في حاجة متبادلة للفهم >>[1] إذن انغماسنا في ذواتنا من أجل فهمها على حقيقتها يولد لدينا إحساسا إنسانيا، لأننا نكتشف أننا كائنات ضعيفة قابلة للخطأ ، فنتفهم وقوع الآخرين في الأخطاء .

د-الأخطاء المنظوماتية:

إن لعبة الحقيقة والخطأ لا تمارس فقد في أساليب وأدوات الاختبار التجريبي، أو مراقبة درجة الانسجام المنطقي للنظريات، ولكنها تمارس أيضا في العمق، في قلب المنطقة اللامرئية للمنظومات، وهو ما ينبغي على التربية أن تأخذه بعين الاعتبار.[2] و المنظومة أو البراديغم تتكون من مجموعة من المفاهيم المترابطة والمتكافلة، ترتبها علاقات منطقية من خلال بديهيات ومسلمات ومبادئ تنظيمية ضمنية، وتنتج هذه المنظومة في مجال صلاحيتها أطروحات تكون بمثابة حقائق وتنتج ربما تنبؤات تتعلق بجميع الأحداث والوقائع التي يتوقع ظهورها فيها.[3] و يمكن تحديد المنظومة في نظر **موران**- بما يلي:

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 93-94.

[2]- المصدر نفسه، ص 26.

[3]- ادغار موران، **المنهج- الأفكار** ، ص 193.

– تعيين مفاهيم مركزية انتقائية، مثلا يشكل مفهوم النظام في التصورات الحتمية، ومفهوم المادة في التصورات المادية، ومفهوم الروح في التصورات الروحية ، مفاهيم جوهرية لها وضع مزدوج، إذ ما إن يقع عليها الاختبار حتى تبدأ في اختيار مفاهيم أخرى أو إقصاء المفاهيم المضادة لها، إذ يتولى المستوى المنظوماتي مهمة انتقاء الأفكار إما بهدف دمجها أو إبعادها خارج الخطاب أو النظرية.

– تعيين العمليات المنطقية الرئيسية، وتختبئ المنظومة وراء المنطق لتنتقي العمليات المنطقية، لتحولها إلى عمليات ملائمة وبديهية، حيث تعطي المنظومة الامتياز لبعض العمليات المنطقية على حساب عمليات أخرى، بهذا تعطي للخطابات والنظريات طابعي الضرورة والحقيقة.[1] هكذا تسعى المنظومة الفكرية دائما إلى مقاومة الانتقادات والتفنيدات الخارجية، ليس فقط عبر الحجج المتراكمة مسبقا، بل تستند إلى اتساقها المنطقي، فتعمل على إقصاء كل من يحاول تشويه نظامها، فتطلق أجهزة مناعية تدمر كل معطى أو فكرة خطيرة على سلامتها.[2] من هنا تتصف المنظومة بمركزية ذاتية تتصرف حسب مبادئها وقواعدها وتهدف أن تكون احتكارية واحتلال حيز الحقيقة.

تكمن وظيفة المنظومة إذن في الفرض والمنع، إنها تقوم بإنتقاء العمليات المنطقية والمقولات الجوهرية للمعقولية التي تراقب استعمالها، بهذا المعنى توجه المنظومة معرفة وتفكير وتصرف الأفراد، لنأخذ مثال على ذلك: هناك منظومتان متعارضتان حول علاقة الإنسان بالطبيعة، تدمج المنظومة الأولى الإنسان داخل الطبيعة، تجعل من الإنسان كائنا طبيعيا، وتقول بفكرة الطبيعة الإنسانية، في حين تفصل المنظومة الثانية الإنسان عن الطبيعة، وتعين ما يميز الإنسان عبر نفي فكرة الطبيعة، تتوحد هاتان وتحديد العمليات المنطقية التي توجه التفكير الإنساني نحو المعارف والحقائق، لكن في المقابل تلعب دورا تعتيميا يحجب في داخله المنظومتان المتعارضتان داخل منظومة أعمق هي

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 26.

[2]– ادغار موران، **المنهج– الأفكار**، ص 196.

منظومة التبسيط التي تفرض نفسها.[1] وهكذا يصرح موران- أن المنظومة/ تلعب دورا هاما في تعيين المفاهيم الممارسة الخفية للعبة الحقيقة والخطأ، هنا ينبغي على التربية المعاصرة أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة.

هـ- عدم يقين المعرفة: incertitude de la connaissance

ينظر **موران**- إلى المعرفة على أنها مغامرة، ينبغي للتربية أن توفر لها كل الزاد الضروري، المتمثل في الشروط البيو-انتروبولوجية، والسوسيو-ثقافية التي تسمح بحوار الأفكار وتبادلها، والشروط الفكرية (النظريات)، إذا ما أردنا أن نطرح التساؤلات الأساسية حول العالم والإنسان والمعرفة ذاتها.

<< ما أكثر مصادر ومسببات الخطأ والوهم التي لا تتوقف عن التجدد داخل المعرفة، وهذا ما يفرض على التربية أن تطرح التساؤلات الكبرى حول مدى قدرتنا على المعرفة.>>[2]

إذن على التربية أن تطرح السؤال المحوري المتعلق بحدود المعرفة ذاتها، لأن اكتشاف حدود المعرفة يشكل مكسبا رئيسيا للمعرفة، ويدلنا على أن معرفة حدود المعرفة تؤلف جزءا من إمكانات المعرفة، وتحقق هذه الإمكانية. كما تبين هذه المعرفة وجود الخطأ واللايقين الذي يتربص بكل عملية معرفية إنسانية.[3] ومن إمكانات الخطأ في العملية المعرفية، عملية التواصل المعرفي كما بين ذلك العالم **شانون*** حيث يتضمن كل عمل تواصلي احتمالات الوقوع في الخطأ واللايقين، والمعرفة البشرية تقتضي اتصالات

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 27.

[2]- المصدر نفسه، ص 31.

[3]- ادغار موران، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ص 330.

عديدة، وهذا ما يضاعف احتمالات اللايقين والخطأ.[1] نعلم أن احتمالات الوقوع في الخطأ والوهم عديدة ومتجددة، هناك أولا الأخطاء النابعة من الخارج الثقافي والاجتماعي والتي تعيق تحقق الاستقلال التام للفكر، ويمنع ممارسة البحث عن الحقيقة، ثم هناك الأخطاء النابعة من الداخل توجد في ذواتنا المعرفية التي تجعل العقول تنخدع حول نفسها بنفسها.[2]

من هنا نستنتج أن هناك الكثير من الضلالات التي سببتها الأوهام والأخطاء على مر التاريخ البشري، وبشكل مرعب في القرن العشرين، وهذا ما يجعل المشكل المعرفي قضية انثروبولوجية وسياسية واجتماعية وتاريخية، إذ أهم شيء يمكن أن يتحقق خلال القرن الواحد والعشرين هو: ألا يظل الناس لعبة لاواعية، ليس فقط في يد أفكارهم، ولكن من خلال كذبهم على ذواتهم، وإنه لواجب رئيسي للتربية أن تمنح لكل فرد السلاح الضروري داخل الصراع الحيوي من اجل الوضوح.[3] و هذا ما يستلزم أنظمة تربوية تجعل من مهمتها الرئيسية البحث عن عقلانية جديدة تمارس التأمل والنقد والفحص الداخلي والذاتي على أفكارنا ومعتقداتنا، عقلانية تشيد منظومة فكرية قادرة على الوصول إلى معرفة مركبة.

[1]- ادغار موران، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ص 331.

[2]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ،ص 32.

[3]- المصدر نفسه، ص 33.

1-2- التربية و المبادئ المعرفية الملائمة

إصلاح التربية/ إصلاح الفكر **reforme de pensée- éducation** هي القضية الرئيسية التي ينبغي على التربية الخوض فيها في وقتنا الراهن. حيث يكون الإصلاح منظوماتيا يسمح لنا بتنظيم المعارف، المنفصلة الاختزالية والمتعددة، في سياق موحد مركب، يسمح بتمثل مشاكل العالم ومعرفتها بشكل أفضل، إذن يجب البدء بمعرفة المشاكل الجوهرية للعالم، إذ أن الجهالات والأخطاء لها طابع مشترك، يكمن في الصيغة المشوهة لتنظيم المعرفة،عن طريق ممارسة الفصل والاختزال على المعارف، هي صيغة غير قادرة على الاعتراف بتعقيد الواقع.[1] هذه الصيغة التنظيمية المشوهة للمعرفة أدت في النهاية إلى الإعاقة المعرفية على حد تعبير **موران**-، في حين أن العصر الكوكبي يتطلب موضعة كل شيء في السياق والمركب، وهنا تشكل معرفة العالم، كعالم ضرورة عقلية من الطراز الأول، والمشكل الكوني الراهن يتمثل في البحث عن إمكانية الحفاظ على السياق والشمولي والمركب والمتعدد الأبعاد، بالتالي الوصول إلى معرفة صحيحة عن العالم.[2] إذن على التربية أن تراعي النقاط التالية.

أ- المركب complexe:

إن المعرفة المعاصرة تضعنا أمام تحديات ما هو مركب، ومن ثم فهي منوطة بها إبراز العلاقة بين الوحدة والتعدد، وحيث ما تم وصل مختلف العناصر المكونة للكل، من اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية ووجدانية، لكن هناك المركب/ من هنا كان من اللازم على المعرفة مواجهة ما هو مركب.[3] لذا فالكون والإنسان موضوعات الفكر تتسم بطابع التعقيد، حيث عبرت النظريات العلمية المعاصرة على هذا التعقيد بصورة

[1]- ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 13.

[2]- ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 35.

[3]- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 260.

واضحة، فكان لزاما على المعرفة المعاصرة مجابهة هذا التعقيد، وهنا ينبغي رفع التحدي من اجل مواجهة هذا التعقيد الذي يطال كل شيء.

ب- السياق والشمول contexte:

يرى فيلسوفنا- أن كل فكرة أو معرفة تحمل معنى محدد داخل سياق معين، لذا يجب التعامل مع المعرفة ضمن سياقها، لذلك تكون كل معرفة تعتمد على معطيات أو معلومات معزولة تظل ناقصة، يجب موضعتها داخل سياقها، لكي يكون لها معنى، وكل كلمة تحتاج إلى النص الذي هو سياقها الخاص ويحتاج النص إلى سياق حتى يكون بالإمكان إنتاجه، ويشير كلود باستيان على حد قول **موران**-:

<< التطور المعرفي لم ينتج أبدا مزيدا من التجريد بقدر ما اتجه نحو مزيد من موضعة المعارف داخل سياقها، أن السياق هو الذي يحدد شروط دمج المعارف وحدود صلاحيتها>>.[1]

وفي هذا الإطار ينبغي النظر إلى العلاقة بين أي ظاهرة وسياقها والعلاقات المتبادلة بين الكل وأجزائه، وفي هذا اعتراف بالوحدة في التنوع وبالتنوع في الوحدة.[2] بهذا المبدأ تبتعد المعرفة عن النظرة الاختزالية، التي تعزل الموضوع عن طبيعته وتقضي على علاقاته الارتدادية والتنظيمية مع العناصر الأخرى التي تكون طبيعتها العامة المعقدة.

أما **مصطلح الشمولي** أوسع بكثير من السياق، انه المجموع الذي يظم أجزاء مختلفة ترتبط بعلاقة إما ارتدادية أو تنظيمية مثلا المجتمع كل منظم للأجزاء، والأفراد لا يشكلون سوى جزء منه، يشتمل الكل على خصائص لا نجدها في الأجزاء المعزولة، وقد يدمر اشتغال الكل بعض خصائص الأجزاء، كان مارسيل موسي يقول:" يجب إعادة

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 36.

[2]- داود خليفة، **ابستمولوجيا التعقيد** ، ص 261.

تشكيل الكل"، بالفعل يجب إعادة تشكيل الكل للتمكن من معرفة الأجزاء.[1] وتعتبر العلاقة الانتروبو–اجتماعية علاقة معقدة، بسبب أن الكل يوجد داخل الجزء الذي يوجد داخل الكل، فمنذ طفولتنا فالمجتمع بوصفه كلا– يتسرب إلينا من خلال أنواع المنع وأنواع الأوامر.[2] من هنا فكل ينظم علاقة عناصره بعضها البعض، كل سياق شمولي، يخضع لقواعد تحدد معنى الكل والجزء على السواء، وعلى التربية أن تراعي هذا المبدأ وتعمل على إقصاء النزعة الاختزالية، التي تحاول فهم الجزء بعزله كل سياقه الشمولي.

ج– تعددية الأبعاد: le multidimensionnel

ينطلق **موران**– من فكرة أساسية مفادها أن كل ما هو مركب، فهو متعدد الأبعاد بالضرورة، حيث لا يمكن الفصل بين هذه الأبعاد، فالإنسان على سبيل المثال هو كائن بيولوجي ونفسي ووجداني وعقلي واجتماعي في نفس الوقت، وهذه الأبعاد المتعددة تعبر عن الوحدة والتنوع في الآن نفسه، مما يستلزم معرفة مركبة تعمل على ربط هذه الأبعاد دون فصلها لأن الفصل يؤدي إلى الفهم الخاطئ للطبيعة البشرية، كذلك الظاهرة الاجتماعية تمتاز بإبعاد متعددة لأنها ظاهرة تاريخية وثقافية واقتصادية ودينية، تتشابك هذه الأبعاد بعضها البعض، لتعبر عن المجتمع كموضوع مركب، يستدعي معرفته الاعتراف بطابع التعقيد. يقول موران:

<< تعتبر الوحدات المركبة مثل الكائن البشري أو المجتمع وحدات متعددة الأبعاد، وعلى المعرفة الملائمة أن تعترف بهذا التعدد في الأبعاد ، وأن تدمج معطياته بحيث لا يمكن فصل الأجزاء عن بعضها البعض.>>[3]

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 36.

[2]– ادغار موران، **الفكر والمستقبل**، ص 76.

[3]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 37.

إن الاعتراف بتعدد أبعاد ظاهرة المعرفة وتعقيدها يتطلب في الآن نفسه، الانتباه إلى التعقيدات والتشابكات وردود الأفعال التي تنتج المعرفة، يتطلب هذا في نظر **موران**- فكر مركب يستطيع معالجة التشابكات والمفارقات وتعدد الأبعاد، مما يستلزم بدوره، فكرا علميا تفاعليا حواريا هولوغراميا، يمكنه إقامة تواصلا ضروريا بين مختلف الحقول المعرفية.[1] و هكذا يكون الأسلوب المعرفي المركب الذي يدعو إليه **موران**- أسلوب ينظر إلى الجزء والكل على أنهما متماثلان حيث لا يمكن اختزال الجزء في الكل.

د- التربية والوعي بالمشاكل الجوهرية في المعرفة

1 - الفصل والتخصص المغلق: لقد كانت المعرفة العلمية على الدوام تبحث عن الوحدة البسيطة من أجل تفسير الواقع، مما أدى إلى اكتشافات علمية باهرة، الفيزياء اكتشفت الذرة، النواة، الإلكترون... وغيرها، والبيولوجيا اكتشفت الخلية، والجينة والوراثية، من هنا دخلت العلوم في دائرة التخصص، بحيث تشتت العلوم وانفصلت عن بعضها البعض، وأصبح المنهج العلمي يقصي المجتمع والثقافة من العلم الفيزيائي والبيولوجي، بالمقابل أصبحت العلوم الإنسانية غير قادرة على إدماج الإنسان والمجتمع في الفيزياء والبيولوجيا.[2] هذا الفصل بين العلوم أدى إلى سوء الفهم لطبيعة الإنسان والمعرفة. لهذا يرى **موران**- أن التخصص الفائق **hyperspécialisation** في واقع الأمر يمنع من رؤية الشمولي،(حيث يقوم التخصص بتجزئته إلى قطع مفصولة عن بعضها البعض، كما يمنع أيضا الدراسة السديدة للمشاكل الخاصة التي يستحيل تناولها خارج سياقها ، والحال أنه لا يمكن بتاتا تقطيع المشاكل الجوهرية ولا عض الطرف عن المشاكل الشمولية.[3] و فعلا في الوقت الذي كانت فيه الثقافة العامة تسعى إلى طرح فكرة أو معرفة داخل سياقها، تقوم الثقافة العلمية والتقنية الحالية بتجزيئ المعارف وتقطيعها، مما

[1]-داود خليفة ، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 261.

[2] – robin fortin, **comprendre la complexité**_, op.cit ,p p 3-4.

[3]-ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 40.

يؤدي إلى صعوبة موضعتها داخل سياقها، في نفس الوقت يجعل تجزئ المباحث من الصعب تمثل ما تم (نسجه ككل) أي المركب بحسب المعنى الأصلي للكلمة. بالفعل قامت النزعة التخصصية الفائقة بتمزيق وتقطيع النسيج المركب للوقائع، ودفعتنا إلى الاعتقاد بأن التقطيع الاعتباطي الذي أجري على الواقع هو الوقع نفسه، في الوقت نفسه.[1]

هكذا تشكل المعرفة المتخصصة شكلا خاصا من أشكال التجريد، ويتمثل التخصص المجرد، في فصل الموضوع عن سياقه ومجموعه العام من جهة، وعن علاقاته وتفاعلاته مع محيطه من جهة أخرى، بسبب دمجه في بناء مفاهيمي مجرد، يدمر الحدود النسقية للظواهر وتعدد أبعادها.

إذن الخاص يغدو مجردا عندما يتم عزله عن الكل الذي يدخل في تكوينه، والشمولي يغدو مجردا عندما لا يكون سوى كل منفصل عن أجزائه، وأما الفكر المركب فهو يحيلنا على الدوام من الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء.[2] يقدم **موران**– مثال عن تخصص معرفي يفصل موضوع دراسته عن سياقه العام، ذلك الموضوع الذي يستحيل معرفته، إذا ما عزلناه عن سياقه العام المركب:

<< مثلا يعتبر الاقتصاد، الذي هو العلم الاجتماعي الأكثر تطورا من الناحية الرياضية، والعلم الأكثر تأخرا من الناحية الاجتماعية والإنسانية، لأنه انفصل تماما عن السياقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية والبيئية المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية، وهذا ما يفسر لماذا أصبح الاقتصاديون عاجزين أكثر فأكثر عن فهم وإدراك التقلبات المالية والبورصوية، وعاجزين أيضا عن التنبؤ واستشراف المستقبل

[1]–ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 15.

[2]- ادغار موران، **هل نسير إلى الهاوية**، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا الشرق ، المغرب 2002 ص 60.

الاقتصادي، بهذا المعنى يعتبر العلم الاقتصادي المسؤول الأول عن الخطأ الاقتصادي.>>[1]

تبرز المهمة الأساسية للتربية اليوم كما يسمو إلى ذلك **ادغار موران**– في طرح المشاكل الجوهرية الخاصة بالمعرفة البشرية، من ثمة محاولة إبراز عيوب التخصص، لأن الموضوع مهما كانت طبيعته، فهو مركب متعدد الأبعاد، مما يستلزم لم شمل العلوم المعرفية، من أجله دراسته دراسة موضوعية، تستبعد سبل الوقوع في الخطأ، فالاقتصاد على سبيل المثال، كما ذكرناه في قول **موران**–، هو مبحث لا يمكن فصله عن السياقات السياسية والتاريخية والاجتماعية.

2– الاختزال والفصل: séparation et réduction

يرى **موران**– أن التطرق لعرض مفهوم الاختزال، يستلزم منذ البداية، الإشارة إلى وجود منظومة البساطة، التي تختزل المركب في البسيط، حيث تنظم الكون بإقصاء الاختلال من داخله، هنا يتم اختزال النظام في قانون أو مبدأ معين، إن البساطة ترى إما الواحد، وإما المتعدد، ولكنها لا ترى أن الواحد قد يكون متعددا في نفس الوقت، إذ يكمن عمل البساطة إما في فصل ما هو مرتبط (الفصل) أو توحيد ما هو متعدد (الاختزال).[2]

لقد كانت العلوم إلى حدود منتصف القرن العشرين تعمل بمبدأ الاختزال، اختزال الكل في معرفة الأفراد، كما لو أن تنظيم الكل ينتج خاصيات جديدة غير موجودة في الأجزاء المعزولة. و**الاختزال réduction أو الاختزالية réductionnisme**، كثيرا ما تستخدم كمرادف **للتبسيط simplification**، ويقصد به تلك المحاولة التي سادت العلم الكلاسيكي لتفسير عدد كبير من الوقائع، بعدد قليل من المبادئ والافتراضات والقوانين،

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 15.

[2]– ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 61.

ويعتبر المذهب الميكانيكي أبرز تمثيل للاختزالية الذي يحاول تفسير العالم على أساس قوانين الميكانيكا.[1]

<< بما أن التربية التي تلقيناها علمتنا الفصل والتجزيء، وعدم الربط بين المعارف، فلقد تحولت هذه الأخيرة بسرعة إلى مجموع يستعصى على الفهم عندما ننظر إليه ككل. حيث تمنع عنا رؤية التفاعلات والارتدادات والسياقات والمركبات التي تصل بين المباحث المعرفية، كما تختفي المشاكل الإنسانية الكبرى لصالح التقنية المتخصصة.>>[2]

بطبيعة الحال تقوم الرؤية الآلية الاختزالية بتقطيع وتشتيت العالم والكون المركب إلى قطع منفصلة عن بعضها البعض، وكدا بتجزيئ المشاكل العامة إلى مشكلات جزئية منفصلة، وبفصل ما هو مرتبط، وبإضفاء الطابع الأحادي على المتعدد الأبعاد، لتكون في النهاية رؤية قصيرة النظر غالبا ما تتحول إلى رؤية عمياء، تؤدي إلى تعذر الفهم والتأمل في مشاكل العالم والإنسان.

في الأخير تتحدد مهمة التربية في نظر **موران**– في تقديم المبادئ المعرفية الملائمة للفكر البشري، تلك المبادئ التي تعترف بالتعقيد، والطابع المركب للمعرفة، نمط معرفي يقوم على التعقيد والسياق والشمولي، كما يعترف بتعدد الأبعاد، وينبغي على التربية أن تطرح المشاكل الجوهرية المتعلقة بالمعرفة، في أنظمتها التعليمية، ليكون النمط المعرفي أحد الأسس الرئيسية في المنظومة التربوية المستقبلية.

[1]– داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد** ، ص 44.

[2]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 41.

1-3- التربية و مواجهة اللايقينيات

تأسس العلم الكلاسيكي على مبدأ الحتمية العام، الذي ينص على الفكرة القائلة إن نفس الاسباب تؤدي إلى نفس النتائج، بالمقابل أقصى هذا المبدأ كل مظاهر الاختلال والصدفوية، من ثم حقق تطورا علميا هائلا، غير أن هذا التطور كشف بدوره عن اللايقين العلمي، بعدما ظهرت النظريات الفيزيائية الجديدة، إذن ثمة وعي جديد يرى أن العالم الإنساني تواجهه اللايقينيات من كل الجهات.[1] هذا ما يستلزم على التربية أن تعترف بوجود اللايقين، وبالتالي تعليم كيفية مواجهة اللايقينيات **affronter les incertitudes** المتعلقة بالمعرفة البشرية و تتحدد اللايقنيات في نظر **موران**- على مستويات معرفية عديدة، وكل مستوى يحمل مصادره الخاصة وهذه المستويات هي:

- مبدأ اللايقين الاجتماعي: لا تستطيع سوسيولوجيا المعرفة حتى و لو كانت مكتملة أن تعطينا معيار الصواب والخطأ، تستطيع في أحسن الأحوال أن توفر لنا الظروف التاريخية- الاجتماعية- الثقافية الملائمة للعبة الأفكار وللكشف عن الخطأ.

- مبدأ اللايقين العلم- عقلي: العلم العقلي الذي يستطيع أن يوضح لنا المنظومات الفكرية، دون الخوض في صوابها.

- مبدأ اللايقين المنطقي كما قال باسكال: " ليس التناقض علامة على الخطأ، وليس عدم التناقض علامة على الصواب".

- مبدأ اللايقين العقلي، كما رأينا ذلك مرارا إذا لم يطور التعقل يقظته في نقد الذات فقد يفضي إلى العقلنة.[2]

---

[1] - Edgar Morin, **enseigner a vivre** , op.cit , p p 32-33.

[2]- ادغار موران، **المنهج- الأفكار** ، ص 357.

تلتقي هذه اللايقينيات في مبدأ لا يقيني كبير يتعلق بتمكننا من المعرفة، حيث يصعب علينا أن نميز بين فترة الانفصال والتعارض بين ما ينجم عن المصدر نفسه أي المثالية، وهي طريقة وجود ضرورية لتمكن الفكرة من ترجمة الواقع، وبين العقلنة الذي تمنع هذا الحوار نفسه، كذالك هناك صعوبة كبرى للتعرف على الأسطورة المتخفية تحت العلم أو العقل.[1] وينفي **موران**- إمكانية القضاء على اللايقين، حيث يؤكد أن وجود اللايقين مرتبط بالتطور العلمي، ولا ندعو التربية إلى إزالة اللايقين لأن هذا الأمر يوقع مجددا في اللايقين العام، بل يكفي للنظم التربوية، الكشف عن اللايقين والاعتراف به كمبدأ متجذر في المعرفة البشرية.

<< إن مبدأ اللايقين ومبدأ التساؤل يشكلان كلاهما أوكسجين كل مسعى معرفي، فكما أن الأكسجين كان يقتل الكائنات الحية البدائية إلى أن استخدمت الحياة، كذالك حال اللايقين الذي يقتل المعرفة التبسيطية فيزيل سموم المعرفة، المعرفة على كل حال هي مغامرة ليست محفوظة بالمخاطر فقط بل تتغذى بالمخاطر.>>[2]

ترتبط مشكلة اللايقينيات في رأي فيلسوفنا- بالشروط الأساسية للمعرفة الإنسانية، وتنوء بثقلها على كل مستويات المعرفة وأشكالها، ومصادر اللايقينيات متعددة:

أ-اللايقين المرتبط بالمعرفة والواقع:

ينظر **موران**- إلى المعرفة البشرية على أنها تشكل مغامرة لايقينية، تتضمن في ذاتها وبشكل دائم إمكانية الوقوع في الخطأ والوهم. ومن بين الأمثلة التي يقدمها على مصادر اللايقين، وجود إمكانات الخطأ إثناء عملية التواصل بين الأفراد، حسب نظرية **كلود شانون**، التي تنص: على أن كل عملية اتصال تحمل إمكان الوقوع في اللايقين أو

[1]- ادغار موران، **المنهج- الأفكار** ، ص 357.

[2]- المصدر نفسه ، ص 359.

الخطأ بسبب الضجيج، حيث تقتضي المعرفة البشرية اتصالات عديدة، ليس فقط بين أجهزة الاستقبال الحسية وبين العالم الخارجي فقط، بل أيضا داخل الجهاز العصبي مما يضاعف احتمالات الوقوع في الخطأ واللايقين.[1] إذن نظرية **شانون** تقدم لنا أحدى المصادر الأساسية للايقين، أي أثناء عملية الاتصال هناك المرسل، والمتلقي، وبينها فضاء مضطرب بسبب الضجيج، الذي يؤدي في النهاية إلى سوء الفهم، أو اللايقين .

عندما نتمعن النظر في طبيعة النظريات والمذاهب المعرفية العلمية أو الفلسفية، نجد أنها تحمل في داخلها أسوء الأوهام، واللايقينيات، حيث هناك لايقينيات راجعة إلى الطبيعة العقلية للمعرفة، إذ تتحدد بصورة واضحة في طبيعة النظريات بالذات، بما فيها النظريات العلمية، وكل نظرية غير مؤكدة لأنها لا تقوى على استبعاد إمكانية دحضها من طرف نظرية جديدة، كما أنها تستند إلى مسلمات ومبادئ لا يمكن التحقق منها.[2] هكذا نجد داخل اليقينيات المذهبية والدغمائية أسوء الأخطاء واللايقين، و من هنا يستلزم الأمر الوعي الكلي بالطابع اللايقيني لكل فعل معرفي، حيث يشكل هذا الوعي في المنظور الموراني، فرصة لبلوغ المعرفة الملائمة، تلك المعرفة التي تحتاج وتقبل الفحوصات والتحققات الداخلية عن طريق النقد الذاتي والخارجية، وفق التحاور مع المذاهب الأخرى.[3] وهكذا تتضمن المعرفة في مبدأها بالذات علاقات اللايقين، كما تتضمن في ممارستها احتمال الوقوع في الخطأ، صحيح أنها تستطيع أن تحصل على يقينيات عديدة، ولكنها لن تستطيع قط على إزالة مشكلة عدم اليقين.

<< في الوقت الذي يؤدي فيه اللايقين إلى الخطأ لا تؤدي معرفة اللايقين إلى الشك فحسب، بل إلى الاستراتيجيا، ليس اللايقين سرطانا يقضم المعرفة فقط، بل

[1]– ادغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة** ، ص 331.

[2]– المصدر نفسه ، ص 333.

[3]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 78.

خميرتها،التي تدفع إلى التحقق والابتكار والتفكير، إذن هو الأفق والسرطان والخميرة والمحرك بالنسبة للمعرفة.>>[1]

اللايقين حسب **موران**– هو في الآن مخاطرة وفرصة بالنسبة للمعرفة، ولا يصبح فرصة إلا إذا اعترفت به، وتعقيد المعرفة هو الذي يدفع إلى هذا الاعتراف، ذلك أنه أفضل وسيلة لنبش اللايقينيات وتصحيح الأخطاء، هذا ما يستلزم على التربية إعادة النظر في المنظومة المعرفية، و وضع مبحث معرفي، يقوم بتعليم معرفة المعرفة.

يرى فيلسوفنا أن قراءة الواقع ليست مسألة بديهية، لأن الأفكار والنظريات، لا تعكس الواقع، بل تترجمه بطريقة غالبا ما تكون غير كافية ومغلوطة، لأن واقعنا ليس سوى فكرتنا عن الواقع، هذا ما يفسر الطبيعة العميقة الغير يقينية، حيث نستطيع تحديد موضوعية الواقع المعروف، وليس واقعية هذا الواقع.[2]

إنطلاقا من هذا التصور يشير **موران**– إلى ضرورة تعليم كيفية تأويل الواقع، قبل أن نعترف بوجود شيء اسمه الواقعية، وعلى التربية أن تبين وجود لايقينيات بصدد الواقع، ومعرفتنا عنه، التي تضع موضع تساءل يقينية النزعات الواقعية، كما تكشف أحيانا عن واقعية بعض النزعات التي تبدو في ظاهرها كنزعات غير واقعية.[3] وفعلا تتحدد معرفتنا عن الواقع عن طريق الترجمات التي يقوم بها الذهن البشري، في حين هناك جانب لا يتأتى من خلال الصور التي نقوم بترجمتها، مما يؤدي في الأخير إلى احتمال الوقوع في الخطأ والتشويه المرتبط بالترجمة، كما بين ذلك **كانط**– من خلال فلسفته النقدية.

---

[1]– ادغار موران، **المنهج – معرفة المعرفة** ، ص 335.

[2]– المصدر نفسه ، ص 331.

[3].– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 79

ب-اللايقينيات وايكولوجيا الفعل: incertitudes et l'écologie d'action

نحن نشعر في بعض الأحيان أن الفعل يبسط الأمور، من حيث أننا بصدد اتخاذ قرار ما، خاصة عندما نكون أمام خيارين، فعلا هذا الفعل عبارة عن قرار واختيار، ولكنه عبارة أيضا عن مراهنة. وهذا ما يجب على التربية أن تأخذه بعين الاعتبار، وتحاول إبراز مقاصد الفعل ونتائجه على الذات الفاعلة والأخر، في كل المستويات. والحال أن مقولة المراهنة تضم في داخلها الوعي بالمخاطرة واللايقين في كل مجال واستراتيجيا، حتى أن الفكر الحديث فهم أن معتقداتنا الأكثر جوهرية تشكل موضوع مراهنة، هذا ما قاله لنا **بليز باسكال**- بصدد الإيمان الديني في القرن السابع عشر، علينا نحن أيضا أن نكون واعين بمراهناتنا الفلسفية والسياسية.[1] لهذا يكون الفعل عبارة عن استراتيجيا، ولا تشير الكلمة إلى برنامج محدد مسبقا يكفي تطبيقه بنفس الشكل وعلى طول الزمن، بل الاستراتيجيا تسمح بتمثل مجموعة من السيناريوهات من أجل الفعل، وهي سيناريوهات قابلة للتغيير بحسب المعلومات التي تظهر على مسار الفعل، وبحسب الصدف التي تنبعث وتخل بالفعل.

إذن ايكولوجيا الفعل أو علم بيئة الفعل، ظهر لدراسة التدخلات المتعددة والمفعول الرجعي الذي يتعرض له الفعل داخل الوسط الذي يدور فيه، ينفلت من سيطرة صاحب الفعل، فيسبب نتائج غير منتظرة، بل مناقضة أحيانا لتلك التي كان يتوقعها. و يقوم هذا العلم على مبدأين:

-لا يعتمد الفعل على نوايا الفاعل فحسب، بل على الظروف الخاصة بوسطه.

-لا يمكن التكهن بنتائج الفعل على المدى الطويل.[2]

[1]- ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، ص 79.

[2]- ادغار موران، **المنهج – إنسانية الإنسانية** ، ص 349.

إذن كل فعل ينفلت من إرادة صاحبه، ما أن يندرج في إطار لعبة التفاعلات الارتدادية المتعلقة بالوسط الذي يقع فيه هذا الفعل، فالفعل ليس معرضا للفشل فقط، لكن للتحول وللانحراف عن معناه الأصلي، بل يمكن أن يرتد عاقبته ضد الذين بادروا القيام به.[1] يرى **موران**– أنه يمكن لنا إن نتوقع التأثيرات المرتقبة للفعل على المدى القصير، لكن يستحيل علينا التنبؤ بالتأثيرات المرتقبة على المدى الطويل، ومن هنا ليس هناك فعل يضمن إحداث تأثيرات متطابقة مع الغاية التي يتوخاها، لكن بالمقابل فايكولوجيا الفعل تدعونا إلى القيام بمراهنة تعترف بمخاطر الفعل، وتضع إستراتيجية تسمح بتعديل الفعل أو إلغائه إن اقتضى الأمر.

إذن يكمن دور ايكولوجيا الفعل في نظر **موران**– فعندما يقوم فرد معين بفعل ما، حتى يصبح هذا الفعل منفلتا عن مقاصده، بحيث يدخل هذا الفعل في عالم من التفاعلات ووحدة المحيط، وهنا يمكن أن يصبح مناقضا مع مقصده الأصلي، وغالبا ما تعود عاقبة الفعل علينا، هنا يستلزم مراقبة الفعل وتصحيحه.

في نظره، هناك زادين نحتاج إليهما في رحلتنا لمواجهة لايقين الفعل: الأول هو الوعي الكامل بالمراهنة التي يتضمنها القرار الذي نتخذه، والثاني هو الاعتماد على استراتيجيا معينة، فعندما نضع اختيارا مفكرا فيه، بصدد قرار ما، يصبح هناك وعي كامل باللايقين الذي هو الوعي الكامل بالمراهنة، ثم وضع إستراتيجية محكمة للفعل تأخذ في عين الاعتبار الاحتمالات واللاحتمالات التي ترتد من الفعل ذاته.[2] من هنا نستخلص أن ايكولوجيا الفعل تعني الأخذ بعين الاعتبار تعقد الفعل، وما يحيل إليه من احتمالات و مصادفات ومفاجآت، كما يتطلب الوعي بالانحرافات والتحولات. إذن يتوجب علينا أن

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص82.

[2]– المصدر نفسه، ص 83.

نحارب كل لايقينيات الفعل، بل يمكننا على حد تعبير **موران**– أن نتجاوزها على المدى القصير أو المتوسط، لكن لا أحد بإمكانه أن يدعي إلغائها على المدى البعيد.

في الأخير نصل إلى القول أن الرغبة في التخلص من اللايقين يبدو مثل مرض خاص يصيب فكرنا، وكل توجه نحو اليقين الأكبر ليس سوى وهم يعتري مستوياتنا الذهنية، مما يستلزم على الفكر البشري أن يتعود على مواجهة اللايقين، من حيث أن كل ما يحتمل الصواب والإمكان، يحتمل بالمقابل الخطأ والمخاطرة، وعلى العقل البشري أن يعترف أن وراء كل يقين ضروري، لايقين محتمل.

لقد لاحظنا على مر التاريخ أن الممكن قد يصبح مستحيلا، والمستحيل قد يحيل إلى إمكانات تحققه، وغالبا ما أظهر التقدم العلمي أن اللامحتمل قد يتحقق أكثر من المحتمل، لذا على التربية أن تعترف باللايقين من خلال أنظمتها التعليمية، وتعلم كيف نأمل في تحقيق ما يبدو غير مأمول، وتعلم أيضا كيف نراهن على ما هو غير محتمل. بناء على هذا يمكن القول أن **موران**– قد ربط بين المعرفة والتربية، من حيث المبدأ والغاية، يحصرها في النقاط التالية:

–على التربية أن تعلم المعرفة المركبة، معرفة تعترف بالطابع المركب لكل من العالم والإنسان، وهما موضوعات الفكر الإنساني.

– على التربية أن تكشف عن العمى المعرفي، عن طريق إبراز المصادر الأساسية للأخطاء والأوهام، ومحاولة إيجاد علاج ناجع لها.

– على التربية أن تقدم المبادئ المعرفية الملائمة، تلك المبادئ تتمثل في : المركب، السياق، الشمولي، والمتعدد الأبعاد.

– على التربية أن تعلم التلميذ، أو الطالب وجود اللايقين، وتعلمه كيفية مواجهتها.

2- أسس التربية المستقبلية عند ادغار موران

ينبغي في نظر **موران**- على كل نظام تربوي أو تعليمي **système éducative** أن يسعى إلى التوفيق بين ثلاثة أمور أساسية: مهمة أنثروبولوجية ما دام لا يجدر فقط للثقافة إكمال تهذيب الطفل، بل تطوير أفضل ما لديه، نظرا لقدرة الكائن الإنساني على القيام بالأفضل والأسوء، أما المهمة الثانية هي مدنية، لأن المدرسة ملزمة على تكوين مواطنين قادرين على التمتع بإستقلالية ذاتية ثم، إندماجهم في مجتمعهم، ويكمن الأمر الثالث في المهمة الوطنية الأرضية، بحيث يجب على المدرسة أن تساهم في تطوير خاصية الحياة، بحيث تسمح لكل واحد بتحقيق تطلعاته، وتنمية علاقاته مع الأخر، لأجل توسيع نطاق التضامن بين الشعوب، بالتالي تحقيق الإنسانية الكوكبية.

لتحقيق هذه المهمة يرى **موران**- ضرورة إعادة النظر في آليات ومبادئ التعليم، وذلك من خلال توظيف مفهومه الجديد عن الإنسان، ومراعاة الطابع المركب والمتعدد الأبعاد للكائن البشري، الذي هو في الآن واحد في شخصيته وفرديته، ومركب في طبيعته وعلاقاته، لذا يجب على الأنظمة التربوية أن تعمل على جعل الإنسان في مركز المدرسة والنظام التربوي بصفة عامة. وهنا نتساءل :

ما هي المبادئ والأسس التي يقترحها موران- للتربية المستقبلية؟

يجيب **موران**- أنه على التربية المستقبلية **éducation du futur** إن تقوم على ثلاثة أسس ومبادئ أساسية، يجب مراعاتها في كل الأنظمة التعليمية العالمية وهي: تعليم الشرط الإنساني الذي من شأنه أن يحقق إنسانية الإنسان، تعليم الفهم الذي يدعم التفاهم بين بني البشر، وتعليم الهوية الأرضية، الذي يسعى إلى ترسيخ فكرة المصير المشترك لكل البشرية، وهذه المبادئ سنقوم بالتفصيل فيها في هذا المبحث.

2-1- تعليم الشرط الإنساني:

كل تربية تسعي إلى اكتساب المشروعية، وكل تعليم **enseignement** يرمي إلى اكتساب الصلاحية، يستلزمان تجاوز النظرة التجزئية والاختزالية للمعرفة من جهة، كما ينبغي عليها الاعتراف بالطابع المركب للكائن البشري، هذه هي الخلاصة التي توصل إليها المفكر الفرنسي **ادغار موران**- من خلال مدة زمنية طويلة من البحث في مجال التربية، في كتابين مشهورين هما: تربية المستقبل / تعليم الحياة.

يتخذ **موران**- من الشرط الإنساني**la condition humaine** ، المبدأ الأساسي في مسألة التعليم، حيث يرى أن كل تربية مستقبلية لابد أن تتجه نحو تعليم أولي وشامل يرتكز على ضرورة فهم شروط الوجود الإنساني، لأننا نعيش في مرحلة تاريخية تتسم بالكونية **universalité**، هذه المرحلة نعيشها كمغامرة مشتركة تهم البشر في كل مكان، هذه هي الحقيقة التي يجب الاعتراف بها في أبعادها الإنسانية المشتركة، وفي الوقت ذاته لابد من الاعتراف بالتعدد الثقافي المميز للإنسانية.[1] بالمقابل لاحظ **موران**- أن الشرط الإنساني هو مبدأ غائب تماما في أنظمتنا التعليمية التي تأسست في الأصل على نمط التجزيء والفصل بين المعارف الإنسانية مما، أدى إلى تعذر فهم الكائن الإنساني.[2]

إن معرفة الشرط الإنساني في نظر **موران**- غائبة بصفة كلية في برامجنا التعليمية، بسبب التجزيئ والتبعثر الذي تعرض له كل ما هو إنساني داخل تخصصات العلوم الإنسانية والبيولوجية، (الدماغ يدرس من طرف البيولوجيا، والروح من طرف علم النفس ... وغيرها)، مما جعل معرفة تبقى غامضة.[3] لهذا يكون الكائن البشري هو كائن

---

[1]- ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني** >>، تر: عزيز مشواط ، مجلة رؤى تربوية، العدد 29، 2008، ص 124.

[2] – Edgar Morin, **relier les connaissances** ,Edition seuil , Paris, France ,1999, p 11.

[3]– Edgar Morin, **enseigner a vivre**, op.cit , p 95.

فيزيائي وبيولوجي، نفسي، اجتماعي، ثقافي في الآن نفسه، وهذه الوحدة المركبة للطبيعة البشرية، غير مدمجة في التعليم التخصصي، مما أدى إلى استحالة فهم جوهر الكائن الإنساني. وهنا يجب تصحيح هذه الأنظمة بطريقة تسمح لكل شخص أن يعرف و يكون على وعي بهويته الفردية، وهويته المشتركة مع الآخرين.[1]

يرى موران أن معرفة الإنسان تستوجب موضعته داخل العالم، أي على كل معرفة أن تأطر موضوعها داخل سياقها لتكون ملائمة، لان سؤال: من نحن؟ لا ينفصل على الأسئلة الآتية: أين نحن؟ من أين جئنا؟ والى أين نحن ذاهبون؟ لهذا يكون سؤال الشرط الإنساني، هو البحث عن وضعنا داخل العالم، ورغم أن التدفق المعرفي والعلمي الجديد في البيولوجيا وعلم الأحياء وغيرها، ساهم في توضيح وضعية الوجود البشري بطريقة جديدة، إلا أن هذه التخصصات مازالت منفصلة عن بعضها البعض، مما جعل الإنسان لا يزال مجزئا ومقطعا، يصعب النظر إليه كوحدة مركبة.[2] وبالرغم من التطور الحاصل في هذه الميادين العلمية، يظل البعد الإنساني مقصيا ومجزأ إلى أجزاء متناثرة في رقعة فاقدة لشكلها الحقيقي، وهنا يطرح مشكل ابيستمولوجي يتعلق باستحالة تصور وفهم الوحدة المعقدة للكائن البشري.

وهكذا يصبح هذا التركيب الإنساني غير مرئي، تختفي الحقيقة الإنسانية كما تختفي قشة صغيرة على رمال شاسعة، ومن ثمة تصبح المعرفة على الرغم من أصالتها بسبب تجزيئها، غير قادرة على استيعاب تعقد الوجود الإنساني، بالمقابل ترتفع حدة الجهل المعمم في الوقت الذي تتضخم فيه معرفة الأجزاء.[3]

---

[1] – Edgar Morin, **enseigner a vivre**, op.cit p 96.

[2] _ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 45.

[3] – ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني**>> ، ص 125.

إذن ينبغي أن يكون الشرط الإنساني الموضوع الأساسي في كل نظام تعليمي، لتبيان إمكانية الاعتراف بالوحدة والتركيب الإنساني، عن طريق الجمع بين التخصصات المعرفية الحالية، وكذا الربط بين المعارف المبعثرة، من علوم الطبيعة وعلوم إنسانية، الآداب والفلسفة، وإبراز الصلة الوطيدة بين الوحدة والتعدد الموجود في كل كائن بشرى. لهذا يرى **موران**- إلى أن فهم الوجود البشري، ووضعيته في العالم، تستلزم وجود معرفة مركبة بكل جوانب الطبيعة البشرية، وهذا يتحقق في حالة واحدة، هي جعل الكائن البشري، في مركز المنظومة التربية، والبرامج التعليمية، **و** لأجل تتحقق هذه الوظيفة، ينبغي معرفة من مجموعة من الشروط الخاصة بالإنسان.

أ-التجذر- الاجتثاث الإنساني:

ينظر موران- إلى الإنسان على أنه كائن متجذر من ازدواجية العالم الفيزيائي وعالم الفلك الحي، ومن الضروري الاعتراف بهذه السمة، كذلك الاعتراف باجتثاثنا الإنساني المحض.[1] إذن نحن متأصلون في الكون الفيزيائي وفي الفلك الحي معا. فنحن داخل الطبيعة وخارجها في الوقت نفسه. يتمثل هذا التجذر في ثلاثة شروط حسب **موران**-

-الشرط الكوني- الفيزيائي:

يجب على التربية أن تبين طبيعة الإنسان الكونية-الفيزيائية، لأن الكائن البشري ليس فيزيائيا في جزئياته فحسب، بل إن تنظيمه الذاتي ناجم عن تنظيم فيزيائي-كيميائي أنتج سمات انبثقت لتكون الحياة، وتتطلب جميع أنشطته ذاتية التنظيم عمليات فيزيائية وكيميائية. ولا يخضع العالم الفيزيائي الذي انبثقتا منه إلى نظام خاضع لقوانين صارمة،

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 46.

لكنه في الوقت نفسه لا يخضع كليا للفوضى ومحض المصادفة، انه مأخوذ من لعبة كبيرة بين نظام/ وفوضى / وتفاعل/ وتنظيم.[1]

و لقد تخلينا مؤخرا عن فكرة كوننا نعيش داخل كون منتظم وكامل وأبدي، يلف مصيره المجهول، حيث يتضافر فيه التكامل والتناقض، ويتضافر فيه النظام والفوضى، هذا ما يبين تعقيد الكون، أي العون عبارة عن مغامرة كونية وفيزيائية تخضع إلى التناغم والتنافر.

إننا في وجودنا الإنساني الحالي نتابع المغامرة الكونية من اجل تطور خلاق، تقودنا في هذه المسيرة تلك الميزة الخاصة المتمثلة في قدرة الكائن الحي على التنظيم الذاتي، أننا نواصل بطريقتنا الخاصة هذه الطريقة المحفوفة بالمخاطر.[2] حيث يمتاز الإنسان وليد هذه المغامرة بكونه عاقلا ومجنونا، يحمل في داخله العقلانية والهذيان، والعدمية.

-الشرط الأرضي: la condition planétaire

نحن جزء من المصير الكوني، ولكننا لا نحتل سوى حيز صغير وهامشي فيه، فكوكبنا هو الفلك الثالث تابع لشمس فقدت مركزها، وتحولت إلى نجم قزم تائه بين ملايير النجوم في قلب مجرة هامشية من كون في توسع دائم.[3] هكذا تشكل كوكبنا في نظر **موران**- في الغالب من بقايا كونية ناتجة عن انفجار شمسي سابق، فظهرت الأرض وتنظمت ذاتيا بارتباط قوي بالشمس ثم تشكلت في شكل مركب، لنكون نحن البشر في الوقت ذاته كائنات كونية وأرضية. في هذا السياق يقول موران-:

<< يجب أن نعلم أن كوكبنا يسبح في الكون، وعلينا استخلاص النتائج من وضعيته الهامشية التي هي وضعيتنا، وبوصفنا كائنات حية من هذا الكوكب، فننا مرتبطون

---

[1]- ادغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 35.

[2]- ادغار موران، **<<فهم الشرط الإنساني>>** ، ص 126.

[3]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 47.

بشكل حيوي بالمحيط الحيوي الأرضي، يجب الاعتراف بالشرط الفيزيائي والبيولوجي لهويتنا الأرضية.>>[1]

من هنا تتحدد وظيفة التربية في وضع برامج تعليمية، تأخذ بعين الاعتبار الشرط الأرضي، وتعلم للطلبة أننا جزء من هذا الكوكب، ومصير الكون هو مصيرنا، ووضعيته هي وضعيتنا.

-الشرط الإنساني:

إن أهمية التربية على الشرط الإنساني **condition humaine** تحظى بأهمية قصوى، لان ذلك يبين الكيفية التي تشكل بها الوجود الإنساني من خلال الجمع بين بعدين أساسين هما: البعد الإنساني والبعد الحيواني من هنا تشكل الأنسنة شرطا حاسما في توضيح الشرط الإنساني.

لقد بينت الانثروبولوجيا على مر التاريخ البشري أن مغامرة الأنسنة بدأت قبل سبعة ملايين سنة، بظهور أنواع جديدة: استخدام اليدين، وانتصاب القامة، والإنسان العاقل، واستخدام النار، ثم ظهور اللغة والزراعة، هذه الصيرورة أدت في الأخير إلى ظهور اللغة البشرية، ونشأة الثقافة في الوقت نفسه.[2] وهكذا انتهت عملية الانسنة في نظر **موران**- إلى ولادة جديدة : الكائن البشري (يتأنسن) ومع ذلك فان مفهوم الإنسان يتحدد في مدخلين: مدخل بيو-مادي وأخر نفسي اجتماعي، حيث يحيل احدهما على الأخر، إذ أن أصلنا هو الكون والطبيعة والحياة، لكن بفعل هذه الثقافة وهذا الفكر والوعي أصبحنا غرباء عن هذا الكون، الذي يظل متخفيا فينا على الرغم منا.[3] و عليه

---

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 48.

[2]- ادغار موران، **المنهج -إنسانية الإنسانية** ، ص 42.

[3]- ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني>>** ، ص 127.

تكون الانطلاقة الكبرى للانسنة نحو الإنسانية كما يتصورها **موران**– تحركها المجموعة الآتية: الدماغ — اليد— اللغة الخاصة — الذهن — الثقافة — المجتمع.

من هنا لا تقتصر البشرية على الحيوانية أبدا، لكن لا وجود للبشرية دون الحيوانية: إذ يصبح الإنسان إنسانا تماما عندما يتضمن مدخلين: مدخلا إحيائيا ، ومدخلا نفسيا– اجتماعيا– ثقافيا يتصل احدهما بالأخر.[1] وهكذا يحمل الإنسان في داخله خصوصياته وتفرده من جهة، كما يحمل تقريبا كل الكون، بكل غموضه الذي يتجلى في أعماق الطبيعة البشرية من جهة أخرى. بالمقابل ليس الإنسان مجرد كائن يمكن إدراكه وفهمه انطلاقا فقط مما هو كسمولوجي أو مادي بيولوجي أو نفسي، إن الإنسانية اكبر من أن تختزل في هذا البعد أو ذاك.[2] إذن معرفة الشرط الإنساني تستدعي كل العلوم المعرفية، أي معرفة مركبة متعددة الأبعاد، مما جعل **موران**– يناشد المنظومة التربوية، بضرورة تعليم معرفة المعرفة.

ب–إنسانية الإنسان: l'humanité de l'humaine

يجب على التربية أن تتخذ من الإنسان محورا هاما في أنظمتها التعليمية، والإنسان لا معنى له في نظر **موران**– بدون مصطلح الإنسانية، ليكون تعليم إنسانية الإنسان نقطة هامة من اجل فهم الشرط الإنساني.

تحظى الثقافة **culture** عند فيلسوفنا بأهمية خاصة فيما يتعلق بمفهوم الإنسان، الذي لا يكتمل إلا من خلالها، وكذلك بوصف الثقافة نتاجا لقدرات العقل البشري. لذلك يضع مجموعة من النقاط التي من خلالها نستطيع الإلمام بمفهوم الإنسان المركب، وكذا إبراز معالم الإنسانية لدي الكائن البشري.[3] وهذه النقاط يحددها **موران** كالآتي:

---

[1]– إدغار موران، **المنهج –إنسانية الإنسانية** ، ص 44.

[2]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 49.

[3]– ادغار موران، **المنهج– إنسانية الإنسانية** ، ص 17.

-الوحدة المزدوجة:

يعتبر الإنسان وحدة مزدوجة مركبة من مكونين: الأول بيولوجي والثاني ثقافي، وهذه الازدواجية هي التي منحت الإنسان خاصية الأصالة والتميز، يقول: **<< إن الإنسان ذو أبعاد بيولوجية، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لكن افتراض عدم وجود المكسب الثقافي سيحوله إلى كائن بدائي من الأصناف الحيوانية الأولى، إن الثقافة بما هي مجموعة من التراكمات الحاصلة عبر سنسن طويلة تتضمن أيضا القواعد والمبادئ المكتسبة.>>**[1]

إذن فالإنسان كائن بيولوجي، استطاع بفضل المكسب الثقافي من خلق إمكانات الحياة، وخصائص التمركز على الذات، والانفتاح على الغير، مما مكنه من الخروج من المرحلة البدائية الحيوانية إلى مرحلة جد متطورة، أين يعبر عن وجوده داخل الطبيعة، وتميزه عنها.

- حلقة الدماغ- الفكر -الثقافة:

يرى **موران** أن تعليم إنسانية الإنسان أمر ضروري في كل الأنظمة التعليمية، لأن المدرسة من شأنها أن تكون إنسان الكون، يعرف مكانه ودوره، كما يعرف أن إنسانيته تشكل جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، لكن هذه المهمة لا تتحقق إلى بمعرفة الثلاثية المميزة للإنسان(الدماغ/ الفكر/ الثقافة)، فالدماغ **cerveau** ينمو بالتفكير **pensée** ، ويتغذى بالثقافة **culture** ، وعلى التربية أن توضح هذه الحقيقة.

نحن لا نستطيع فصل العقل عن الدماغ ولا فصل الدماغ عن العقل، يضاف إلى ذلك أننا لا نستطيع فصل العقل/ الدماغ عن الثقافة، لأن الفكر البشري لولا الثقافة، أي ثقافة

[1]- ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني>>** ، ص 127.

اللغة والمهارات والمعارف المتراكمة، لما ازدهر ولما اقتصر على الإنسان العاقل، بل يبقى إنسان بدائي منحط.[1] من هنا يؤكد **موران**– أن إنسانية الإنسان لا تتحقق بشكل كامل إلا داخل الثقافة، ولا توجد ثقافة بلا دماغ بشري (باعتباره الآلة البيولوجية المسؤولة عن المعرفة والتعلم)، كما لا وجود للفكر (باعتباره القدرة على الوعي والتفكير لا بالثقافة.[2] وهكذا يمكن فصل أي طرف عن الأطراف الأخرى، لأن الفكر هو نتاج للدماغ، الذي يفرز الثقافة التي لا يمكن أن تكون إلا بالدماغ. إذن هناك دائرة ثلاثية العناصر متشكلة من الدماغ والفكر والثقافة، حيث يكون كل مفهوم يقتضي بالضرورة وجود العنصر الأخر، لكي يكتمل معنى إنسانية الإنسان، هذا ما يجب على التربية أن تبينه وتعلمه.

– حلقة الفرد– المجتمع– النوع:

إلى جانب حلقة الدماغ/ الفكر/ الثقافة، نجد علاقة ثلاثية أخرى، تساهم في تركيب الكائن البشري هي: حلقة الفرد/ المجتمع/ النوع، وعلى التربية أن تبين هذه الخاصية، من اجل الوصول إلى فهم جيد وواضح للشرط الإنساني.و يعد الإنسان عبارة عن تركيبة ثلاثية **trinité complexe** من المصطلحات، تتكامل فيما بينها، لتقدم نظرة واضحة عن طبيعة الكائن البشري، حيث سيتضمن كل من مصطلح منها، باقي المصطلحات، وليس الأفراد داخل النوع فقط، بل النوع أيضا داخل الأفراد، وليس الأفراد داخل المجتمع فحسب، بل المجتمع أيضا داخل الأفراد، بفعل غرسه إياهم ثقافته منذ ولادتهم، ويتمخض المجتمع عن التفاعلات بين الأفراد، ويتيح المجتمع للأفراد بتأثيره فيهم من خلال ثقافته، أن يصبحوا بشرا يأتم معنى الكلمة.[3] و يرى **موران**– أننا لا نستطيع إضفاء الطابع المطلق على الفرد وجعله الغاية العليا في الحلقة، كما لا يمكننا أن

[1]– ادغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة** ، ص 112.

[2]– ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 49–50.

[3] إدغار موران، **المنهج– إنسانية الإنسانية** ، ص 66.

نضفي الطابع المطلق على المجتمع آو النوع، لأنه على المستوى الانثروبولوجي يحيا المجتمع من اجل الفرد، الذي بدوره يحيا من اجل المجتمع، كما يحيا الفرد والمجتمع من اجل النوع، الذي هو أيضا يحيا من اجل الفرد والمجتمع، فكل طرف داخل هذه العلاقة يمثل الوسيلة والغاية في الآن ذاته.[1] وهكذا لا يمكن فهم تعقيد الظاهرة الإنسانية في انفصالها عن العناصر المكونة لها، لأن كل تطور حقيقي للإنسان يعني تطورا متلازما للاستقلال الذاتي للأفراد، وتطورا للمشاركة الجماعية، وتطورا للإحساس بالاستماع إلى النوع البشري.[2]

إذن يستحيل فهم الإنسان في اختزاله في عنصر الفردانية، أو في الطابع البيولوجي فقط، لأن هذا الثالوث يقوم على التضاد بالرغم من استكمال بعضه البعض، وعلى الرغم من تشابكه إلا أن بعضه لم يتم ادماجه في بعضه الأخر، هناك تضاد بين ذاتية الفرد والمركزية الاجتماعية، وطبعا هذا ما يشكل أساس التعقيد البشري.

-الوحدة المتعددة:

يرى **موران**- انه على التربية أن ترسخ في أذهان الأشخاص فكرة التنوع **diversité** بيولوجي في قلب الوحدة الإنسانية بقدر ما هناك وحدة دماغية ونفسية ووجدانية وعقلية، لذلك تتوحد الثقافات والمجتمعات الأكثر اختلافا في مبادئ منظمة مشتركة.[3]

من هنا لكي نفهم الكائن البشري يجب أن نتمثل وحدته في داخل تنوعه، وتنوعه داخل وحدته، لهذا ينبغي إدراك وحدة المتعدد وتعدد الواحد.

<< ثمة وحدة بشرية، وثمة اختلاف بشري، وهناك وحدة داخل الاختلاف البشري، وهناك أيضا اختلاف داخل الوحدة البشرية، والوحدة ليست في الصفات البيولوجية،

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 51.

[2]- ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني**>> ، ص 128.

[3]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 52-53.

والاختلاف ليس في الصفات النفسية والثقافية والاجتماعية، بل هناك اختلاف بيولوجي داخل الوحدة البشرية، كما هناك وحدة عقلية ونفسية داخل الاختلاف البشري.>>[1]

وفقا **ل-موران-** فوحدة النوع البشري لا تتعارض مع تعدده، كما أن فكرة التعدد لا تقضي بتاتا على فكرة الوحدة، ليكون الكائن البشري واحدا ومتعددا في الآن نفسه، إذ لا يمكن اختزال الوحدة البشرية إلى مصطلح أو معيار ورائي أو عقلي أو نفسي أو ثقافي، وينبغي أن ندرك وجود وحدة مركبة تتمثل في أن الوحدة تنتج التنوع والتنوع ينتج الوحدة، إذن على التربية أن تبرز مبدأ الوحدة والتنوع في جميع المجالات.

1- المجال الفردي:

كل فرد في نظر **موران-** يعبر عن علاقة جدلية بين الوحدة/ والتنوع على الأصعدة الجينية والفيزيولوجية سمات النوع البشري وفي نفس الوقت يتميز بخصوصيته الجينية والتشريحية، كل كلئن بشري يحمل داخله خصائص دماغية وذهنية ونفسية ووجدانية، أنها في الوقت نفسه عبارة عن خصائص مشتركة بين جميع البشر.[2] هكذا يكون استخدام مفردة (الإنسان) لدليل على إمكانية تعريف الإنسان بوضوح ودقة ورائيا، وتشريحيا وفيزيائيا وعقليا، ويقال عادة " **البشر**" لأن الإنسان لا يظهر إلا من خلال أكثر الرجال والنساء اختلافا، ومن خلالهم تظهر السمات البشرية الأساسية.[3] معناه هناك وحدة وتنوع دماغي ونفسي وثقافي، حيث أن كل فرد يحمل في داخله خصوصيات مشتركة بين البشر وفي نفس الوقت خصوصيات تجعله يتميز عنهم.

---

[1]- ادغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 81.

[2]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 52.

[3]- إدغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 78.

2-المجال الاجتماعي:

إن ما يوحدنا يفصلنا في نظر **فيلسوفنا**- بدء في اللغة، فنحن توائم في اللغة ومنفصلون في اللغات، ومتشابهون في الثقافة ومختلفون في الثقافات، وما قد يتيح الفهم يثير عدم الفهم، وذلك عندما لا نرى سوى الاختلاف، ولا نرى العمق الانتروبولوجي المشترك.[1] إذن على مستوى المجال الاجتماعي نجد أنفسنا أمام وحدة/ تنوع الألسن، مما يجعل منا توائم في اللغة ومختلفين في الألسن، وكما هناك وحدة/ تنوع يخص التنظيمات الاجتماعية والثقافية.

ج- التنوع الثقافي وتعدد الأفراد:

تتخذ الثقافة حسب **موران**- صيغتين، فنحن نقول الثقافة بصيغة المفرد، ونقول الثقافات بصيغة الجمع، والثقافة تتشكل من الأفكار والقيم والمعتقدات والعادات والأساطير التي تنتقل من جيل إلى أخر، حيث يعيد إنتاجها كل فرد، من اجل الحفاظ على التناسق الاجتماعي.[2] لكن لا يمكن تعريف الثقافة البشرية من خلال تلك السمات التي ذكرناها، لكن يقال (الثقافات) لان الثقافة لا وجود لها إلا من خلال الثقافات. لا يوجد مجتمع بشري قديم أو حديث بدون ثقافة، لكن لكل ثقافة تميزها، لتكون العلاقة بين وحدة الثقافات وتنوعها أمر جوهري، وتشكل الثقافة الموروث الاجتماعي للإنسان، وتغذي الثقافات الهويات الفردية والاجتماعية وما تحمله من خصوصية، لهذا يمكن للثقافات أن تكون غير مفهومة بالنسبة إلى الثقافات الأخرى.[3]

بناء على هذا التصور تشكل ازدواجية الوحدة والتعدد أمرا حاسما بالنسبة للثقافات، فالثقافة تحافظ على الهوية الإنسانية في خصوصيتها، أما الثقافات فتحافظ على الهويات

[1]- إدغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ص 81.

[2]- إدغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني**>> ، ص 128.

[3]- إدغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 80.

الاجتماعية في ما يميزها. وهكذا يظهر أن الثقافات تنغلق على ذاتها من أجل حماية الهوية الخاصة، بالمقابل تقوم الثقافات بالانفتاح على الخارج من خلال إدماج الأفكار والعادات، لأن استيعاب عناصر ثقافية تنتمي إلى مجال أخر يؤدي إلى الاغناء والإثراء.[1]

من هنا ينظر **موران**- إلى الكائن البشري على أن واحد ومتعدد في الآن نفسه، يحمل كما سبق الذكر، الكون كله في داخله، لذا علينا إن نعترف بأن كل كائن بشري حتى ذلك الأكثر انغلاقا على ذاته، يجمل في داخله التعددية،حيث يعيش وجودا متعددا يتراوح بين الواقعي والخيالي. وهذا ما يعبر عن أساس التعقيد الإنساني.

إن دراسة التعقيد الإنساني حسب **موران** يجب أن يكون احد أهم مهام التربية، حيث عليها إن تبرز المصير المتعدد للإنسان، أي مصيره كنوع بشري، ومصيره كفرد ومصيره الاجتماعي والتاريخي، وكلها مصائر متكاملة.[2] إذن على التربية أن تدفعنا نحو الوعي بالشرط الإنساني المشترك لكل البشر، وكذا الوعي بغنى وضرورة تنوع الأفراد والثقافات والشعوب.

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 53.

[2]-المصدر نفسه، ص 56.

2-2- تعليم الفهم:

نحن نعيش في عالم مزدهر، تضاعفت فيه الترابطات بين البشر عن طريق التواصل الاجتماعي، إنه عالم الفاكس، والهواتف النقالة، والانترنت، مما سمح بتنامي روح التضامن بين الناس كافة، فأصبح التفاهم منطقا عرف تقدم كبير في مجال العلاقات الإنسانية، لكن بالمقابل يبدو أن اللافهم لا يزال يتقدم بالنحو الذي يتقدم فيه الفهم.

يعد **اللافهم l'incompréhension** مشكل أساسي يتحدد في العلاقات الإنسانية ويوجد في قلب العائلة، والعمل وفي الحياة المهنية ، كما يوجد داخل العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، والأديان، إذن هو مشكل يومي يؤدي في الأخير إلى الحقد والعنف، بالنهاية الحروب.[1] من هنا تحتاج المعرفة الاجتماعية إلى بعد " فهمي " لإدراك دلالات المواقف والأنشطة التي يعيشها وينجزها ويدركها ويتصورها الفاعلون الفرديون والاجتماعيون، وبشكل أوسع يمكن الفهم – وحده من تقدير حاجاتهم ورغباتهم ومقاصدهم وعلاقاتهم.[2]

هكذا يبدو مشكل الفهم مشكلا أساسيا بالنسبة للناس، وبهذا الصدد يمكن القول: من الواجب أن يكون هذا المشكل احد غايات التربية، ونذكر هنا أن تقنيات التواصل (الهاتف والانترنت) لا تحمل في ذاتها خاصية الفهم، إذ ثمة فرق بين أن نربي من اجل تحصيل الفهم في الرياضيات أو في مادة تعليمية أخرى، وبين أن نربي من أجل اكتساب الفهم الإنساني، هنا تتجلى الرسالة الروحية للتربية.[3] رسالة من شأنها أن تقوم بتعليم الفهم بين الناس، والذي هو الشرط الأساسي لتحقيق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية. ليتحدد مشكل الفهم في قطبين مزدوجين هما:

---

[1] – Edgar Morin, **la méthode– éthique** ,_op.cit , p 135.

[2] – إدغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة** ، ص 221.

[3] – ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 87.

-قطب أصبح كوكبيا، يتعلق بالتفاهم بين المتباعدين، حيث تضاعفت اللقاءات و العلاقات بين الأشخاص، بين الثقافات، وبين الشعوب المنتمية إلى ثقافات مختلفة.

-قطب فردي، يتعلق بالعلاقات بين المقربين، بحيث أصبحت هذه الأخيرة مهددة أكثر باللاتفاهم، لأن الحكمة القائلة: كلما كنا مقربين من بعضنا البعض تفاهمنا أفضل، هي فكرة ليست صحيحة إلا نسبيا، بل كلما كنا مقربين، قل تفاهمنا، لان التقارب يمكن أن يغذي كل أنواع سوء الفهم، وأشكال الغيرة والعدوانية. [1] إذن الفهم هو معرفة تعاطفية لمواقف الآخرين، ومشاعرهم، ومقاصدهم، وغاياتهم، تقوم أن صح التعبير على محاكاة نفسية تمكن من معرفة ما يشعر به الأخر، أو يتضمن الفهم إسقاطا للذات على الأخر.

أ-أنواع الفهم :

إن التواصل **la communication** بكل أشكاله في نظر **موران**- لا يؤدي إلى الفهم، فالرسالة عندما تكون مفهومة منقولة بشكل جيد من المرسل إلى المتلقي، فانه يسمح فقط بوضوح الخبر، ونشير هنا وان الوضوح يمثل الشرط الأول الضروري للفهم.[2] ويقوم الفهم على مستويين: المستوى الأول هو الفهم العقلي- الموضوعي، أما المستوى الثاني فهو الفهم الإنساني الذاتي.

1-الفهم العقلي: la compréhension intellectuelle

يتحدد الفهم العقلي في فهم معنى كلمة أو فكرة أو نظرة الغير حول العالم، وهذا الفهم دائما معرض للتهديد، أولا من طرف الضجيج الذي يؤدي إلى اضطراب عملية التواصل بين المرسل والمتلقي، يؤدي في الأخير إلى سوء الفهم، أو بالأحرى عدم الفهم، وهناك أيضا مركزية المفهوم- الذي يعلن في معنى، ويفهم في معنى أخر،دون تجاهل سوء

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 87-88.

[2] - Edgar Morin , **la méthode –éthique**_, p 136.

الفهم الناتج عن الأعراف والمعتقدات والأديان.[1] لهذا يكون الفهم العقلي يعني ضبط واستيعاب الرسالة أو النص وسياقه، والأجزاء والكل، الواحد والمتعدد.

يشترط الفهم العقلي في نظر فيلسوفنا– الوضوح والتفسير، وعملية التفسير تعني أن نعتبر موضوع المعرفة بمثابة شيء ما، وأن نطبق عليه كل الوسائل الموضوعية في المعرفة، وهذا ما يجعل من التفسير أمر ضروري بالنسبة للفهم العقلي والموضوعي.[2] ويدلنا كل هذا أن الفهم يجب أن يختلط من جهة بطرق التحقق (بالنسبة لإمكانات الوقوع في الخطأ أو عدم الفهم) من جهة أخرى بإجراءات التفسير. يقول **موران**– في هذا السياق:**<< إذا كان الفهم هو استيعاب المعاني الوجودية لموقف ما، أو لظاهرة ما، فان التفسير هو النظر في الشيء أو في حدث انطلاقا من أصله أو طريقته إنتاجه أو أجزائه أو عناصره التكوينية أو تشكيله وفائدته وغايته. >>**[3] بناء على هذا التصور يرتبط الفهم بالتفسير ارتباطا وثيقا، بحيث لا يوجد فهم بدون تفسير، بشرط ألا يخنق التفسير الفهم، لذا فالتفسير يكون كافيا من اجل الفهم العقلي والموضوعي المتعلق بأشياء مجردة أو مادية، لكنه غير كاف عندما يتعلق الأمر بالفهم الإنساني.

2– الفهم الإنساني:

الفهم الإنساني يتعلق بمعرفة الذات للذات **soi du connaissance**، ويقدم **موران**– مثال على ذلك: عندما أرى طفلا يبكي، فاني أفهمه ليس اعتمادا على قياس درجة ملوحة دموعه، بل اعتمادا على تجربتي الخاصة، بالغوص في أعماقي، واستخراج كل المعاناة التي عشتها في طفولتي، من هنا أجعل هذا الطفل متماهيا معي، كما اجعل نفسي متماهية معه، لذا فنحن لا ندرك الغير إدراكا موضوعيا، بل كذات أخرى تتطابق

[1] – Edgar Morin , **enseigner a vivre**, op.cit , p 51.

[2]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 88.

[3]– إدغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة** ، ص 223.

مع ذواتنا، انه أنا-أخر.[1] وفقا ل-**موران**- فان النظر في الوضع البشري، وجب علينا الخوف من أشكال الإفراط في عدم الفهم، فنحن نكرس فهمنا فقط لبعض زملائنا في الوطن والدين، في الحال أن هذا الفهم يجب أن ينفتح على جميع إخواننا البشر،كما يجب تجاوز الوجه الأسود للذاتية لأنها احتقار وحقد، والحال أن رفض الفهم لدي الآخرين هو رفض لذاتيتهم، بالتالي وجودهم.[2] لهذا يتضمن الفهم بالضرورة سيرورة مكونة من محاولة معرفة الغير، والسعي نحو التطابق معه، وبما أن الفهم هو دائما مسألة بين الذات والأخر، فانه من الضروري الانفتاح والتعاطف مع الآخرين، بالتالي الاعتراف بذاتية الأخر، واستقلاليتها.

ب-عوائق الفهم: les obstacles de la compréhension

على التربية اليوم أن تطرح مسألة عوائق الفهم، التي يرى **موران**- أنها كثيرة ومتعددة، بحيث يكون الغير دائما مهدد بعدم فهم كلامه أو أفكاره أو نظرتيه عن العالم. فهناك عوائق خارجية تتمثل فيما يلي:

- الضجيج الذي يشوش عملية نقل الخبر، ويؤدي غالبا إلى سوء الفهم.

- تعدد المعاني بالنسبة لمفهوم ما، والذي قد تقوله بمعنى ما، قد يعطيه الأخر معنى مغاير.

- ثمة عدم الفهم اتجاه القيم الأخلاقية والثقافية والدينية المختلفة بين شخص وأخر.

[1]- Edgar Morin, **enseigner a vivre** , p 52.

[2]- إدغار موران، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ص 225-226.

أما العوائق الداخلية الخاصة بالفهم بنوعيه الموضوعي والإنساني فهي متعددة، خاصة نزعة التمركز، التي تموضع ذاتها في مركز العالم، وتنظر إلى كل عنصر غريب أو بعيد شيء ثانوي لا معنى له.[1] وهي العوائق الداخلية في نظر **موران**- هي ثلاثة:

1- نزعة التمركز على الذات: égo- centrisme

يفترض قيام الذات في نظر موران- وجود فرد، لكن مفهوم الفرد لا يعني شيئا، إن لم يشتمل على مفهوم الذات، حيث ينبغي أن يكون التعريف الأول للذات في البدء بيو- لوجي، انه منطق التوكيد الذاتي للفرد الحي، وذلك باحتلاله مركز عالمه الخاص، وهذا ما يتفق حرفيا مع مفهوم الانوية، أن نكون ذاتا يعني أن نكون في مركز العالم لكي نكتسب المعرفة ونكون فاعلين،هذا ما يتضمن مبدأ الاستبعاد، حيث لا يمكن لأحد سوى الذات أن تشغله.[2] هذا الاستبعاد هو الذي يؤدي في الأخير إلى ظهور نزعة التمركز على الذات، حيث تؤدي هذه النزعة إلى الكذب على الذات، وبالتالي خداعها. وهذا شيء ناتج عن اللجوء إلى التبرير الذاتي، والى تزكية الذات، والميل نحو جعل الأخر مصدر كل الشرور سواء كان بعيد أو قريب لنا.[3] من هنا يؤدي الكذب على الذات إلى الاعتقاد أن الأنا تملك الحقيقة، ولا مجال لانتقادها، مما تؤدي إلى عدم فهم الذات وبالتالي عدم فهم الأخر. لان إخفاء عيوب الذات ونقائصها، يمنع من التسامح مع عيوب الغير، يقول موران- :

<< تتقوى نزعة التمركز على الذات عندما نطرح جانبا الاكراهات، التي كانت سابقا تفرض التخلي عن الرغبات الفردية المتعارضة مع رغبات الوالدين أو الزوجين، أما اليوم أضحى اللافهم يفتك بعلاقات الآباء بأبنائهم، والأزواج بأزواجهم، انه ينتشر في

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 89-90.

[2]- ادغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 90.

[3]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 90.

كل مكان مخلفا الاعتداءات والتصفيات النفسية للغير، وحتى في عالم المثقفين الذي من المفروض أن يكون عالما يحقق تفاهما أكثر، هو الأخر نجده أكثر فسادا بسبب تضخم الذات الذي يتنامى بسبب حاجة المثقف للتقديس وللمجد.>>[1]

هكذا أدت هذه النزعة إلى عدم فهم الذات وقبول أفكار وشخصية الأخر، مما ساهم في انتشار سوء التفاهم بين الشعوب. حتى وصل الأمر إلى اعتبار الأخر على انه تهديد لوجوده وشخصيته.

2- نزعة التمركز حول العرق والمجتمع:

ينظر **موران**- إلى نزعتي التمركز حول العرق، والتمركز حول المجتمع، أحد اكبر عوائق الفهم بين الأشخاص، لان كلتا النزعتين تؤدي إلى أنواع وأشكال مختلفة من الكره والعنصرية اتجاه الغير أو الأجنبي، والتي تصل في بعض الأحيان إلى نزع صفة الإنسان عن الأجانب. لأن الأفكار المسبقة في نظر فيلسوفنا- تعد أحد مسببات ونتائج عدم الفهم بين الأشخاص والمجتمعات، لأنها تقوم على أنواع التبرير العقلاني التي تعتمد على أوليات اعتباطية، وتبرير الذات بشكل جنوني والعجز عن النقد الذاتي، وكذا خلق الجحود والاحتقار.[2] إذن أضحى من الضروري على التربية أن تعلم الأشخاص كيفية تجاوز هذه النزعة التمركزية. وهذا التجاوز في نظره يستلزم حوار ثقافي- اجتماعي بين الأشخاص.

أن تجاوز نزعة التمركز حول العرق والمجتمع يتحقق بواسطة الحوار الثقافي بين المجتمعات، حيث يشترط هذا الحوار أولا: التعددية وتنوع وجهات النظر، لان كل مجتمع يتضمن أفراد مختلفين وراثيا وذهنيا ونفسيا وعاطفيا، أي مستعدين لتبني وجهات

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 90-91.

[2]- المصدر نفسه، ص 91.

نظر معرفية جد متنوعة، وثانيا: يقتضي الحوار الثقافي تبادلات ثقافية يتم فيها تبادل الأفكار والمعلومات والآراء، وهذا ما يعزز الانفتاح الفكري ويساهم في مواجهة التعصب والتمركز والتطرف.[1] من هنا على التربية أن تبين أن نزعة التمركز على العرق والمجتمع هي سبب رئيسي في عدم التفاهم بين المجتمعات، مما ساهم في انتشار الحقد والكره والنفور من الأخر، لذا ينبغي تجاوز هذه النزعة عن طريق الانفتاح على الأخر، و ترك الفكرة التي تقول أن ثقافة الأخر، تمثل تهديدا لثقافتي، بالعكس فالغير هو الذي يساعدني على فهم ذاتي والأخر.

ج- الفكر الاختزالي: pensée réductionnisme

الاختزالية عامة أسلوب يعني بتحليل الشيء إلى أجزائه وشرح خصائصه استنادا إلى خصائص وسلوك أجزائه، باعتبار أن أجزاء كيان أو نظام ما تحدد خصائص وسلوك النظام ككل.[2] ينظر **موران**- إلى هذا النمط المعرفي الاختزالي عائقا كبيرا أمام الفهم خاصة عندما يتعلق الأمر بالطبيعة البشرية، لان اختزال معرفة ما هو مركب في واحد فقط من عناصره، يؤدي إلى نتائج وخيمة في المجال الأخلاقي أكثر من المجال الفيزيائي.يقول:

<< هذا النمط المهيمن على المعرفة هو الذي يؤدي إلى اختزال شخصية متعددة في أحد خاصياتها، فإذا كانت هذه الشخصية ايجابية، فمعنى ذلك انه يتم تجاهل الخاصيات السلبية لهذه الشخصية، وإذا كانت سلبية، فمعنى ذلك أنه يتم تجاهل خصائصها الايجابية، وفي كلتا الحالتين نحن أما عدم الفهم. إذ يتطلب منا الفهم

[1]- عزدين الخطابي، **<<حوار الثقافات بين الكونية والخصوصية>>** ، ص 121.

[2].- داود خليفة، **ابيستمولوجيا التعقيد**، ص 46

مثلا، أن لا نختزل الكائن البشري في جريمة، أو حتى في جرائم عديدة اقترفها، نقول لا يجب علينا اختزاله في نزعته الإجرامية>>[1]

بالفعل فنحن عندما نذهب إلى السينما لكي نتفرج على فلم معين، نجد إنسان يقتل إنسان أخر، نقول عنه مجرم، لكن تسلسل عرض الأحداث يبين أن ذلك الرجل يحب زوجته، وأولاده، هنا تتغير نظرتنا إليه نسبيا، فينال منا بعض الاحترام، لذلك تقديم لقب المجرم للإنسان، يعنى وضعه في إطار ضيق، بالتالي مسح كل باقي شخصيته، وهذا يؤدي إلى عدم الفهم أو سوء الفهم. إلى جانب ذلك، إن استحواذ فكرة ما، أو إيمان معين علينا، يجعلنا نقتنع بحقيقته المطلقة، مما يؤدي إلى إلغاء كل إمكانية من اجل فهم فكرة مغايرة أو إيمان مغاير، أو شخص مغاير.

وفقا ل**موران**– فان عوائق الفهم متعددة ومتنوعة الإشكال، وأكثرها خطورة هي تلك التي تتكون من حلقة التمركز على الذات– التبرير الذاتي– خداع الذات، لأن خداع الذات يجد منابعه في التعدد المعقد للكائن العارف، ويكشف النقاب على اللعبة الغريبة للمخادعات والحيل والأوهام التي تعتمل في شتى ذواتنا، ليكون خداع الذات أكبر عائق أما الفهم.[2] هكذا تكون أنواع عدم الفهم العقلي منه والإنساني، الفردي منه والجماعي، تشكل عائقا جوهريا أمام تحسين العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، والشعوب والأمم. من هنا يستلزم الفهم العقلي فهم النص و سياقه، الكائن و بيئته، المحلي والكوني، أما الفهم الإنساني يستلزم فهم الذات، من اجل فهم ما يعيشه الأخر، ولأجل تجاوز عدم الفهم، لابد من فكر مركب، فكر بإمكانه معرفة أسباب عدم الفهم، بالتالي تقديم مبادئ الفهم الجيد. [3]

---

[1]– إدغار موران، **تربية المستقبل** ، –ص 91–92.

[2]–إدغار موران، **المنهج– معرفة المعرفة** ، ص 335–336,

[3] – Edgar Morin, **enseigner a vivre** , p 57.

خلاصة القول ، باختصار يعتبر الفهم في نفس الوقت وسيلة وغاية التواصل الإنساني، فلا يمكن أن يكون هناك تقدم في مجال العلاقات بين الأفراد ، والأمم، والثقافات، بدون فهم متبادل، ولفهم الأهمية الحيوية للفهم، يجب إصلاح العقليات، الشيء الذي يستلزم بطريقة متناظرة إصلاح التربية، أي وضع برامج تعليمية، تأخذ بعين الاعتبار مسألة الفهم، بالتالي تعليم أسباب عدم الفهم، وتقديم الحلول اللازمة لتجاوز هذه الأزمة.

2-3- تعليم الهوية الأرضية:

يعد تعليم الهوية الأرضية **identité plantaire** أحد الرهانات الأساسية للتربية المستقبلية في **نظر ادغار موران**- حيث يؤكد أن المصير الكوكبي البشري هو المصير الذي لم يكن أبدا كوكبيا مثلما هو عليه الآن، وهو الغائب كليا في أنظمتنا التعليمية، لذا ينبغي أن تصبح المعرفة منوطة بمستجدات العصر الكوكبي والاعتراف بالهوية الأرضية كإحدى المواضيع الجوهرية للتعليم، كما يجب تعليم تاريخ العصر الكوكبي الذي بدأ مع تواصل القارات فيما بينها، بالمقابل يجب على التعليم أن يبين كيف أصبحت مناطق الكرة الأرضية متداخلة ومتضامنة فيما بينها، دون الإغفال عن أنواع الهيمنة التي دمرت ولازالت تدمر البشرية حتى الآن.[1]

ولكي يستطيع الإنسان أن يفكر في المشاكل الراهنة لزمانه هذا، عليه حسب **موران**- أن يفهم في نفس الوقت معنى الشرط الإنساني في العالم، ومعنى شرط العالم الإنساني، الذي أصبح خلال التاريخ الحديث، عبارة عن عصر كوكبي **planétaire** ، لقد دخلنا منذ القرن السادس عشر في العصر الكوكبي، وها نحن قد وصلنا مع نهاية القرن العشرين إلى مرحلة **العولمة** * التي تعني كما عبر عن ذلك العالم الجغرافي **جاك ليفي** *jak levy " انبثاق جديد: انه العالم كما هو فعلا" ، لكن كلما كنا خاضعين للعالم صعب علينا الإمساك به، ففي زمن الاتصال عن بعد (الأخبار والاتصال) تدفقت الأخبار والمعلومات حول العالم مما جعلنا نفقد القدرة على إضفاء المعقولية عليه.[2]

إننا في عصر المشاكل والأزمات والتناقضات، ومعرفته، معرفة جيدة أمر في غاية الصعوبة، نتيجة نمط تفكيرنا الذي نزع عنا إمكانية وضع الأمور في سياقها الشمولي،

---

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 17.

- *مصطلح معاصر يفيد جعل العالم قرية صغيرة، وأساسها التواصل الفعال بين الشعوب، ثقافيا، اقتصاديا وسياسيا.

* جاك ليفي جغرافي وباحث وأستاذ جامعي من مواليد 1952 في باريس ، فرنسا مهتم بالدراسات الجغرافية.

[2]- المصدر نفسه ، ص 57.

بالمقابل فالعصر الكوكبي يقتضي منا أن نفكر في شمولية هذا العصر، وفي علاقة الأجزاء بالكل، أي في أبعاده المتعددة وبنيته المركبة.

إذن معرفة هذا العصر تستلزم إصلاح فكري متعدد التمركزات، يكون قادر على تبني رؤية كونية، ليست مجردة، بل رؤية واعية بوحدة/ بتعدد الشرط الإنساني، انه تفكير متعدد التمركزات يتغذى من مختلف ثقافات العالم، تلك هي غاية التربية التي يجب أن تعمل في العصر الكوكبي على تشكل الهوية والوعي الأرضيين.[1]

أ-العصر الكوكبي:

لقد عرف التاريخ الإنساني، تشتت كوكبي للجنس البشري، حيث كانت القارات والشعوب متباعدة عن بعضها البعض، وهذا التشتت في نظر **موران**- لم يحدث انشقاقا وراثيا، ذلك أن مختلف الأجناس: الأقزام، السود والبيض، الهنود، كلها منحدرة من نفس النوع، وتتوفر على نفس الطباع الأساسية الخاصة بالإنسانية، لكن أنتج هذا التشتت تعددية هائلة في الألسن، في الثقافات، المصائر، هذه التعددية هي التي كانت مصدر الابتكارات والإبداعات التي حصلت في جميع الميادين، إذا أن كنز الإنسانية يكمن في تعدديتها الخلاقة، لكن إبداعيتها يكمن في وحدتها المخصبة.[2]

ولكن مع بداية العصور الحديثة، دخل العالم في عصر كوكبي جديد، بدأ في جمع أجزاء هذا التشتت البشري، يقول **موران: << ظهر العصر الكوكبي في القرن التاسع عشر، في اللحظة التي بدأ فيها انتشار التكنولوجيا، والسلاح، والامبرياليات الغربية، تكتسح الكرة الأرضية، وفي القرن العشرين عملت الحربان العالميتان في الآن الواحد على تمزيق العالم وعلى توحيده، وانطلاقا من الآن أصبح الثوب الأول الرابط لتأسيس**

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل**، ص 58.

[2]- المصدر نفسه، ص 59.

الجسم الأرضي الكبير منسوجا ومعاد النسيج بفعل مليارات التواصلات، والترابطات والتأثيرات المتبادلة. >>[1]

وفقا **لموران**– فقد عمل القرن العشرين على خلق نسيج كوكبي موحد، عمل في الآن نفسه على تجزئة العالم، إلى أجزاء معزولة، وشائكة، كما دخلت في صراع مع بعضها البعض، إذ ظهرت دول مهيمنة على المشهد العالمي، هي إما دول جبارة متوحشة أو مزاجية، أو دول قوية وضعيفة، وفي نفس الوقت فالتدفق التقنو–صناعي يميل نحو القضاء على التعددية البشرية، والثقافية، كما أن التنمية في حد ذاتها خلقت مشاكل أكثر مما قدمت من حلول، وأدت إلى الأزمة العميقة للحضارة.[2] بالفعل أصبح العالم أكثر فأكثر عبارة عن شيء واحد، لكنه غدا في نفس الوقت مقسما أكثر فأكثر، هذه هي مفارقة العصر الكوكبي في نظر **موران**– إذ أن هذا العصر هو الذي عزز وأدى إلى هذا التقسيم المعمم إلى الدول.

من هذا المنطلق يرى **موران**– أن العالم اليوم يعيش أزمة كوكبية، متعددة الاتجاهات، تحتاج إلى تنمية شاملة، تسعى إلى عقلنة الكوكب، وتحديد المصير المشترك لكل الشعوب بدون استثناء، هذه العقلنة التي لا يمكن فهمها خارج نطاق النظرة المركبة عن العالم والإنسان، مما يستلزم تربية وانظمه تعليمية، قادرة على أبراز السمة الأساسية لعصرنا الراهن، بالمقابل تعليم كيفية مواجهة الأزمات الكوكبية التي تهدد مستقبل المجتمع العالمي.

[1]– ادغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، تر: احمد العلمي، دار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1، 2009، ص 44.
[2]– المصدر نفسه، ص 45.

ب-الهوية الأرضية الوعي الأرضي:

إن وحدة الكوكب في نظر **موران**- هي الحد الأدنى في المطلب العقلاني، المتعلق بعالم مترابط الأجزاء، تحتاج هذه الوحدة إلى وعي وإحساس بالانتماء المتبادل، الذي من شانه ان يجعلنا نرتبط بأرضنا بما هي الوطن الأول والأخير. وإذا كان مفهوم الوطن يتضمن هوية مشتركة بين الناس، نابعة عن علاقة انتساب إلى جوهر أبوي أو أمومي في نفس الوقت (متضمن في الدلالة الذكورية والأنثوية لمصطلح الوطن)، وإذا كان مفهوم الوطن يحيل على مصير مشترك بين الناس، فبإمكاننا الحديث عن مفهوم الأرض- الوطن.[1]

إذن نحن جميعا نمتلك هوية مشتركة، على الصعيد الوراثي والدماغي والعاطفي، من خلال اختلافاتنا الفردية والاجتماعية والثقافية، في الأخير نستطيع تحديد هويتنا، بالقول إننا نتاج لما طرأ من تطور مستمر على الحياة، من هنا يكون مصير الشعوب مهما كان انتسابها العرقي، مصير كوكبي مشترك. وهنا يجب على الأنظمة التربوية حسب **موران**- ألا تغفل عن تعليم هذه الحقيقة.

<< علينا أن نتعلم كيف نكون هنا فوق الكوكب، أي نتعلم كيف نعيش، كيف نتقاسم الأشياء بيننا، وكيف نتواصل، وكيف نتوحد فيما بيننا، هذا شيء نتعلمه فقط من خلال ثقافتنا الخصوصية، بينما يتعين علينا من الآن فصاعدا أن نتعلم كيف نعيش، وكيف نتقاسم الأشياء ، وكيف نتواصل، وكيف نتوحد فيما بيننا باعتبارنا أناس ينتمون لكوكب الأرض.>>[2]

يجب على التربية أن توضح فكرة أساسية تتمثل في أن الانتماء الإنساني لا يقتصر على الانتماء الثقافي فحسب، بل يجب على كل واحد منا أن يشعر بوجوده ككائن

[1]-إدغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 74-75.

[2]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ،ص 69.

ارضي، يطمح لا إلى السيطرة على الأرض، بل نحو توفير سبل العيش فيها، نحو فهمها، بالتالي علينا أن نرسخ بداخلنا ما يلي:

-الوعي الانثروبولوجي: والذي يعترف بوحدتنا في إطار تعدديتها.

-الوعي الايكولوجي: أي الوعي بأننا نعيش مع كل الكائنات الفانية داخل نفس المحيط الحيوي، إن الاعتراف برباط التعايش مع المحيط الحيوي سيجعلنا نتخلى عن ذلك الحلم الطامح نحو السيطرة على الكون، وبالعكس العمل على التعايش داخل كوكب الأرض.

-الوعي المدني الأرضي: يعني الوعي بالمسؤولية والتضامن مع أطفال الأرض.[1]

من هنا أضحى من الضرورة في نظر فيلسوفنا- التخلي عن الفكرة النرجسية التي لطالما أقامت تعارض بين الكون ككل، وبين مختلف الأوطان، بل يجب علينا الربط بين أوطاننا العائلية والمحلية والأممية، والعمل على دمجها داخل الكون الأرضي.[2] و لا يعني هذا بناء مستقبل يتعارض مع الماضي المليء بالاكراهات والشعوذات، لأن كل ثقافة لها حكمتها وتجاربها وفضائلها، كما لها عيوبها وجهالاتها، بالمقابل يكون الاعتراف بالماضي احد الأمور التي تجعل البشر يملكون القدرة على مواجهة الحاضر، والسعي الى بناء مستقبل أفضل على حد قول **موران**-:

<< البحث عن مستقبل أفضل يجب أن يكون شيئا مكملا، لا متعارضا، مع الاعتراف بالماضي، على كل كائن إنساني، وعلى كل جماعة بشرية أن تجعل حياتها ترتوي من هذا التنقل المستديم بين ماضيها، تمتح منه هويتها، عبر تشبثها بأصولها، وبين

[1]-إدغار موران، **المنهج- إنسانية الإنسانية** ، ص 70.

[2]- إدغار موران، **إلى أين يسير العالم** ، ص 46.

حاضرها الذي تؤكد فيه على حاجياتها وبين مستقبل تسقط عليه تطلعاتها ومجهوداتها.>>[1]

يقوم هذا المستقبل الأفضل حسب **موران**- على عالم أو كون متحد، يكون متعدد المراكز، غير متمركز على المستوى السياسي والثقافي،أين يتحول العالم من التفكك نحو الترابط، إلى حكمة التعايش مع بعضنا البعض،حيث نطور فينا الميل نحو الوحدة، والتنوع، مقابل هذا النزوع نحو التجانس والانغلاق، لذا يجب علينا التمازج مع الغير داخل سيرورة كوكبية تعمل على تنمية الهوية المتعددة، والتي من شأنها أن تدمج بداخلها كل من الهوية العائلية والهوية المحلية والقارية، والوطنية، والهوية الأرضية، أي تكوين الهوية الإنسانية المركبة.[2]

وهكذا يكون البشر ملزمون على تحقيق هوية أرضية، أو إنسانية كوكبية، وهذا يتحقق عن طريق التحضر والتضامن في الأرض، وتحويل النوع البشري إلى إنسانية حقة، بحيث يجب علينا الوعي بإنسانيتنا التي تقودنا نحو التضامن والتعاطف المتبادل لكل واحد منا اتجاه الأخر، وهذا هو الهدف الأساسي لكل تربية متطلعة نحو الحفاظ على بقاء الإنسانية.

في الأخير نصل إلى القول أن فلسفة **ادغار موران**- التربوية تعبر عن مسار طويل من البحث في هذا المجال، حيث نظر إلى التربية على أنها مفتاح الوصول إلى عالم ومستقبل أفضل للبشرية، حيث كان يهدف من خلال أبحاثه التربوية تطبيق فلسفة المركبة ، اعتمادا على توظيف مفاهيمه الجديدة عن الإنسان والمعرفة، ليحصر وظيفة التربية في بعدين أساسين: هما البعد المعرفي، والبعد الإنساني.

---

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 70.

[2]- المصدر نفسه ، ص 71.

نتائج الفصل الثالث:

-على التربية أن تعلم المعرفة المركبة، معرفة تعترف بالطابع المركب لكل من العالم والإنسان، وهما موضوعات الفكر الإنساني.

- على التربية أن تكشف عن العمى المعرفي، عن طريق إبراز المصادر الأساسية للأخطاء والأوهام، ومحاولة إيجاد علاج ناجع لها.

- على التربية أن تقدم المبادئ المعرفية الملائمة، تلك المبادئ تتمثل في : المركب، السياق، الشمولي، والمتعدد الأبعاد.

- على التربية أن تعلم التلميذ، أو الطالب وجود اللايقين، وتعلمه كيفية مواجهتها.

-تعليم الشرط الإنساني ضروري في كل تربية مستقبلية، والهدف من ذلك جعل غاية التربية إنسانية الإنسانية، وبالتالي القضاء على النزعة التمركزية والتعصب والتطرف.

- يجب على التربية أن تعلم الفهم، لأنه أساس تماسك المجتمعات والأمم، والتواصل يجعل من الشعوب والثقافات المتعددة، تدخل في قرية واحدة يسودها التضامن والتعايش السلمي.

- يجب على التربية إن تراعي مسألة الهوية الكوكبية، وتحد من طغيان الهوية الجهوية التي تعد سبب تنامي روح القومية، التي تؤدي في النهاية إلى الحروب والأزمات، بالمقابل فالهوية الأرضية تجعل من الشعوب تتفطن إلى أن مصير الإنسانية مشترك، لان الهوية البشرية هي شخصية وكونية في نفس الوقت.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: الفكر المركب بين التجلي والمأمول

1- الفكر المركب محل الفكر التبسيطي

2- الأفاق المستقبلية للفكر المركب

3- التربية في أفق التعقيد والمأمول منها.

ينطلق **موران**– من فكرة أساسية مفادها، إن المشكلات الإنسانية هي متعالقة بعضها البعض في الزمان والمكان، بينما الأبحاث التخصصية تعزل المشكلات بعضها البعض، بالفعل حدث وعي بالمحيط والتطور أدى إلى تشجيع الأبحاث متعددة التخصصات، لكن نتيجة هذا الأمر كانت هزيلة، لان المهن وأنظمة التقسيم قد تمت في إطار التخصصات.

إن إمكانية التفكير وحق التفكير أمران يلقيان الرفض بالمبدأ نفسه الذي يحكم التنظيم التخصصي للمعارف، حيث كان الذكاء المجزأ والمقسم والمختزل يفتت مركب العالم إلى أجزاء منفصلة ويحل الترابط ويصير المتعدد الأبعاد أحادي البعد، وهو ذكاء قصير النظر، ينتهي به المطاف في اغلب الأحيان إلى العمى، لذا كلما ازدادت أبعاد المشكلات، زاد عجزنا عن تفكير الأزمة، وكلما صارت المشكلات كوكبية، عجز الذكاء الأعمى عن تصور السياق والمركب الكوكبي، فصار لا واعي وغير مسؤول، لقد صار جامدا ليس فيه حياة.[1] من هنا نستنتج حسب **رأي موران**– انه لا يمكن تصور حل ومعالجة مشكلات العالم والمعرفة والإنسان من غير فكر قادر على ربط المفاهيم المنفصلة والمعارف المجزاة، لان المعارف التي تجعلنا نكشف الأرض– الوطن، والأرض النسق، والأرض–الغاية، ليس لها معنى مادامت منفصلة عن بعضها، حيث يقول:

<< لنكرر القول أن الأرض ليست جماع كوكب مادي ومحيط حيوي وبشرية، بل الأرض كلية مركبة مادية وحيوية وبشرية ، واناسية.>> [2] نفهم من هنا أن معالجة المشاكل الكوكبية ، يحتاج إلى نموذج فكري جديد، كبديل للنموذج التبسيطي الذي سيطر على العقل الغربي لمدة طويلة، براديغم مركب يعمل على الربط بين التخصصات، من اجل القدرة على التفكير في مشاكل العالم والإنسان الراهنة، وهنا عمل **موران**– على تقديم نموذج فكري جديد، مهمته مساعدة الإنسان على التفكير في مشاكل عصره، وكذا البحث

[1]– إدغار موران، **هل نسير الى الهاوية؟**، ص 56.

[2]– المصدر نفسه، ص 59.

في باء مستقبل أفضل للبشرية. وهنا نتساءل: **ما هي الأفاق المستقبلية التي يأمل فيها موران من جراء الفكر المركب؟**

1- الفكر المركب محل الفكر التبسيطي

1-1- نحو وحدة العلم:

كان العقل الغربي ضمن المنظومة الفكرية الكلاسيكية يعزل ويفصل العلوم إلى تخصصات متناثرة، منفصلة بعضها عن البعض، الأمر الذي أدى في النهاية إلى اعتلال الحضارة الغربية على المستوى العلمي والفلسفي، التبسيطية كانت تدرس الظواهر عن طريق تجزيئها واختزالها، وقد كان هذا التجزأ لا يقتصر فقط على بعضها البعض، بل أيضا تعزلها عن محيطها وملاحظها، وبنفس القدر كان الفكر التجزيئي يعزل التخصصات عن بعضها البعض.[1]

ليأتي **موران**- ويقترح الفكر المركب كبديل للفكر التبسيطي، وكانت غايته الأساسية تحقيق وحدة العلم والمعرفة، حيث اشتغل على إمكانية وضرورة وحدة العلم، واجتثاث العلوم المعرفية من دائرة التخصص الفائق، أين حصرته المنظومة الكلاسيكية، بالفعل عمل العلم التقليدي على تجزئة العلوم إلى تخصصات، حيث يهتم كل تخصص بموضوع خاص به. يقول: " على كل حال فنحن نحتاج إلى مبدأ تفسيري أكثر ثراء من مبدأ التبسيط (التجزيئي/ الاختزالي)، وهذا ما يمكن أن نسميه مبدأ التعقيد **principe de complexité** الذي يتأسس على ضرورة التمييز و التحليل مع البحث عن إمكانية الربط بين ما تم تمييزه وتقسيمه بين الموضوع ومحيطه، بين الشيء الملاحظ وملاحظه."[2]

لهذا ارتأى **موران**- إلى البحث عن إمكانية تحقيق وحدة العلم، غير أنه يشير أن هذه المهمة تبدو في غاية الصعوبة، أو بالكاد تكون مستحيلة، بسبب تراكم عدد لا يحصى من المعطيات داخل التجويفات التخصصية الضيقة والمنغلقة أكثر فأكثر.

---

[1] - Edgar Morin, **science avec conscience** , op.cit , p 26

[2] - Ibid. p 27

<< إنها مستحيلة داخل الإطار الذي تبدو فيه التخصصات الكبرى تطابق جواهر ومواد متناثرة (الفيزيائي، والبيولوجي و الانتروبولوجي) >>.[1]

ينظر **موران**– إلى توحيد العلم والمعرفة كمبدأ أساسي للفكر المركب، ولكن لا يكون لمثل هذا التوحيد معنى إذا ما كان اختزاليا، أي عندما يختزل في مستوى التنظيم الأكثر بساطة، ظواهر التنظيم المركبة، غير أن التوحيد يمكن أن يكون له معنى أذا كان قادرا على أن يدرك الوحدة والتعدد والتنوع والاستمرارية في نفس الوقت.

يمكن تحقيق الوحدة والتنوع داخل النسق، لان الكل يتحدد وفق التنظيم الذاتي الذي يطال العناصر المكونة للكل، وهذا التنظيم يعبر عن الوحدة، وهنا يشير موران– إلى ضرورة فكرة النسق، وكذا تعميمها على مختلف التخصصات، **<< النسق هو مجموع يتكون من أجزاء مختلفة عن بعها البعض، و الأكثر من ذلك هناك وحدة داخل التعدد و تعدد داخل الوحدة، ليعبر النسق عن كيان معقد ومركب، وأنا استخدم كلمة التنظيم أكثر من النسق، لان التنظيم هو الذي يحول مجموع الأجزاء إلى كل. >>** [2]

من هنا نفهم أن تحقيق وحدة العلم تستلزم تجاوز التخصصات المعرفية ، وأي نظرية إذا أرادت أن تكون أساسية عليها أن تتفادى دائرة التخصص، لهذا يقترح **موران**– الفكر المركب كسبيل لتحقيق هذه الوحدة، انطلاقا من الفكرة الأساسية أن المركب يعترف بالوحدة والتنوع في ألان نفسه، عكس الفكر الاختزالي الذي يرى إما الوحدة وإما التعدد، وكان على جهل أن الواحد يمكن أن يكون متعدد في نفس الوقت.

يتصور موران– الفكر المركب على انه فكر الربط بين المعارف، بالتالي وضع الحد للتخصص الذي شمل جل العلوم المعرفية، لاقتناعه أن التخصص يمثل سبب اللايقين

---

[1] – إدغار ر موران، **مدخل الى الفكر المركب**، ص 52.

[2] – Edgar Morin, **penser global**_, op.cit , p 115.

والثغرة والفتحة في مفهوم العلم، حيث أن كل ادعاء بتعريف العلم هو ادعاء غير علمي، يقول موران:

<< أصرح اليوم بأن العلم أصابه العمى بسبب التخصص، العمى الذي يظهر في عجزه عن أن يدمج و يمفصل وان يفكر في معارفه الخاصة، وإذا كان الفكر البشري غير قادر على إدراك المجموع الهائل للمعرفة التخصصية، آنذاك إما يجب تغيير الفكر البشري، وإما تغيير المعرفة المجزأة إلى تخصصات>>.[1]

تفترض وحدة العلم الجديدة في نظره، عودة المقولات المطرودة في القرنين الثامن والتاسع عشر، التي تعاود الاندماج في مختلف تخصصات العلوم، و يتعلق الأمر هنا بحضور المصادفة **le hasard** ولكن بدمجها سواء في خاصية اللاتوقع، أو الحدث، حيث يتماثل خاصيتها الجذرية ومتعددة الأبعاد بوصفها مفهوما غير قابل للاختزال. وكما كان معلوم فقد رفض العلم الكلاسيكي الحدث والمصادفة والفردي، وكل محاولة لإعادة دمجها لم تكن لتبدو إلا مضادة للعلم في إطار المنظومة القديمة.[2] و هكذا فالعلم الجديد يقترح ببساطة أن يكون الموضوع ملائما للعلم، وعلى العلم أيضا أن يكون ملائما بموضوعه. والعلم الجديد لا يدمر البدائل الكلاسيكية، انه لا يأتي بحل أحادي سيكون بمثابة جوهر للحقيقة، غير أن الفكر المركب يقدم علما قائما على مفاهيم متنافسة ومتناقضة، لكنها في نفس الوقت متكاملة داخل رؤية أكثر اتساعا عليها أن تواجه بدائل جديدة.

في النهاية يدعو **موران** – إلى ضرورة تغيير البراديغم الذي يحكم أفكارنا، بالتالي الانتقال من المنظومة الاختزالية إلى منظومة الفكر المركب، منظومة تفتح المجال أمام الوحدة والتعدد، الاختلاف، الصدفة، الاختلال، اللايقين والتناقض،يقول: **<< نحن في زمن**

[1] – إدغار موران ، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 53.

[2] – المصدر نفسه، ص 54. –

بحاجة إلى تغيير البراديغم، يستبدل الفصل والعزل والاختزال، بالربط والجمع، بمعنى التمييز والربط، وهذا ما اسميه براديغم التعقيد، كبديل لمنظومة التبسيط.>>[1]

في الأخير ، يمكن القول أن الفكر المركب الذي يقترحه **موران**– كمنظومة جديدة ترفض كل عمليات الفصل والعزل والتجزيء بين الذات والموضوع، وبين مجالات العلوم المعرفية، بالمقابل يدعوا إلى ضرورة ربط الصلة بين مختلف العلوم، من اجل التأسيس لمعرفة المعرفة.

[1] - Edgar Morin, **penser global**, p 127.

1-2- استشراف المستقبل

أن استشراف المستقبل والتنبؤ به أمر في غاية الصعوبة، بسبب التصور التبسيطي الذي كان يقوم على تشتيت المعارف إلى أجزاء متناثرة، هكذا أضحى النموذج الاختزالي عاجزا عن التعبير عن سيرورة التاريخ، والمصير الذي يسير إليه العالم، لذلك يقترح **موران**- الفكر المركب كبديل للفكر التبسطي، حيث يعتقد انه يمثل المفتاح الأساسي في استشراف المستقبل، بمعنى استشراف مصير الإنسان والعالم في المستقبل، وهذه المهمة تمثل الغاية النهائية التي يجب على المفكرين البحث عنها، كونها تعبر عن مصير الإنسانية في عالم متعدد الأبعاد، يتعقد أكثر فأكثر، فالفكر التبسيطي قام على الذكاء المجزأ والمختزل يفتت مركب العالم إلى أجزاء منفصلة، ويقسم المشكلات ويحل الترابط ويصير المتعدد الأبعاد أحادي البعد، وهو ذكاء قصير النظر وبعيده، وينتهي في بعض الأحيان إلى العمى.[1]

ويقصد **موران**- بقصر النظر استحالة معرفة الحاضر والتنبؤ بالمستقل انطلاقا من هذا النمط التبسيطي، هذا ما يستلزم إعادة ربط ما شتته العلوم المعرفية. " يتعلق الأمر الآن بإعادة ربط ما شتته علوم الإنسان والعلوم الكلاسيكية، وهو مشروع هائل يعبئ كل المعارف المتوفرة، ويتطلب وضع أنماط جديدة في التفكير." [2]

من هنا يشكل الفكر المركب نقطة انطلاق نحو فعل أكثر ثراء، واقل تشويها: **<< إني اعتقد بشكل عميق أن كل فكر، بقدر ما يكون اقل تشويها، بقدر ما سيقل تشويهه للبشر، يجب أن نتذكر أنواع الخراب التي أحدثتها الرؤيات التبسيطية، ليس فقط في العالم الفكري، ولكن أيضا في الحياة، فكثير من المعاناة التي يخضع لها ملايين البشر سببها الفكر المقطع والأحادي البعد>>.** [3]

---

[1] - إدغار موران، **هل نسير إلى الهاوية؟**، ص 56.

[2] - ادغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 6.

[3]- إدغار موران، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 83.

لقد كانت النظرة الاختزالية لدى مفكري الفكر التبسيطي، تحاول استشراف المستقبل عن طريق المعلومات المتحصلة عن الماضي والحاضر، انطلاقا من فكرة أساسية مفادها أن الماضي معلوم علما يقينيا، وان الحاضر بطبيعة الحال معلوم، وان أساس مجتمعاتنا ثابت، وان المستقبل سينبني على هذه الأسس المتينة، بالتالي إمكانية التنبؤ بالمستقبل.[1] وهذا التصور في نظر موران- يعبر عن السذاجة التي تختفي وراء أفكار تقوم على العملية الخطية لسيرورة التاريخ الفكري، يقول فيلسوفنا-:

<< إن المشتغلين باستشراف المستقبل شيدوا مستقبلا خياليا انطلاقا من حاضر مجرد، فالحاضر الزائف المسمن بالهرمونات حل، بالنسبة إليهم، محل المستقبل، والأدوات الفضة والباترة التي كانت تساعدهم على إدراك الواقع وتصوره أعمت بصيرتهم لا عن رؤية ما ليس متوقعا فحسب، بل وعم رؤية ما هو متوقع.>>[2]

من هنا يدعو **موران**- إلى ضرورة التخلي عن النظرة التي تقيم علاقة خطية بين أبعاد الزمان: الماضي والحاضر والمستقبل، في حين أن العلاقة ارتدادية، حيث تقوم معرفة الحاضر على معرفة الماضي، التي بدورها تقوم على معرفة الحاضر.

يقوم التصور المركب على فكرة مفادها أن هناك دائما عملية تفاعل تبادلي بين الماضي والحاضر، حيث أن الماضي لن يساهم في معرفة الحاضر فحسب، وهو أمر بديهي، بل أن تجارب الحاضر تساهم على معرفة الماضي، ومن هنا تعمل على تغييره، إذن الماضي يتشيد انطلاقا من الحاضر الذي ينتقي ما يبدوا في نظره تاريخيا، أي بالضبط ما تطور في الماضي ليسهم في إنتاج أو صناعة الحاضر.[3] وهنا يشير فيلسوفنا- إلى أن اكبر وهم وقع فيه الإنسان يتمثل في الاعتقاد أنه يعرف الحاضر، لأنه موجود فيه، كما

---

[1] - ادغار موران، **إلى أين يسير العالم** ، ص 9.

[2] - ادغار موران، **<<أزمة المعرفة>>**، تر: جاد مقدس ، مجلة الاستغراب، العدد 1 ، 2015، ص56.

[3] - المصدر نفسه، ص .10

أن أول عائق يصادف المفكر أثناء التفكير في المستقبل هو عائق التفكير في الحاضر، لان العمى أمام الحاضر، يضعنا في العمى أمام المستقبل.[1]

لذا فمعرفة الحاضر ضرورية لكل عمل يريد توقع واستشراف المستقبل، لكن قد لا يكتفي التفكير في الحاضر بشكل صحيح، لكي نكون قادرين على استشراف المستقبل، من الأكيد أن حالة العالم الحاضر تتضمن بشكل مضمر حالات عالم المستقبل، لكنها تتضمن بذور مجهولة ستتبلور، لمنها الآن غير مرئية بالنسبة لأعيننا.[2] وهذا ما يبين أن المعرفة المتعلقة بالماضي وبالحاضر هي معرفة تتخللها ثغرات مثلها مثل المعرفة المتعلقة بالمستقبل، مما يثبت وجود علاقة ترابطية بين هذه المعارف، فمعرفة الماضي خاضعة للحاضر، الذي تكون فيه المعرفة المتعلقة به خاضعة للمستقبل.[3]

ينبغي حسب **موران**- التخلي عن العملية التبسيطية التي تبدو بديهية: الماضي- الحاضر- المستقبل، واستبدالها بتصور مركب، يحول العملية إلى ارتدادية أي الماضي يعرف عن طريق الحاضر، كما أن الحاضر يعرف عن الماضي، والمستقبل يعرف عن طريق الحاضر الذي بدوره يعرف بالمستقبل، ومثل هذا التصور المورانى- يلغي تصور الثبات الذي أضفي على الماضي والحاضر، كما يكشف عن تفاهة علم استشراف المستقبل، وعلم المستقبليات اللذان يركزان على أساس الحاضر، انه بالتأكيد يجعلنا نتخلى عن كل تصور يقيني للمستقبل، بالمقابل فالتصور المركب يدعونا إلى القيام بجهد كبير، يعمل على إحداث تواصل متبادل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، بكيفية تجعلنا نؤسس حلقة تولد معرفة أكثر وضوحا عن الحاضر وإسقاطات غير يقينية بما فيه الكفاية عن المستقبل.[4]

---

[1] –Edgar Morin, **pour sortir du 20 siècle**, op.cit , 1981, p

[2] – إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 13

[3]– المصدر نفسه، ص 14.

[4] – Edgar Morin , **pour sortir du 20 siècle** , pp 322-323 .

فهذا التصور المركب يقدم لنا أداة تسمح لنا بمعرفة مبادئ الأمر الذي يجعلنا ننتقل من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، غير أن هذا الانتقال لا يخضع لقوانين وحتميات، وهو ليس ميكانيكيا و لا خطيا، بالفعل سيكون المستقبل سهل التنبؤ لو كان التطور يتعلق بالعلية الخطية، وعلى العكس من ذلك ينبغي علينا الانطلاق من الإقرار بغباوة كل تنبؤ يقوم على تصور تطوري بهذا القدر من الخطية، غير أن الواقع الاجتماعي حسب موران– متعدد الأبعاد يتضمن عوامل ديمغرافية، اقتصادية، سياسية وتقنية، وبالإمكان لبعضها أن يهيمن في لحظة، لكن هناك تدوير للهيمنة، لان الواقع يخضع لحركة التأثر والتأثير.[1]

وفقا **لموران**– فكل ما يتطور يخضع لمبدأ متعدد العلل، بحيث لا تتركب التفاعلات الارتجاعية فيما بينها فسب، بل ينتج كل مجرى مستقل عليته الخاصة بتأثره بالتحديدات الخارجية، أي انه يحمل علية ذاتية– خارجية– مركبة، وفي الوقت نفسه تنحرف الأفعال وتحول اتجاهها وتقلبها، وتؤدي إلى ردود الفعل وأفعال مضادة. [2] هذا ما يطلق عليه **موران**– مبدأ السببية الدائرية، الذي يقوم على التفاعل أثناء عملية التأثير والتأثر. كما يشير إلى أن المستقبل يخضع لمبدأ اللايقين، بحيث يستحيل التنبؤ به كما هو معروف في الفكر التبسيطي. يقول **موران:**

<< مبدأ اللايقين يؤثر في المستقبل، بل أكثر من ذلك: ففجوة المستقبل الهائلة تطبع الحاضر بطابع اللايقين، وهو حاضر لن نعرف بالتأكيد تحديد معناه أو معانيه، وتصيب الماضي وتؤثر في مجموع المغامرة الإنسانية.>>[3]

[1] – ibid. p 323.

[2]– إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 15

[3] –ادغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 19.

غير أن **موران**- يصرح بأن الاعتراف باللايقين لا ينبغي أن يجعلنا نتخلى عن التوقعات المبسطة التي كانت إسهام مراكز علم استشراف المستقبل خلال سنوات الستينيات من القرن الماضي، لكن على هذا الاعتراف أن يقدم لنا عناصر لا يقينية كجواب عن يقيننا الحاضر، بحيث يجب عليه أن يجعلنا نواجه الصعوبة المركزية المتمثلة في التفكير في حاضرنا، وبالتالي التفكير في المستقبل.[1]

ويشير موران- إلى أن التطور الملحوظ الذي شهدته العلوم خلال السبعينيات من القرن الماضي سببا رئيسيا في الاعتراف بمبدأ اللايقين، في الوقت الذي يبدو فيه كل شيء يقيني ومنضبط، بالتالي قابل للتوقع، وفي تلك الفترة كان العلماء يعتقدون أن المستقبل لم يكن سوى استمرارية للحاضر، وهكذا انطبع بطابع النمو المنتظم.[2] غير أن اللايقين يعبر عن عجزنا عن معرفة حاضرنا، وكذا استحالة التنبؤ واستشراف المستقبل.

وبالطبع هذا العجز يعبر عن الصورة المركبة للواقع الطبيعي والإنساني على حد سواء. لهذا يرى موران- أنه يجب علينا النظر إلى حلقة الماضي/ الحاضر/ المستقبل بامتلاكنا لمعنى البعد المركب الذاتي للتطور التاريخي، وهكذا تفيد عملية التوقع استكشاف معنى دوامة الحاضر، ولم يعد الأمر يتعلق بإرادة مراقبة المستقبل، بل يتعلق برصد مبدأ اللايقين[3].

في الأخير نصل إلى القول أن دراسة المستقبل ومحاولة التنبؤ به واستشرافه، حسب موران- هو عملية مركبة ومعقدة ومتداخلة، حيث يكون كل مستقبل يتحول إلى ماضي، وان الماضي كان مستقبلا، لذلك نحدد صفات المستقبل باللايقين وعدم التوقع والتنبؤ.

---

[1] – Edgar Morin, **pour sortir du 20 siècle** , p 326.

[2] – Ibid. p 327.

[3] – Ibid., p 332

وبهذا التصور انتقد موران– كل نزعة تدعي إمكانية التنبؤ بالمستقبل ومعرفته عن طريق معرفة عناصر الحاضر.

2- الأفاق المستقبلية للفكر المركب

2-1- مشروع السياسة الحضارية

كما أشرنا في الفصل الثاني (فلسفة الأخلاق)، فالعصر دخل في أزمة متعددة الأبعاد **une crise multi-démentienlle**، وتتضح ملامح هذه الأزمة في التناقضات والحروب و العنصرية واللايقين، كلها تعبر عن أزمة تضرب الثوابت اليقينية الخاصة بالمجتمع، والمعرفة والأخلاق والقيم الإنسانية. وكل هذا يمثل تعبير عن خطر كبير يهدد الحضارة ومستقبل الإنسانية، وطبعا هذه الأزمة كانت وليدة التطور التكنولوجي، والاستعمال التكنو-قراطي للعقل الاداتي الذي سيطر على الفكر الغربي في هذه المرحلة المعاصرة، هذا ما يستلزم إعادة النظر في مشروع سياسة الحضارة **une politique de civilisation**، لأجل عقلنة الكرة الأرضية، وانتشال الإنسانية من دوامة الخطر.

من هنا كان البحث عن مشروع حضاري شغل أغلبية الباحثين والمفكرين، وموران- ابرز هؤلاء، حيث قدم مشروع لسياسة حضارية، بهدف معالجة القضايا الكونية والمشاكل الكوكبية التي تخص الإنسانية في جميع أنحاء العالم، بالمقابل الخروج من دائرة التناقض الذي تعيشه الحضارة الغربية من تحضر- وتقهقر. وهنا نتساءل:

فيما يكمن مشروع السياسة الحضارية؟ وما هي مبادئه عند موران؟

أ- في خلفية المشروع:

يرى **موران**- أن السياسة الحضارية تمثل مشروع يعمل على تنقية وتصفية الآثار السلبية التي تعكس التطور الذي تشهده حضارتنا الغربية، لذا يتمثل هذا المشروع في تطوير الآثار الايجابية، ومحاولة تهذيب السلبيات الناتجة عن التقدم، والمشكل الذي تطرحه

حضارتنا اليوم هو مشكل مركب بطريقة متكاملة بين الايجابيات والسلبيات.[1] بمعنى تكمن مهمة السياسة الحضارية في تطوير أفضل ما في الحضارة الغربية وتطرح عنها أسوء ما فيها، وان تحدث تكاملا بين الحضارات باتخاذها في الحسبان المساهمات الأساسية من الشرق ومن الجنوب، وستكون هذه السياسة شيئا لازما للغرب نفسه، فالغرب اليوم يزداد معاناة على جميع جوانب الحياة.[2] طبعا هذه المعاناة نشأت من التطور التقني والاقتصادي الذي أعطى الغلبة للغرب، باعتبارها المالكة للقوة والمال، غير أن هذا التطور التقني انقلب على الضرب وأصبح يهدد مستقبل البشرية.

ينبغي لسياسة الإنسان وسياسة الحضارة أن تتفقا على المشكلات الحيوية لكوكب الأرض، فالأرض هي مركبة فضائية تسير وفق أربعة محركات هي العلم والتقنية والصناعة والرأسمالية، والمشكلة تتمثل في إخضاع هذه المحركات للمراقبة، وسلطات هذه المحركات يجب في نظر موران– أن تخضع لمراقبة الأخلاق، وهي التي لا يمكن أن نفرض مراقبتها إلا بالسياسة.[3]

وعليه فالمجتمع العالمي، والمجتمع الغربي بصفة خاصة، لا يستطيع حل ومواجهة مشاكله الجوهرية الأساسية التي تهدد مستقبله إلا في ظل وجود مشروع سياسة للإنسان، وسياسة للحضارة. من هنا نفهم أن مشروع السياسة الحضارية الذي يعمل موران– على بلورته يحمل هدفا ساميا، يتمثل في معالجة المشاكل الجوهرية التي تطبع عالمنا وكوكبنا، لأجل القضاء على كل أشكال العنصرية والاستغلال، بالمقابل العمل على خلق سياسة التضامن **solidarité** و الأخوة **fraternité** ، بالتالي الحد من الهمجية وبربرية التقنية المتقدمة.

---

[1] – Edgar Morin, **la voie– pour l'avenir du l'humanité**, op.cit, p 83

[2]–إدغار موران، **هل نسير الى الهاوية؟** ، ص 79.

[3]– المصدر نفسه، ص 80.

هذه البربرية **barbarie** تمثل جزء من الحضارة، لان كل فعل يقوم به الإنسان يصنف كرمز يعبر عن حضارته، وفي هذا السياق يشير موران- إلى وجود علاقة وطيدة بين البربرية والحضارة، إذا لا يوجد علامة من علامات الحضارة لا تعبر عن فعلا بربريا، حيث يقول: **<< ليست البربرية مجرد عنصر يرافق الحضارة، وإنما هي جزء لا يتجزأ منها، فالحضارة تولد البربرية، والخصوص انطلاقا من الغزو والسيطرة.>>**[1]

إذن نحن نعيش في قلب صحراء بربرية تهدد وجودنا الإنساني، لذلك فنحن اليوم ملزمين على امتلاك القدرة على التفكير في هذه البربرية وتجاوزها، لأن الأسوأ ممكنا دوما، وما دمنا نوجد في ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية تجعل من الأسوأ أمر قابل للتحقق، ومن هنا يفترض الأمر تجاوز هذه البربرية عن طريق العمل على مشروع حضاري.[2]

هكذا بين **موران**- أن الحضارة الغربية على مر التاريخ البشري، أحرزت تقدما كبيرا في مجال العلم والتقنية والتصنيع، بالمقابل ألت هذه المظاهر إلى نتائج وخيمة أثرت سلبا على مسار البشرية ومستقبلها، حيث وقعت في الوحشية والبربرية والتكنو-قراطية، وكذا الاستخدام المنحط للعقل التقني، حتى وصلت الحضارة إلى مرحلة الاعتلال، وتتمثل هذه المرحلة في فرز أنواع شتى من الوحشية فأصبحت وجها أخر للبربرية القديمة التي فتكت بآلاف البشرية.[3] هذا الوجه الأخر للحضارة يمكن تجاوزه من نظره عن طريق الإصلاح الداخلي للأذهان والأشخاص، وهي حاجة ضرورية لمعالجة أزمة السياسة الحضارية.

لكن هذا يشترط الكف عن المطامح والربح والعمى، وباختصار كف الجوانب الأشد انحرافا وهمجية وغريزية في الكائن البشري، أو تنظيمها على الأقل، وهذا يستلزم بدوره إصلاح الأنظمة التعليمية،بمعنى نظام تعليمي يقوم على تيار قوي من الفهم والتعاطف

---

[1]- ادغار موران، **ثقافة أوربا وبربريتها** ، ترجمة: محمد الهلالي ، طوبقال للنشر، الطبعة1 ، 2007، ص 8.

[2]- المصدر نفسه، ص 57.

[3] - Edgar Morin, **la voie**, op.cit, p-p 86-87.

في العالم.[1] يمكن ألان القول أن تأسيس مشروع السياسة الحضارية يستند إلى الفهم والتعاطف، بين بني البشر رغم اختلافهم في التوجهات الفكرية والفلسفية والثقافية والمعتقدية، من هنا يقوم موران– بوضع أوامر السياسة الحضارية في كتابه (**الطريق la voie**).

ب– أوامر السياسة الحضارية:

– **سياسة خلق التضامن:** صاغ فيلسوفنا– مشروعه عن السياسة الحضارية على مبدأ خلق التضامن **solidarité**، حيث لاحظ أن المجتمع العالمي الحالي يعيش مرحلة تاريخية مفعمة بالتناقضات والانقسامات، والتي تظهر جليا في أشكال العنصرية والسيطرة والهيمنة التي تمارسها فئة بشرية على حساب فئة أخرى تحت ثوب **العولمة mondialisation** ، الأمر الذي استدعى ضرورة إعادة النظر في هذه المظاهر التي تعبر عن غياب الإنسانية وطغيان الأنانية والعنصرية.

يرى **موران**– أن المجتمع العالمي يتقدم بطريقة فائقة بحيث يصعب ضبطها، كون هذا التسارع يحمل جانب من الاضطراب الذي يعبر عن الطابع المعقد الذي يشتمل كل العلاقات الإنسانية، وبالطبع هذا التعقيد يفتح المجال أمام تزايد الحريات والملكيات، لكنه بالمقابل يؤول إلى إمكانات هدامة ومولدة للفوضى، وهذا ما يستلزم خلق سياسة التضامن بين الأفراد من جهة وبين الشعوب من جهة أخرى.[2] والتضامن في نظر موران– يمثل واجبا أخلاقيا من شأنه أن يدعم العلاقات الإنسانية، ويحقق التماسك الاجتماعي، إذن السياسة الحضارية بحاجة إلى نوع من التضامن بين شخص وأخر، بحيث هناك ناس لهم

[1]– انظر موران **هل نسير الى الهاوية** المصدر السابق ص 85.

[2] – Edgar Morin, **la voie** , pp 97–98 .

غريزة تدفع إلى محبة الأخر، وهنا لا يتعلق الأمر بنشر التضامن، وإنما بتحرير القوة الغير المستخدمة لإرادة الخير وتشجيع سلوكات التضامن.[1]

من هنا تكون سياسة خلق التضامن مفهوم جوهري في مشروع **موران**– يهدف هذا المبدأ إلى تماسك العلاقات الاجتماعية، عن طريق طرد واستبعاد كل مظاهر وأشكال الهيمنة والعنصرية، التي تمثل السبب الأساسي في الحروب التي تهدد مستقبل الكرة الأرضية، كما أن التضامن يدعم روح التسامح ، و التعاطف بين البشر على اختلاف تشعباتهم العرقية والثقافية والدينية.

- خلق سياسة جودة الحياة :

يدعوا موران– إلى ضرورة خلق سياسة جودة الحياة، سياسة تترجم في مبدأ رغد العيش بالمعنى الوجودي، وليس فقط بالمعنى المادي، تتحدد هذه الجودة مبدئيا في التواصل والتفاعل الايجابي والفعال مع الغير. وهي بالمعنى المورانـي– تفيد عملية التواصل بين الأشخاص، قائمة على التشارك والمودة، والمحبة، لتكون سياسة الحضارة عملية من شانها أن تعمق إمكانية التأثير الاجتماعي، عن طريق أنسنة العالم من اجل تحسين جودة الحياة، بالمقابل تهدف إلى القضاء على الأسباب المؤدية إلى الحروب والمجاعة.[2]

و يقصد موران من هذا المبدأ إقامة التوازن بين حاجيات الإنسان المادية والمعنوية، بمعنى إعادة الاعتبار للقيم الروحية التي غابت كليا في عالمنا الصناعي الأكثر تقدما، الذي خلق نزاعات عرقية ومذهبية، والقضاء على مثل هذه النزاعات يستوجب حوارية بين الحاجة المادية والروحية للكائن البشري.

[1] – Edgar Morin, **la voie** p 98.

[2] – ibid. p 100.

يعنى مفهوم الأنسنة انتشال الإنسان من الضياع الوجودي داخل المادة، الذي طالما حصر الإنسان في الاتجاه الآلي، إلى النظر إليه على أنه كائن روحي يحيا حياة شعرية ونثرية تتسم كلها بالعواطف والمشاعر التي تجعل منه إنسانا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يقول موران:

<< الإنسان يعيش في الأرض حياة شعرية ونثرية، والحياة الإنسانية تنسجم تماما بالشعر والنثر، حيث تتحدد الحياة النثرية في العملية والنفعية والتقنية، أما الحياة الشعرية فهي تبدوا ثانوية، ولكنها حالة أولية تعبر عن وجهة نظر وجودية.>>[1] وهنا يقصد أن حياة الإنسان تتكون من بعدين أساسين: يتمثل البعد الأول في الحياة النثرية تتضمن البحث عن متطلبات الحياة الضرورية لحفظ البقاء، والبعد الثاني هو الحياة الشعرية والتي تتمثل في الحياة الوجودية التي تعبر عن انشغالات الإنسان وأنشطته التعاونية والتضامنية مع الآخرين، هذا ما يدعوا إلى سياسة جودة الحياة كأساس لإنقاذ الإنسان من الضياع الوجودي داخل قوقعة المادة.

[1] – Ibid. p 101.

2-2- مسألة الديمقراطية:

نشير إلى أن تعقل **rationalisation** الكرة الأرضية تحتاج مشروع لسياسة حضارية كما رأينا سابقا، لكن هذا المشروع في نظر **موران**- لا يمكن له أن يتحقق إلا في ظل الديمقراطية، لان التضامن بين الشعوب ما هو إلا نتيجة للتضامن بين الفرد والأخر داخل المجتمع الواحد، لذلك يقدم موران- نموذج مركب للديمقراطية، وهنا نتساءل: **كيف ينظر موران إلى الديمقراطية؟ وما هو الأساس المركب لها؟**

ينظر **موران**- إلى الديمقراطية **démocratie** على أنها المفتاح الأساسي لتحقيق التضامن والتعاون بين الأفراد ، لان الفرد والمجتمع لا يمكن تصور وجودهما بمعزل عن بعضها البعض، لهذا فالديمقراطية تسمح ببناء علاقة غنية ومركبة بين الفرد- المجتمع، ليكون المجتمع والأفراد قادرين على الانفتاح والتعاون فيما بينهما، وعلى تنظيم ومراقبة بعضهما البعض.[1] إذن هذه الديمقراطية التي يدعو موران- إليها تقوم على التشارك بين الأفراد وتبادلهم الآراء والأفكار، ومعالجة قضاياهم الحياتية، بواسطة حرية الرأي والتعبير. من اجل القضاء على الديكتاتورية التي تمنع كل فكرة تعارض مصلحتها، وإذا أراد الشعب أن يحقق فضيلة التضامن عليه أن ينبني على ديمقراطية تشاركية.[2]

وتخضع الديمقراطية بالمفهوم **الموراني**- إلى الحلقة المركبة الارتدادية حيث تتأسس على مراقبة جهاز السلطة من طرف المراقبين ، ومن ثم التقليص من حدة الاستعباد الذي يميز سلطة لا تخضع لرد فعل من طرف هؤلاء الذين تم إخضاعهم، بهذا المعنى تكون الديمقراطية أكثر من نظام سياسي، لأنها خلق متجدد لحلقة مركبة وارتدادية، ينتج فيها

[1] - Edgar Morin, - **les septe savoirs pour l'éducation du futur** , Editions seuil , France , 1999, p 60.

[2] - Edgar Morin , **la voie** , p 104..

المواطنين الديمقراطية، وتعمل هذه الأخيرة على إنتاجهم.[1] ووفقا **لموران**- فالمجتمع الديمقراطي يختلف تماما عن المجتمع السلطوي، لان هذا الأخير يستعمر بالمعنى الاستبدادي للكلمة الأفراد الذين يخضعون له، لكن المجتمع الديمقراطي قائم على الحريات الفردية وتحميل الأفراد المسؤولية، حيث يكون الفرد مواطنا و ذاتا بكل ما تحمله الكلمة من معنى الاستقلالية، انه من جهة شخص يعبر عن مصالحه وتمنياته، ومن جهة ثانية فهو شخص مسؤول عن مدينته ومجتمعه ويتضامن معه.

أ- الديمقراطية والبعد المركب:

إن الديمقراطية تعبر عن نظام مركب يصعب تحديده بطريقة بسيطة، والسبب في ذلك يعود إلى أن سيادة الشعب تتضمن في نفس الوقت، التقنين الذاتي لهذه السيادة عن طريق طاعة القوانين وتحويل السيادة إلى المنتخبين، كما تتضمن الديمقراطية التقنين الذاتي لنفوذ الدولة عن طريق الفصل بين السلطات، وضمان الحقوق الفردية، وحماية الحياة الخاصة، لهذا تحتاج الديمقراطية إلى توافق أغلب المواطنين، واحترام القواعد الديمقراطية، لكنها في نفس الوقت تحتاج إلى التعددية و إلى أنواع من الصراعات.[2]

من هنا نفهم أن الطابع المميز للديمقراطية هو الاعتراف بالعلاقة الحية للتعددية، حيث تعمل على تغذية المصالح و تعددية الأفكار، لهذا يتبين أن احترام التعددية دليل على أن الديمقراطية لا تتطابق مع الممارسة الدكتاتورية التي تمنع التعددية، هذا ما يوضح فكرة الديمقراطية التي تقوم على حماية تعددية الأفكار والآراء، ومصادر الأخبار (الصحافة و وسائل الإعلام) .

بالرغم من أن هدف الديمقراطية هو تحقيق السلام للمواطنين داخل كيان سياسي اجتماعي، لكنها في نفس الوقت حسب موران- تحتاج إلى صراعات بين الأفكار والآراء،

[1]- إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 100- 101.

[2]- المصدر نفسه، ص 101.

لان هذه الصراعات هي التي تؤدي إلى الحيوية ، لكن هذه الحيوية لا تكون منتجة إلا في الخضوع لقواعد ديمقراطية تنظم هذه التناقضات التي تحملها الأفكار.[1]

لهذا يمكن القول أن الديمقراطية تتطلب التوافق والتعددية، إنها تشكل نسقا مركبا من التنظيم والحضارة ، بحيث يغذي ويتغذى من استقلالية الأفراد، ومن حريتهم في التعبير وتقديم الآراء، تتحدد في المعادلة التالية: الحرية— المساواة— الأخوة، هذا الأخير يتضمن نوعا من التصارع الخلاق بين هذه المصطلحات الثلاث الغير المفصولة عن بعضها البعض.[2] إذن الديمقراطية تمثل حلقة ثلاثية تتركب من مصطلحات يصعب الفصل فيما بينها، لتتسم بالطابع المركب، وفي هذا السياق يقول موران– :

<< تشكل الديمقراطية نسقا سياسيا مركبا، بالمعنى الذي يجعلها تحيا بفضل هذه الأشكال من التعدديات، والمتناقضات، مع الحفاظ على وحدة الجماعة، هكذا فالديمقراطية عبارة عن وحدة تجمع بين الوحدة والاشتقاق.>>[3]

بناء على هذا التصور تكون الديمقراطية نظام يتغذى بالتعددية ، وهي الميزة التي تمنح الحيوية التي من جهة تحقق الاستقلالية والحريات الفردية، ومن جهة أخرى تحدد مهام الدولة وصلاحيتها، عن طريق الفصل بين السلطات إلى: تشريعية وتنفيذية وقضائية، لهذا فالديمقراطية إذا أرادت أن تحافظ على ذاتها، ينبغي عليها أن تحافظ على التعددية.

ب– الديمقراطية التحاورية:

يرى **موران**– أن كل الخاصيات الهامة للديمقراطية لها طابع تحاوري **dialogique** ، يجمع بشكل تكاملي بين مصطلحات متناقضة: التوافق/ التصارع، الحرية— المساواة—

[1] – Edgar Morin, **la voie** , p p 105–106.

[2] –Edgar Morin, **les septe savoirs pour l'éducation du futur** , p 61.

[3] – Ibid. p 62.

الاخوة– الجماعة / الوطنية/ التناقضات الاجتماعية والإيديولوجية، وأخيرا فالديمقراطية رهينة شروط متعلقة هي الأخرى بممارسة الديمقراطية ، ما يبين أن الديمقراطيات تحيا من الصراعات، لكن هذه الأخيرة قد تغرقها، علما أن الديمقراطية غير معممة بعد في مجموع أنحاء العالم الذي لا يزال يشهد العديد من الديكتاتوريات، صحيح ستبقى الديمقراطية معرضة للتهديد في القرن العشرين، وعلاوة على ذلك فالديمقراطيات الموجودة اليوم غير مكتملة.[1] أي أنها لا تخلو من عيوب ونقائص، حيث تميل في بعض الأحيان إلى نزع حق المواطنين في اتخاذ القرارات السياسية الكبرى، وبهذا التراجع تؤدي إلى تهديد طابع التعددية وتحط من درجة التمدن.

وفقا **لموران**– فسيرورة التراجع هذه ترتبط بتعقد المشاكل، وبالنمط المشوه في معالجتها، فالسياسة تتوزع على مجالات مختلفة، لكن يمكن الحديث عن نزع التسيس في السياسة والتي تتغلغل من تلقاء ذاتها في مجالات الإدارة والتقنية والاقتصاد، مما أدى إلى فقدان إمكانية فهم الحياة، وكل هذا أدى في النهاية إلى تراجع مهول للديمقراطية، إذ يصبح المواطنين معزولين عن المشاكل الجوهرية للمدينة.[2] ويقتضي تفادي هذا التراجع إشراك البنيات المنتاقضة والمتعددة في بناء سياسة المدينة، لأن التشارك يمهد لأرضية سياسية تعترف بحق الأغلبية في تسيير شؤون المدينة عن طريق تقديم الآراء والأفكار لمعالجة المشاكل، وهذا لا يتحقق إلا في تطبيق مبدأ الحوراية.

[1]– إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 103.

[2]– المصدر نفسه ، ص 104.

ج- مستقبل الديمقراطية:

يعلن موران- بكل صراحة أن ديمقراطيات القرن الواحد والعشرين، ستواجه مشكلة ضخمة، وهي ناتجة عن تقدم الآلة الكبرى (العلم/ التقنية/ البيروقراطية) التي ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا، وهذه الآلة لم تنتج فقط المعرفة والوضوح، بل أنتجت أيضا الجهل والعماء، فالتطورات الحاصلة في مختلف مجالات العلوم لم تحمل معها ايجابيات تقسيم العمل فقط، بل أيضا حملت معها كذلك سلبيات التخصص الفائق، والفصل والتجزيء للمعرفة، لتصبح في الأخير معرفة نخبوية (لا يدركها إلا المتخصصون) لتقع هذه المعرفة في يد الدولة.[1]

هكذا تصبح المعرفة أداة في أيدي الدولة، الأمر الذي يجعل المواطن يفقد الحق في تقديم وجهة نظر إجمالية وملائمة رغم انه يملك الحق في اكتساب المعرفة المتخصصة، وعلى سبيل المثال: ليس للمواطن حق التفكير في الأسلحة النووية ومراقبتها، لأن القرار في النهاية عائد إلى رئيس الدولة ومرافقيه، دون استشارة أي جهاز ديمقراطي.

يقول **موران-: << إن الهوة تتسع بين نزعة تقنو-علمية نخبوية، وبين المواطنين الشيء الذي يعمق أكثر ثنائية العارفين، والذين لا يمتلكون سوى جانب من المعرفة مجزأ، بحيث لا يستطعون ادارك سياق المعرفة، ولا مقاربتها من منظور شمولي..... هكذا يتم خلق شرخ اجتماعي جديد، طبقة جديدة معزولة عن باقي المواطنين.>>**[2]

بهذا الأساس يتم إقصاء المواطنين من المجالات السياسة، والتي أصبحت محتكرة من طرف الخبراء، هذه الهيمنة التي تمارسها الطبقة الجديدة يؤدي إلى عدم ديمقراطية المعرفة، كما أن اختزال ما هو سياسي في ما هو تقني يؤدي إلى إضعاف المدينة وتدهورها، وهذا ما يستلزم إعادة إحياء المدينة، التي تحتاج إلى إعادة إحياء الديمقراطية،

[1] – Edgar Morin, **la voie** , p 106.

[2] – إدغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 105.

وإعادة بعث التمدن يفترض إحياء التضامن والمسؤولية بين الأشخاص، قائمة على الحوارية الأخلاقية بين السلطة والمواطن.

2-3- تجاوز الأزمة الكوكبية:

لقد أدى ظهور التقنية في الحضارة الأوربية إلى تطوير النزعة الكوكبية، حيث قام الغرب بنقل مظاهر حضارتهم إلى باقي القارات المجاورة خاصة إفريقيا واسيا، والأخطر من ذلك مارست الحضارة الغربية أشكالا من السيطرة الحضارية عن طريق البحث عن مناطق النفوذ، وكانت النتيجة دخول البشرية في أزمة كوكبية **crise planétaire**، ويشير **موران**- إلى أن السبب الرئيسي لوصول العالم إلى مثل هذه المرحلة، هو طغيان التقنية والمادة على حساب القيم الروحية للإنسان. فأصبح عبدا خاضعا لها، بدل أن يكون هو الذي يخضعها لسيطرته وخدمته، حتى جعلته يفقد القدرة على التفكير والتأمل، فوصل به الأمر إلى دخول نفق العبودية والاستغلال. يقول موران-

<< تشير كلمة كوكبية إلى أن الأمر يتعلق بمشكلة يصعب معالجتها بسبب تعقيدها، ما يجري على هذا الكوكب له علاقة في التداخل بين التطورات التقنية والاقتصادية والاجتماعية والقومية، لذلك فان المهمة الأصعب هي التفكير بكوكبنا.>>[1]

ظهرت هذه الأزمة الكوكبية / أزمة إنسانية داخل التقنية ومن خلالها، داخل وحدة المصير ومن خلالها، وحيثما تقدم التكوكب بفضل الهيمنة التقنية، هناك تقهقر، وهكذا نرى أن أزمة التكوكب هي أزمة إنسانية التي لا تستطيع التأسيس على شكل إنسانية، وهي أزمة العالم الذي لم يستطع بعد أن يكون عالما، وأزمة الإنسان الذي مازال عاجزا عن التحقق كانسان.[2] ، انه بالرغم من أن هذه النزعة الكوكبية وفرت حاجيات الإنسان الضرورية والكمالية، إلا أنها تركت سلبيات عديدة، اتحدت فيما بينها لتعبر في الأخير

[1]- ادغار موران وجون بودريار، **عنف العالم** ، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار ، سوريا ، ط1 ، 2005 ص 73.

[2]-إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 46.

عن أزمة متعلقة بالقيم الروحية للإنسان. مما يستلزم التفكير فيها من اجل عقلنتها وتجاوزها.

يرى موران– أن هذا تجاوز هذه الأزمة يقوم على التغيير في مفهوم التطور، بما فيه التطور الحي والإنساني، لان المقصود من كلمة التطور هي أن النمو التقني والاقتصادي عصب النمو الاجتماعي والإنساني حسب المفهوم الغربي، وفي الحال انه يجب عدم نسيان أن في المجتمعات الغربية المتطورة يوجد أيضا تخلف نفسي وأخلاقي وحالات عجز واضحة.[1] في حين أن فكرة التطور تفترض أن يكون الوضع الراهن للمجتمعات الغربية غاية كل المجتمعات، وغاية كل التاريخ الإنساني، حيث يتمثل هذا التطور في مجموعة من النقاط يقدمها موران– على النحو التالي:

– خلق تضامن على كوكبنا و إنهاء الحروب والقضاء على حالات اللامساواة، ويمكن تحقيق ذلك بواسطة القيام ببعض الخدمات المدنية في البلدان الغنية من اجل مساعدة البلدان الفقيرة، وليس عبر منح وقروض تختفي في صفقات فساد غير مشروعة.

– بناء مجتمع عالمي يقوم على برلمان كوكبي، وتعزيز سلطة هيئة الأمم المتحدة، التي تعمل على إدانة كل من يتعدى على حقوق الأخر، وكذا مساعدة الدول الفقيرة والتي تعرضت لكوارث طبيعية.[2]

بناء على هذا التصور، تتحدد عقلنة الكرة الأرضية أو الكوكب في نظر **موران**– في العمل على مشروع لسياسة حضارية، تقوم على سياسة الحوار والتضامن بين الشعوب، وكذلك استكمال مفهوم التطور الاقتصادي والتقني بمفهوم التطور الإنساني والروحي، من اجل تجاوز النزعة الكوكبية وأزماتها المتعددة، كما يقوم هذا المشروع بالضرورة على

[1]– إدغار موران وبودريار، **عنف العالم** ، ص 82.

[2] المصدر نفسه ، ص .86

ديمقراطية عالمية تعترف بالحرية والمساواة وحق الشعوب في تقرير مصيرها، كل هذا يتحقق في ظل الإصلاح الأخلاقي والتربوي في كل المجتمعات بدون استثناء.

3- التربية في أفق التعقيد والمأمول منها:

كان **موران**- يهدف من خلال الفكر المركب، أو بالأحرى من خلال إصلاح التربية إلى غاية سامية وجوهرية هي إصلاح العالم وحياة الإنسان، التي ترتبط بالقضاء على النزعة المتمركزة على الذات والعرق، وكذا وضع حد لأشكال العنصرية التي تهدد مستقبل البشرية، وهذه الغاية لا يمكن تحقيقها إلا في ظل الوحدة الثقافية رغم تعددها من مجتمع إلى أخر.

تتشكل الثقافة في نظره من مجموع المعارف والخبرات والقواعد والضوابط والممنوعات والأفكار والقيم والمعتقدات التي تتوارث من جيل لأخر.[1] وبالرغم من أن كل واحد منا يحمل ويحقق مجموع هذه المكونات التي تكمن وظيفتها في توجيه المجتمع والحفاظ عليه بوصفه مركبا نفسيا واجتماعيا، فلا وجود لأي مجتمع قديما كان أم معاصرا إلا بالثقافة، ومع ذلك فالثقافة تحافظ دوما على خصوصيتها، صحيح أن كل ثقافة توجد داخل ثقافات متعددة، لكنها لا يمكن أن توجد إلا بهذه الثقافات.[2]

ومن هنا يمكن تقديم تعريف للثقافة يشمل جميع الثقافات، يتمثل في مجمل المهارات والممارسات والقواعد والأفكار التي تستمر من جيل لأخر، وتتوالد داخل كل فرد، تنتج التعقيد الاجتماعي وتجدده، وهذا يعني أن الثقافات مهما كانت شديدة الاختلاف يبقى أساسها واحد.

لقد كانت المجتمعات القديمة منظمة ذاتيا من خلال تراثها الثقافي فقط، إذ يمنح هذا الأخير لكل فرد هويته المميزة، وتغذي الثقافة هذه الهوية استنادا على أسلافها وأمواتها وتقاليدها، فيصبح للمجتمع عندئذ اسمه وشخصيته المميزة، ولغته وأساطيره وطقوسه التي تسجل لدى كل فرد ، والذي يعيش الانتماء إليها بمثابة علاقة نسب، فتدون من خلال

[1]- إدغار ر موران، **تربية المستقبل** ، ص 52.

[2]- المصدر نفسه، ص 53.

الفرد مركزيتها الاجتماعية.[1] هكذا نفهم أن كل مجتمع يخضع لأطر تمثل كيانه الخاص الذي يتميز من خلاله عن المجتمعات الأخرى، وهذه الأطر المتمثلة في اللغة والعادات والتقاليد والأعراف والقيم والمعتقادات تمثل الإرث الثقافي بالنسبة لهذا المجتمع، وكل عنصر دخيل على هذه الثقافة يعتبر غزوا فكرا يجب مواجهته وتجاوزه. ومن هنا تطرح المشكلة المحورية حول كيفية تصرف الذات أثناء تواصلها من أفراد ينتمون إلى ثقافات أجنبية، بمعطيات يصعب استيعابها، فعندما تكون الثقافات متناثرة، ترح بحدة مسألة الهوية والاعتراف بالأخر ومسالة الترجمة وقراءة ما هو أجنبي وغريب ، وتأويله.[2]

و لأجل معالجة هذه المشكلة يقترح **موران**– مفهوم الحوارية الثقافية **dialogique culturelle** كفعل تواصلي بامتياز، هدفه تحقيق التعايش الثقافي بين المجتمعات عن طريق تبادل الأفكار والآراء، ويرتبط هذا الحوار في نظر فيلسوفنا– بمجموعة من الشروط.

– الشرط الأول يتمثل في إقامة تحاور ثقافي هو المتعدد/ والمتنوع في وجهات النظر، وهذا التنوع احتمالي في كل مكان: ذلك أن كل مجتمع يتضمن أفراد مختلفين جينيا وفكريا ونفسيا وشعوريا أي أنهم قادرون على طرح وجهات نظر متباينة جدا، ووجهات النظر هذه هي التي يقهرها الطبع ويقمعها التطبيع، والشروط أو الأحداث القادرة على توهين الطبع والتطبيع تمكن التنوعات الفردية من التعبير عن نفسها في المجال المعرفي، وتظهر هذه الشروط في المجتمعات التي تتيح اللقاء والتواصل وتبادل الأفكار.[3]

---

[1]– إدغار موران، **المنهج– إنسانية الإنسانية** ، ص 194.

[2]– عزدين الخطابي، **<<حوار الثقافات بين الكونية والخصوصية>>**، ص 121.

[3]– إدغار موران، **المنهج– الأفكار**، ص 44.

– الشرط الثاني للحوار الثقافي يشترط تبادلية ثقافية ، يتم فيها تبادل الأفكار والمعلومات والآراء، ما يعزز الانفتاح الفكري ويساهم في مواجهة الدوغمائية والتعصب والتطرف.[1]

وينتج تبادل الأفكار توهين أشكال الدغمائية وهذا ما ينمي تبادل الأفكار حيث يتضمن وجود منافسة وتعارض، أي وجود نزاع في الأفكار والمفاهيم ورؤى العالم، ولكن هذا النزاع يحتاج إلى أن ينضبط بقاعدة تبقيه على مستوى الحوار وتبعده عن التجاوزات التي تحول معارك الأفكار إلى معارك جسدية وعسكرية كما حصل هذا كثيرا في الخصومات الدينية، ومن هنا تكونت ضرورة الاعتراف بقانون تحاور يكون بمثابة قاعدة للتحاور الثقافي، وعندما يكون المجتمع شديد التركيب، أي متعدد الثقافات ويعيش فيه الفرد انتماءات عديدة (عائلية وعشائرية وفلسفية وسياسية) يستطيع كل نزاع بين هذه الانتماءات والمعتقدات أن يصبح عندئذ مصدرا للمشاكل والأزمات.[2]

بناء على هذا التصور يرى موران– أن الحوارية المتضمنة لتبادلات ساخنة بين الأفكار والمواقف يمكن أن تحول الانحرافات إلى توجهات ايجابية منفتحة على كل ما هو جديد. بمعنى يسمح التحاور الفكري بين الأشخاص المختلفين في الانتماء الثقافي إلى تبادل وجهات النظر، بالتالي الوصول إلى مصطلح التعايش الثقافي، أي قبول الشخص لعناصر ثقافية أجنبية باعتبارها تكمل ثقافته من جهة ، وباعتبارها تفتحا وتطويرا لثقافته الخاصة من جهة أخرى، هذا ما يؤدي إلى تحقيق الوحدة والتنوع الثقافي في نفس الوقت.

يشير **موران**– إلى وجود فئة تؤمن بتنوع الثقافات، بالتالي تميل إلى التقليل من قيمة الوحدة البشرية، وينزع أولئك الذين يقفون عند الوحدة البشرية إلى غض الطرف على تنوع الثقافات، من المهم تدارك الأمر وإدراك وحدة تضمن وتدعم التنوع بقدر ما يجب طرح التنوع داخل أفق الوحدة.

---

[1]– إدغار موران، **المنهج– الأفكار**_ص_ص 44–45.

[2] – عزدين الخطابي ، <<**حوار الثقافات بين الكونية والخصوصية >>** ، ص 122 .

هذه الازدواجية وحدة / تنوع الثقافات هي ازدواجية أساسية حيث تحافظ الثقافة على الهوية الإنسانية، وبشكل أدق على الأشياء الأكثر خصوصية فيها، وتحافظ الثقافات على الهويات الاجتماعية، وقد تعطي الثقافات الانطباع بأنها تنغلق على ذاتها حفاظا على هويتها الخاصة، لكنها في الواقع تظل مفتوحة: إذ أنها تدمج داخلها المعارف والأفكار والتقاليد الآتية من أفاق أخرى.[1]

وعلى هذا الأساس يكون كل ربط بين ثقافتين فيه إثراء للثقافات ذاتها، انه يفضي إلى انجازات خلاقة ، بفضل الاختلافات الثقافية بالمقابل فان أي محاولة لتدمير ثقافة معينة تعتبر خسارة كبيرة للبشرية جمعاء والتي يشكل تنوع ثقافتها احد أغلى كنوزها. والبشرية اليوم في اعتقاد **موران**– تحتاج إلى نوع من التحاور الثقافي بين الشعوب والأمم، لان التحاور يغذي فضاء ثقافي تقبل فيه المذاهب المعارضة بعد أن تتخلى عن فرض حقائقها بالقوة وهذا القبول يغذي التحاور بدوره، وهكذا يتشكل فضاء من التسامح على جانب من الكبر والتساهل، بمعنى فضاء يشجع التعبير عن الأفكار، أي انه سيشجع الديناميكية التحاورية.[2]

وفي الأخير يمكن القول أن عالمنا اليوم يحتاج إلى الحوارية الثقافية، أي الانفتاح الثقافي على الآخرين، قصد التقارب والتفاهم أكثر بين المجتمعات، بالمقابل القضاء على المركزية الذاتية والعرقية– الثقافية التي تفرض على أنها الثقافة المثالية، وبالعكس فثقافة مجتمع معين لا يعتبر إلا امتداد لثقافة بشرية عبر أزمنة مختلفة، كما أن الثقافة الخاصة بمجتمع معين لا تعد سوى جزء من ثقافة الإنسانية، هذا ما يستلزم على الثقافات أن تنفتح على بعضها، قصد التعايش، والقضاء على أشكال التطرف والعنصرية، طبعا هذه المهمة

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 53.

[2]– إدغار موران، **المنهج– الأفكار** ، ص 46.

كي تتحقق لابد من وجود شروط يحصرها **موران**- في مفهوم التعاطف **convivialité** والتسامح**tolérance**

ا- الانفتاح التعاطفي على الغير:

يعيش كوكبنا اليوم تشتت بشري فضيع نتيجة الحروب والعنف والعنصرية التي فرضتها النزعة الذاتية والعرقية في وقتا الراهن. حيث اخذ الحقد يتنامى بطريقة لا يمكن السيطرة عليه ولا تهذيبه، بسبب الانغلاق الذاتي، يقول موران- **:<< صحيح أننا منفتحون على بعض الأقرباء المفضلين لدينا، لكننا في غالب الأوقات منغلقون اتجاه الأخر، بحثنا على الاستخدام التام لذاتيتنا عن طريق عمليتي الإسقاط والتطابق.>>**[1]

هذا ما أدى إلى انتشار الحقد والتطرف والتعصب اتجاه الأخر، لتكون النتيجة تشتت البشرية وانقسامها إلى كيانات متصارعة بعضها البعض، حول فرض حقائقها وأفكارها ومعتقداتها على أنها الحقيقة المطلقة، والسبب الرئيسي في قصور مجتمعاتنا راجع في الأساس إلى تناقض الفهم لصالح الفر دانية والانوية الذاتية، حيث لم نعد نفهم بعضنا حتى داخل العائلة نفسها، داخل الوسط المهني، وداخل المجموعة نفسها، كل هذا أدى إلى فساد وجوه التضامن.

هكذا أضحى من الضرورة إعادة ربط هذا التشتت البشري، وتحقيق الوحدة في ظل الاختلافات والتعددية الثقافية. و ربط هذا التشتت يرتبط حسب **موران**- بضرورة الانفتاح والتعاطف من الغير المخالف لنا، لأن التعاطف ينقص من طغيان الذاتية، كما يتأسس التعاطف على مسألة الفهم المتبادل بين البشر، إذا علينا أن نفهم طقوس الآخرين وأعرافهم، ومن المدهش استنتاج مدى صعوبة فهم أنفسنا بالانتقال من نموذج إرشادي إلى أخر، من نظام ديني إلى أخر، مع انه يجب علينا أن نفهم بعضنا، ولهذا الغرض على

[1]- ادغار موران، **تربية المستقبل**،ص 94.

كل واحد منا، بذل جهد تعاطف بإزاء الأخر المختلف عنا.[1] انطلاقا من هذا التضور يرى **موران**- أن التضامن والتعاطف يحتاجان إلى أخلاق الفهم، التي من شأنها أن تساعد على تحسين العلاقات البشرية على المستوى الاجتماعي والكوكبي،إذن على **اتيقا الفهم éthique de compréhension** أن تؤدي هذا الدور الكبير، انطلاقا من التدريب داخل العائلة والمدرسة ولاسيما مدرسو المستقبل.[2]

من هنا ينبغي تدعيم قاعدة التفاهم بين الأشخاص، وبين المجتمعات،لأن ذلك يؤدي إلى وعي الذات أن الأخر لا يشكل خطرا آو تهديدا لها، بل سندا في معالجة المشاكل المشتركة، فعندما يكون الشخص على وعي أن مشكلته لا تخصه لوحدة فقط، بل تخص ذلك الغير الذي يعتبره عدوه، يتضامن ويتعاطف معه.

ب- التسامح:

رأينا كيف يساهم التضامن والتعاطف في تحقيق وحدة النوع البشري، كذلك يلعب التسامح دورا كبيرا في تماسك العلاقات الإنسانية والاجتماعية، **فموران**- ينظر إلى التسامح على انه ركيزة أساسية في بناء مجتمع المستقبل، فالتسامح عنده لا يعني نوعا من اللامبالاة اتجاه الأفكار، بقدر ما يعني افتراض وجود قناعة، أو إيمان، أو اختيار أخلاقي، إذ يقتضي التسامح نوعا من المعاناة في تحمل التعبير عن أفكار تبدو لنا سيئة.[3] بالمقابل علينا أن نكون على وعي أن اختلاف الأشخاص في الأفكار والمعتقدات يولد لديه التحيز الدائم لتوجههم، هذا ما يؤدي في الأخير إلى النزاعات الفكرية والدينية، هنا يكون التسامح المبدأ الأساسي الذي يعمل على عقلنة هذا النزاع، ولهذا للتسامح ثلاثة مستويات يذكرها **موران**- كالأتي:

---

[1]- ادغار موران، <<**إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي**>> ، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 38.

[3]- ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 95.

– المستوي الأول: هو الذي عبر عنه **فولتير*voltaire** لما طلب منا أن نحترم الحق في التعبير عن مقصد قد يبدو لنا دنيئا، ولا يعني احترام ما هو دنيء، بل عدم فرض تصورنا الخاص كمبرر لمنع الغير من الكلام.

– المستوى الثاني: لا ينفصل عن الوجه الديمقراطي، فأساس الديمقراطية هو وجود أراء مختلفة ومتناقضة هكذا فالمبدأ الديمقراطي يلزم كل واحد منا احترام التعبير عن أفكار مناقضة لأفكارنا.

– المستوى اثالث: مصدره الوعي بخضوع الإنسان للأساطير وللإيديولوجيات، للأفكار، وكذا الوعي بالانحرافات التي تحمل الأفراد إلى مدى ابعد من تصورهم.[1] و هذا التسامح الذي يدعو إليه فيلسوفنا– يتعلق بالأفكار والتوجهات والآراء، ولا يتعلق بتاتا بالشتائم والأفعال الإجرامية، وعلى كل حال يعمل التسامح على فرض التعايش السلمي والاستقرار بين المجتمعات البشرية، وبالتالي تحقيق وحدة البشرية. لكن هذا لا يتحقق إلا عبر ربط التضامن والتسامح بأخلاق الفهم بين الأشخاص بعضهم البعض، وبأخلاق العصر الكوكبي، الأمر الذي يتطلب عولمة الفهم، حيث يرى **موران**– أن العولمة التي تخدم الجنس البشري هي المتعلقة بعولمة الفهم، لان التسامح والتضامن لا يمكن أن يكون له اعتبار إلا إذا انفتحت الثقافات على بعضها البعض، وتنتج عقليات متفتحة تقبل الأخر، وتعتبره أخا وصديقا، وليس نقيضا وعدوا.[2]

[1]– ادغار موران، **تربية المستقبل** ، ص 95.

[2]– المصدر نفسه، ص 96.

* فرانسوا فولتير(1694/1778) فيلسوف فرنسي، يعتبر زعيم حركة التنوير، اهم كتبه: مقال في المتافيزيقا

– فرانسوا فولتير (1694–1778) فيلسوف وكاتب فرنسي، يعتبر زعيم حركة التنوير، اهم كتبه مقال في الميتافزيقا. * رسائل فلسفية.

من هنا يكون تحقيق وحدة البشرية أمر مرتبط مباشرة بالتسامح الذي بدوره يقوم على الفهم، لأنه وسيلة وغاية التواصل الإنساني، فلا يمكن وجود تقدم في مجالات العلاقات بين الأفراد والأمم والشعوب والثقافات، بدون فهم متبادل، هذا ما يستلزم ضرورة إصلاح العقليات البشرية.

ج- نحو الإنسانية كمصير كوكبي:

يرى موران- أن الوصول إلى إنسانية الإنسان **l'humanité du l'humain** بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يقتضي تغييرا جذريا ، بمعنى نحتاج إلى فكرة تحول جذري تؤثر على الأفراد والأمم والدول والشعوب، فكرة تحول تعمل على بزوغ الإنسانية بما هي إنسانية.[1] هذا التغيير يفترض أن نكون على وعي تام بأننا ننحدر من جذع واحد، ومن رحم واحد هو الأرض- عبر التحول الحياوي، وهو الوعي بأننا نملك هوية واحدة، وان الكائنات البشرية تشترك جميعا مع كل تنوعاتها الثقافية، وابتداء من العهد الكوكبي، في المصير الواحد خلال جميع مشكلات الحياة والموت.[2]

من هنا يكون مصير كل الناس عبر كل أقطاب العالم مصير مشترك، يتعلق بإنسانيتهم، هذا ما يستلزم على الجماعة البشرية العمل على تحقيق واكتمال العلاقات الانتروبو- أخلاقية المتعلقة بالعلاقة بين الفرد المتفرد، وبين النوع البشري بما هو كل، عليها أن تعمل على جعل النوع البشري يتطور في اتجاه الإنسانية، مع الحفاظ على شرطه البيولوجي-التناسلي، وهذا يعني العمل على تحقيق الوعي المشترك والتضامن الكوكبي للجنس البشري.[3] وفقا **لموران**- فكل شخص يشعر في مكانه وآنيته انه شديد البعد عن الإنسانية، لكن في الواقع أن نسيج الإنسانية يتكون، لا انطلاقا من الظهور الضبابي والتدريجي الكوكبي، الذي هو في طور المخاض فحسب، بل سيكون أيضا من الأفراد،

---

[1]- إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 83.

[2]- ادغار موران، **هل نسير إلى الهاوية؟** ، ص 139.

[3]- إدغار موران، **تربية المستقبل**، ص 106-107.

عندما يعبر كل فرد أن كل غير يدخل في حقل تواصله هو بمثابة قريب، أي عندما يعتبره أنا- غيرية ويعتبره بالقوة غيرا، ويتم تكوين نسيج الإنسانية انطلاقا من الغير وانطلاقا من بعد **الأنا**-، لكن الإنسانية ليست عبارة عن **أنا أعلى sur-moi**، أي أنها ليست كيان يعلو على الفرد، ولا يمكنها أن تكون المعبود الأخير، والدين الأخير، إن الإنسانية هي الغاية الجديدة التي تحقق وتبلور الطبيعة الخاصة بالإنسان.[1]

لقد كفت الإنسانية عن أن تكون مجرد مفهوم بيولوجي، رغم أنها غير منفصلة عن المحيط الحيوي، لقد كفت الإنسانية أن تكون مفهوما بدون جذور: إنها متجذرة في وطن- في ارض- كما إنها كفت أن تكون مفهوما مجردا: إنها واقع حي، لقد كفت الإنسانية أن تكون مفهوما مثاليا، إذ أصبحت جماعة ذات مصير مشترك.[2]

إذن ليست الإنسانية فكرة مثالية فحسب، بل أصبحت قدرا مشتركا، تأسست في شكل كيان جغرافي كوكبي، يتسم بوحدة المصير، مما يفترض وعيا كوكبيا، يعمل على تأسيس قاعدة التسامح والتضامن، ورسخ دعامة الوحدة والتنوع في نفس الوقت.

[1]- إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ص 71.

[2]- ادغار موران، **تربية المستقبل**، ص 107.

نتائج الفصل الرابع:

– الفكر المركب لا يمثل حلا أو جواب لتعقيد العالم والإنسان، بل هو فكر يساعدها على رفع تحدي التعقيد، والتفكير فيه.

– الفكر المركب يعترف بالتناقض واللايقين والاختلال، ويدعو إلى التفكير في هذا التعقيد ، دون إلغائه. بالتالي تحقيق وحدة العلم والمعرفة.

– أفاق الفكر المركب تتمثل في مساعدة الإنسان على تجاوز الأزمة الكوكبية، عن طريق التأسيس لشروع سياسة حضارية، تعقلن الهيمنة والسيطرة، وكذا وضع حد للبربرية والحروب التي أنتجتها، العقلانية التقنية.

– عقلنة الكرة الأرضية تقوم على تدعيم العلاقات الإنسانية، والتحاور الثقافي، و تجاوز النزعة المتمركزة على الذات والعرق.

– الفكر المركب هو براديغم يعمل على دعم التعاطف والانفتاح على الأخر، من اجل استكمال إنسانية الإنسان.

– الفكر المركب يسعى إلى التأسيس لمنظومة تربوية، تعمل على تعليم الفهم والشرط الإنساني، والهوية الأرضية، من اجل الوصول إلى تحقيق وحدة النوع البشري.

خاتمة

وختاما لهذا العمل سنحاول تقديم بعض النتائج التي توصلنا إليها خلال دراستنا لمشروع **ادغار موران**– الفكري، المتمثل في الفكر المركب وتطبيقاته في الفكر الأخلاقي والتربوي، والتي يمكن وضعها في النقاط التالية:

1– هذه الدراسة وقفت على براديغم فكري جديد، تأسس على النتائج التي قدمتها النظريات العلمية الجديدة، إذ حاول التأسيس لخطاب علمي وفلسفي جديد يستند إلى طابع التعقيد، حيث يبرز الفكر المركب الطابع المركب لكل من المعرفة والإنسان، من خلال نقد البراديغم الكلاسيكي الذي قام على حجب مظاهر التعقيد والاختلال والتناقض، مما وصل الفكر إلى مرحلة الاعتلال والعمى.

2– يبرز الفكر المركب أن المعرفة الإنسانية تتطور باستمرار، مما يسمح بإنتاج خطاب جديد، في الأغلب يعتمد على النتائج إلى توصلت إليها النظريات العلمية، ليفتح المجال لخطاب نقدي ينظر في طبيعة المعرفة وحدودها وشروطها، أو ما يسميه موران– بمعرفة المعرفة.

3– نقد موران– لبراديغم التبسيط، كان بسبب اعتقاده، انه المسئول عن تشويه العالم، المنظومة الكلاسيكية، سمحت بتقدم كبير في مجال المعرفة العلمية، لكن في الأخير كانت السبب في الأزمة الكبيرة للحضارة الغربية، والحل الوحيد لتجاوز هذه الأزمة، هو الخروج من قبضة ابيستموجيا الاختزال إلى فضاء الفكر المركب.

4- يعتبر الفكر المركب الأطروحة المركزية في فكر **ادغار موران**- كبديل لفكر التبسيط الذي سيطرة على الخطاب العلمي و الفلسفي، والمنهجي، لمدة زمنية طويلة، حيث مارس منهجية الفصل والعزل والاختزال، مما أدى إلى تعذر فهم المشاكل الراهنة للعالم، لهذا يقترح موران- الفكر المركب كمنهج يساعدنا على إعادة التفكير في عالمنا، انطلاقا من تغيير أدوات تفكيرنا.

5- إن الخطاب الابيستمولوجي الذي يقدمه موران- هو خطاب أصيل، يعتمد أساسا على نتائج النظريات العلمية الجديدة، التي تنحو في مجملها في مجرى التعقيد، خطاب حمل على عاتقه إبراز نقص وقصور وعيوب الابيستمولوجية الكلاسيكية، وعدم إمكانيتها فهم الواقع الطبيعي والإنساني، الذي من خصائصه التعقيد، والاختلال والتعدد.

6- الفكر المركب هو فكر الربط بين مجالات المعرفة الإنسانية، ويدعو إلى تجاوز النظرة التجزئيئة التي تعزل موضوع المعرفة عن سياقه العام والشمولي، كما يرفض موران- كل نزعة تفصل موضوع المعرفة عن الذات العارفة، لان الذات هي أيضا موضوع للمعرفة، وعدم الأخذ بهذه الحقيقة أدى في النهاية إلى ثقوب معرفية سوداء.

7- الفكر المركب يدعو إلى فلسفة أخلاقية تعترف بتعقيد الفعل الأخلاقي، أي التنظير لأخلاق تتخذ من الإنسان مصدرا لها، إذ أن الأخلاق يجب أن تبحث عن مصدرها في الطبيعة الإنسانية المتعددة الأبعاد: فرد- مجتمع- نوع. لهذا يسمح الفكر المركب ببناء

نظرة أخلاقية جديدة تنظر إلى العلاقات الجوهرية للفعل الإنساني من زاوية التعقيد، عبر تناقض النية مع الفعل.

8- الفكر المركب يسمح بإمكانية تأسيس منظومة أخلاقية، أو أخلاق كوكبية قائمة على الفهم الإنساني، إذ يكفي الاعتراف بخطر اللافهم وعوائقه، لتأسيس اتقيا الفهم، اعتمادا على الاعتراف أن الفعل هو فعل فردي يرتبط بالأخر، وكذا شعور الفرد بالانتماء إلى النوع البشري.

9- إمكانية قيام انتروبولوجيا- أخلاقية في ظل الاختلاف الثقافي والديني والإيديولوجي بين الشعوب عن طريق الحوارية، ويكفي ترسيخ دعائم الفهم بالانفتاح والتعاطف الأخلاقي بين المجتمعات، وهذا الأمر يمكن تحققه في حالة تطوير فعالية التبادل والتفاهم في العلاقات الإنسانية.

10- الفكر المركب في نظر **موران**- هو خطاب فكري جديد، يهدف إلى إصلاح العقليات، مما يستلزم إصلاح المنظومات التربوية العالمية، عن طريق وضع معارف ضرورية تحقق البعد المعرفي والبعد الإنساني.

11- العمل على التفكير الجيد هي غاية التربية المركبة، ويمكن تحقيق هذه الغاية إذا ما تم مراعاة الطابع المركب للإنسان والمعرفة في كل المنظومات التربوية، لهذا يجب على الأنظمة التعليمية، تعليم الفهم والشرط الإنساني و الهوية الأرضية، وعلى هذا

الأساس يتعلم كل مواطن في أي مجتمع قيم الإنسان، المتمثلة في تقبل الأخر، والتعاطف والتسامح معه.

12- اشتغل موران- على تشخيص عالمنا الراهن، فاقر انه يعيش أزمة كبيرة متعددة الأبعاد، دينية واقتصادية وأخلاقية وسياسية، فأصبح الإنسان في حالة احتضار، لذلك يقدم موران- سياسة حضارية تعتبر رسالة سامية تعمل على تحقيق البعد الإنساني، تسمح للإنسان أن يعيش حياة شعرية ونثرية.

في الأخير يمكن القول أن **موران**- طبق الفكر المركب على العديد من المجالات منها الإنسان باعتباره مجموعة من الثنائيات المتناقضة، تدخل في وحدة مركبة متكاملة لتكوين الهوية الإنسانية، كما طبق هذا المفهوم الجيد للإنسان لبلورة مشروعه الأخلاقي، أما في المجال التربوي فقد سعى التنظير لمنظومة تربوية مطبقا فيها تجديده ألمفاهيمي حول المعرفة والإنسان، من هنا يكون الفكر المركب نسيج من مجموعة من المتناقضات داخل وحدة مركبة، فكر يعترف بالوحدة داخل التنوع، وبالتنوع داخل الوحدة.

Réduction	الاختزال
Tiers exclu	الثالث المرفوع
Emergence	انبثاق
Disjonction	انفصال
Simplification	تبسيط
Cybernétique	تحكم ألي
Abstraction	تجريد
Paradigme	أنموذج
Complexité	تعقيد
Analyse	تحليل
Synthèse	تركيب
Contradiction	تناقض
Déterministe	حتمية
Prévision	تنبؤ
Dialogique	حوارية
Thermodynamique	ديناميكية حرارية
Auto-organisation	تنظيم ذاتي
Linéaire	خطية
Non- linéaire	لاخطية
Chaos	فوضى
Incertitudes	لايقين
Désordre	لانظام
L'ordre	نظام

Information	معلومة
Système	منظومة
Méthode	منهج
Ethique	أخلاق
Education	تربية
Objectivité	موضوعية
Subjectivité	ذاتية
Egocentrisme	ذات متمركزة
Compréhension	الفهم
Incompréhension	اللافهم
crise	أزمة
Complexe	مركب
Multidimensionnelle	متعدد الأبعاد
L'un	الواحد
Multiple	المتعدد
Diversité	تنوع
Planétaire	كوكبي
Universel	شمولي
Hologramme	الهولوغرام
Crisologie	علم الأزمات
noologie	علم العقل

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر: باللغة الفرنسية

1-Edgar Morin, **le vif du sujet** , Editions seuil, Paris, France, 1968.

2-Edgar Morin, **le paradigme perdu ; la nature humaine**, Editions seuil, Paris, France, 1973.

3- Edgar Morin, **la méthode- la vie de la vie** ,Editions seuil , Paris ,France, 1980.

4- Edgar Morin, **pour sortir du 20 siècle**, Editions Fernand Nathan, France, 1981.

5- Edgar Morin , **le monde ; idées contemporaine** , Editions la découverte ,Paris , France, 1984.

6- Edgar Morin , **la méthode- la connaissance de la connaissance**, Editions seuil, Paris, France, 1986.

7- Edgar Morin, **science avec conscience**, Editions du seuil ,Paris, France ,1990.

8- Edgar Morin, **la méthode 4- les idées,** Editions du seuil, Paris, France, 1991.

9- Edgar Morin, **la complexité humain**, Editions flammarion , Paris ,France 1994.

10- Edgar Morin et jean –louis le moigne, **l'intelligence de la complexité ,** Editions l'harmattan, Paris, France ,1999.

11- Edgar Morin, **relier les connaissances** , Editions seuil , Paris, France ,1999,

12- Edgar Morin, **les septe savoirs pour l'éducation du futur** , Editions seuil, Paris , France , 1999.

13- Edgar Morin, **la méthode- l'humanité de l'humanité**, Editions seuil, Paris, France, 2001.

14- Edgar Morin, **la méthode -éthique** ,Editions seuil, Paris, France, 2004.

15- Edgar Morin. , **introduction a la pensée complexe** , Editions seuil, Paris France,2005·

16- Edgar Morin, **mes philosophes**, Editions germina, France, 2011 .

17- Edgar Morin, **la voie ; pour l'avenir de l'humanité** ,Editions fayard, France , 2011.

18- Edgar Morin, **enseigner a vivre**, Editions actes sud/ play bac, Paris, France, 2014.

19- Edgar Morin, **penser global**, Editions Flammarion , Paris, France, 2016.

قائمة المصادر المترجمة إلى اللغة العربية:

1- ادغار موران، **الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب**، تر: احمد القصوار ومحمد المحجوبي ، دار طوبقال للنشر، المغرب الطبعة الأولى، 2004.

10- ادغار موران، **تحديات القرن الواحد والعشرين- تواصل المعارف العلمية**، ترجمة: حسين شريف، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2001.

2- ادغار موران، **المنهج- الجزء الرابع- الأفكار**، ترجمة: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2012.

3- ادغار موران ، **المنهج- معرفة المعرفة** ، ترجمة: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2012.

4- ادغار موران، **المنهج: إنسانية الإنسانية** ، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2009.

5- ادغار موران، **تربية المستقبل، المعارف السبعة لتربية المستقبل**، ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 2002.

6- ادغار موران، **هل نسير إلى الهاوية**، ترجمة : عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا الشرق المغرب، بدون طبعة، 2002 .

7- ادغار موران، **ثقافة أوربا وبربريتها** ، ترجمة: محمد الهلالي ، طوبقال للنشر، الطبعة الأولى ، 2007.

8- ادغار موران وجون بودريار ، **عنف العالم** ، ترجمة : عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى ، 2005.

9- ادغار موران، **إلى أين يسير العالم؟** ، ترجمة: احمد العلمي، دار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، 2009.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Christiane cleret de langvant, **méthode et complexité en bioéthique**, , montréal , canada, 1999.

2- Robin fortin , **comprendre la complexité**, **; introduction a la méthode d'Edgar Morin,** Editions l'harmattan, Paris , France , 2000.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1- جيروم بندي، **القيم إلى أين ؟** ترجمة: زهيدة درويش و جان جبور، دار الحكمة، تونس، 2005 .

2- جيمس غليك، **نظرية الفوضى-علم اللامتوقع** ، ترجمة: محمد مغربي،دار الساقي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2008.

3- داود خليفة، **ابستمولوجيا التعقيد** ،أطروحة دكتوراه، جامعة وهران -2- ، سنة 2016.

4- روني ديكارت، **حديث الطريقة** ، ترجمة : عمر الشاروني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2008.

5- عماد مكاوي وعاطف عادل العبد، **نظريات الإعلام**، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، مصر، 2007.

6- نيكلاس لومان، **مدخل إلى نظرية الأنساق** ، ترجمة: يوسف حجازي، منشورات الجمل، بغداد، الطبعة الأولى ،2010 .

قائمة المقالات المنشورة في الدوريات الاجنبية:

1- Nelson Vallejo- Gomez, << **Edgar Morin, la pensée complexe>>** ,Synergies monde, n^0 4, 2008, pp 249-262.

2- Marcel bolle de bal , <<**éthique de reliance>>** , Nouvelle revue psychosociologie, , numéro 8, 2009, pp 188-198.

3- Jacques cortes, << **la méthode d'Edgar Morin>>**_, Synergies monde, n° 4 , 2008, pp 43-58.

قائمة المقالات المنشورة في الدوريات باللغة العربية:

1 -مؤيد الساعدي و حسن جبر علوان،<< **التقارب الجدلي لنظريتي الفوضى والتعقيد>>** ، مجلة التقني، العدد الخامس، 2014، ص 23-31.

10- ادغار موران، <<**فهم الشرط الإنساني- رهان تربية المستقبل>>**، ترجمة: عزيز مشواط ،مجلة رؤى تربوية، العدد 29، 2008، ص 124-130.

14-ادغار موران، << **العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية>>**، ترجمة: ابو بكر الفيلالي ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد 16، المغرب، 2015، ص 9-24.

2- أسماء نيازي الطاهر و بيمان فؤاد رحمن،<< **نظرية الفوضى وتوليد الشكل المعماري>>** ، مجلة الهندسة ، العدد 1، جامعة القاهرة، 2010، ص 801-813.

3- سعيدي عبد الفتاح، << **نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران>>** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26 ،2016، ص339-349.

4- عزدين الخطابي، **<< حوار الثقافات بين الكونية والخصوصية>>** ، مجلة رؤى، العدد 119، 2010، ص 119-133.

5- ادغار موران، << **انتروبولوجيا المعرفة – مدخل إلى المنظور التعقيدي للمعرفة >>** ، ترجمة: يوسف تبيس ،رؤى تربوية، العدد39، 2013 ، ص 91-103.

6- ادغار موران، << **إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي>>** ، ترجمة: عفيف عثمان ، مجلة الاستغراب، العدد الثامن ، 2017، ص 33-40.

7- ادغار موران، **<<لماذا الفهم الإنساني؟>>**، ترجمة: احمد بالراشد ، مجلة تنوير الدراسات الإنسانية، العدد 17، 2016 ، ص 25-31.

8- ادغار موران ، **<<أزمة المعرفة، عندما يفتقر الغرب الى فن العيش>>**، تر: جاد مقدس ، مجلة الاستغراب، العدد 1 ، 2015، ص 55-68.

9- ادغار موران، **<<نحو براديغم جديد>>** ، ترجمة: يوسف تيبس ،مجلة رؤى تربوية ،العدد 29 ، 2008، ص 119-123.

قائمة المعاجم والموسوعات:

1- اندري لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة: خليل احمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008.

2- جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي**، الجزء -2- ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ، 1982.

3- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي** ، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر ، 2007.